

الباب السادس

في الإنشاء

اعلم أن الإنشاء قد يطلق على نفس الكلام الذي ليس لنسبته خارج تطابقته أو لا تطابقته وقد يقال على ما هو فعل المتكلم أعني القاء مثل هذا الكلام كما أن الأخبار كذلك. والأظهر أن المراد ههنا هو الثاني بقرينة تقسيمه إلى الطلب وغير الطلب وتقسيم الطلب إلى التمني والاستفهام وغيرهما، والمراد بها معانيها المصدرية لا الكلام المشتمل عليها بقرينة قوله واللفظ الموضوع له كذا وكذا لظهور إن لفظ ليت مثلاً يستعمل لمعنى التمنى لا لقول: لا ليت زيدا قائم فافهم.

فالإنشاء إن لم يكن طلباً كافعال المقاربة وافعال المدح والذم وصيغ العقود والقسم ورب ونحو ذلك، فلا يبحث عنها ههنا لقلة المباحث المناسبة المتعلقة بها ولأن أكثرها في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء.

فالإنشاء:

(إن كان طلباً استدعى مطلوباً غير حاصل وقت الطلب) لامتناع طلب الحاصل فلو استعمل صيغ الطلب لمطلوب حاصل امتنع اجراؤها على معانيها الحقيقية ويتولد منها بحسب القرائن ما يناسب المقام.

(وأنواعه) أي: الطلب.

(كثيرة منها: التمني) وهو طلب حصول شيء على سبيل المحبة.

(واللفظ الموضوع له ليت ولا يشترط إمكان التمني) بخلاف الترجي.

(كقولك: ليت الشباب يعود يوماً) فاخبره بما فعل المشيب ولا تقود لعله يعود لكن إذا

كان التمني ممكناً يجب أن لا يكون لك توقع وطمأنينة في وقوعه وإلا لصار ترجياً.

(وقد يتمنى بهل نحو: هي لى من شفيح حيث يعلم أن لا شفيح له) لأنه حينئذ يتمتع
حمله على حقيقة الاستفهام لحصول الجزم بانتفائه، والنكته في التمنى بهل والعدول عن ليت
هي إبراز التمنى لكمال العناية به في صورة الممكن الذي لا جزم بانتفائه.
(و) قد يتمنى:

(بلو نحو: لو تأتيني فتحدثني بالنصب) على تقدير فإن تحدثني، فإن النصب قرينة على
أن لو ليست على الصلها إذ لا ينصب المضارع بعدها باضمار أن وإنما يضمن أن بعد الأشياء
السته والمناسب للمقام ههنا هو التمنى.

(قال السكاكي: كان حروف التنديم والتحضيض وهي هلا وإلا بقلب الهاء همزة
ولولا ولو ما مأخوذة منهما) وخبر كأن منهما أي كأنها مأخوذة من هل ولو اللتين للتمني
حال كونها.

(مركبتين مع ماء ولاء المزيدين لتضمينهما) علة لقوله مركبتين. والتضمين جعل الشيء
في ضمن الشيء تقول ضمنت الكتاب كذا كذا بابا إذا جعلته متضمنا لتلك الأبواب يعني أن
الغرض المطلوب من هذا التركيب والتزامه هو جعل هل ولو متضمنتين.

(معنى التمنى ليتولد) علة لتضمينهما يعني أن الغرض من تضمينهما معنى التمنى ليس
إفادة التمنى بل أن يتولد.

(منه) أي: من معنى التمنى المتضمنتين هما إياه.

(في الماضي التنديم نحو: هلا أكرمت زيدا) أو لو ما أكرمته على معنى ليتك أكرمته
قصدا إلى جعله نادما على ترك الإكرام.

(وفي المضارع التحضيض نحوك هلا تقوم) ولو ما تقوم على معنى ليتك تقوم قصدا إلى
حثه على القيام.

والمذكور في الكتاب ليس عبارة السكاكي لكنه حاصل كلامه.

وقوله: (لتضمنيهما) مصدر مضاف إلى المفعول الأول ومعنى التمنى مفعوله الثاني. ووقع في بعض النسخ: (لتضمنيهما) على لفظ الفعل وهو لا يوافق معنى كلام المفتاح. وإنما ذكر هذا بلفظ كان لعدم القطع بذلك.

(وقد يتمنى بلعل فيعطى له حكم ليت) وينصب في جوابه المضارع على إضمار إن نحو: لعلني أحج فأزورك، بالنصب لبعده المرجو عن الحصول).

وبهذا يشبه المحالات والممكنات التي لا طماعة في وقوعها فيتولد منه معنى التمنى ومنها أي من أنواع الطلب.

(الاستفهام) وهو طلب حصول صورة الشيء في الذهن؛ فإن كانت وقوع نسبة بين أمرين أو لا وقوعها فحصوله هو التصديق وإلا فهو التصور.

(والألفاظ الموضوعه له الهمزة وهل وما ومن وأي وكيف واين وإنى ومتى وأيان. فالهمزة لطلب التصديق) أي: انقياد الذهن وإذعانه لوقوع نسبة تامة بين الشئين.

(كقولك أقام زيد) في الجملة الفعلية.

(وأزيد قائم) في الجملة الاسمية.

(أو) لطلب.

(التصور) أي: إدراك غير النسبة.

(كقولك) في طلب تصور المسند إليه.

(أدبس في الإناء أم عسل) عالما بحصول شيء في الإناء طالبا لتعيينه.

(و) في طلب تصور المسند.

(في الخاية دبسك أم في الزق) عالما بكون الدبس في واحد من الخاية والزق طالبا

لتعين ذلك.

(ولهذا) أي: ولجيء الهمزة لطلب التصور.

(لم يقبح) في تصور الفاعل.

(أزيد قام) كما قبح هل زيد قام.

(و).

(لم يقبح في طلب تصور المفعول "أعمرو عرفت") كما قبح هل عمرا عرفت.
وذلك لأن التقديم يستدعي حصول التصديق بنفس الفعل فيكون هل لطلب حصول
الحاصل. وهذا ظاهر في أعمرو عرفت لا في أزيد قام فليتأمل.
(والمسؤول عنه بها) أي: بالهمزة.

(هو ما يليها كالفعل في: أضربت زيدا) إذا كان الشك في نفس الفعل أعني الضرب
الصادر من المخاطب الواقع على زيد وأردت بالاستفهام أن تعلم وجوده فيكون لطلب
التصديق. ويحتمل أن يكون لطلب تصور المسند بأن تعلم أنه قد تعلق فعل من المخاطب
بزيد لكن لا تعرف أنه ضرب أو أكرام.

(والفاعل في: أنت ضربت) إذا كان الشك في الضارب.

(والمفعول في: أزيدا ضربت) إذا كان الشك في المضروب، وكذا قياس سائر المتعلقات.

(وهل لطلب التصديق فحسب) وتدخل على الجملتين.

(نحو: هل قام زيد وهل عمرو قاعد) إذا كان المطلوب حصول التصديق بثبوت القيام
لزيد والقيود لعمرو.

(ولهذا) أي: ولاختصاصها بطلب التصديق.

(امتنع هل زيد قام أم عمرو) لأن وقوع المفرد ههنا بعد أم دليل على أن أم متصلة وهي
لطلب تعيين أحد الأمرين مع العلم بثبوت أصل الحكم وهل إنها تكون لطلب الحكم فقط.
ولو قلت هل زيد قام بدون أم عمرو لقبح ولا يمتنع لما سيجيء.

(و) لهذا أيضا (قبح هل زيدا ضربت لأن التقديم يستدعي حصول التصديق بنفس
الفعل) فيكون هل لطلب حصول الحاصل وهو محال. وإنما لما يمتنع لاحتمال أن يكون زيدا

٢٠٠ مختصر المعاني للتفتازاني

مفعول فعل محذوف أو يكون التقديم لمجرد الاهتمام لا للتخصيص لكن ذلك خلاف الظاهر.

(دون) هل زيدا.

(ضربته) فإنه لا يقبح.

(لجواز تقدير المفسر قبل زيدا) أي: هل ضربت زيدا ضربته.

(وجعل السكاكي قبح هل رجل عرف لذلك) أي: لأن التقديم يستدعي حصول التصديق بنفس الفعل لما سبق من مذهبه من أن الأصل عرف رجل على أن رجل بدل من الضمير في عرف قدم للتخصيص.

(ويلزمه) أي: السكاكي.

(أن لا يقبح هل زيد عرف) لأن تقديم المظهر المعرفة ليس للتخصيص عنده حتى يستدعي حصول التصديق بنفس الفعل مع أنه قبيح باجماع النحاة.
وبه نظر؛ لأن ما ذكره من اللزوم ممنوع لجواز أن يقبح لعل أخرى.
(وعلل غيره) أي: غير السكاكي.

(قبحهما) أي: قبح هل رجل عرف وهل زيد عرف.

(بأن هل بمعنى قد في الأصل) وأصله أهل.

(وترك الهمزة قبلها لكثرة وقوعها في الاستفهام) فأقيمت هي مقام الهمزة وقد تطفلت عليها في الاستفهام وقد من خواص الأفعال فكذا ما هي بمعناها.

(وإنما لم يقبح هل زيد قائم؛ لأنها إذا لم تر الفعل في حيزها ذهلت عنه ونسيت بخلاف ما إذا رأته، فإنها تذكرت العهود وجنت إلى الألف المألوف فلم ترض بافتراق الاسم بينهما.
(وهي) أي: هل.

(تخصص المضارع بالاستقبال) بحكم الوضع كالسين وسوف.

(فلا يصح هل تضرب زيدا) في أن يكون الضرب واقعا في الحال على ما يفهم عرفا ومن قوله.

(وهو أخوك كما يصح: أتضرب زيدا وهو أخوك) قصدا إلى إنكار الفعل الواقع في الحال بمعنى أنه لا ينبغي أن يكون وذلك لأن هل تخصص المضارع بالاستقبال فلا يصح لإنكار الفعل الواقع في الحال بخلاف الهمزة فإنها تصلح لإنكار الفعل الواقع لأنها ليست مخصصة للمضارع بالاستقبال.

وقولنا في أن يكون الضرب واقعا في الحال ليعلم أن هذا الامتناع جار في كل ما يوجد فيه قرينة تدل على أن المراد إنكار الفعل الواقع في الحال سواء عمل ذلك المضارع في جملة حالية كقولك أتضرب زيدا وهو أخوك كقوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٨٠]، وكقولك أتؤذي أباك وأتشتم الأمير فلا يصح وقوع هل في هذه المواضع. ومن العجائب ما وقع لبعضهم في شرح هذا الموضع من أن هذا الامتناع بسبب أن الفعل المستقبل لا يجوز تقييده بالحال وإعماله فيها.

ولعمري؛ إن هذه فرية ما فيها مزية إذ لم ينقل عن أحد من النحاة امتناع مثل سيجيء زيد راكبا وسأضرب زيدا وهو بين يدي الأمير كيف وقد قال الله تعالى: ﴿سَيَذْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ﴾ [إبراهيم: ٤٢-٤٣].

وفي الحماسة: [الطويل]

سَأَغْسِلُ عَنِّي الْعَارَ بِالسِّيفِ جَالِباً عَلَيَّ قَضَاءُ اللَّهِ مَا كَانَ جَالِباً

وأمثال هذه أكثر من أن تحصى.

وأعجب من هذا أنه لما سمع قول النحاة: أنه يجب تجريد صدر الجملة الحالية عن علم الاستقبال لتنافي الحال والاستقبال بحسب الظاهر على ما سنذكره حتى لا يجوز يأتيني زيد سيركب أو لن يركب فهم منه أنه يجب تجريد الفعل العامل في الحال عن علامة الاستقبال

حتى لا يصح تقييد مثل هل تضرب وستضرب ولن تضرب بالحال وأورد هذا المقال دليلا على ما ادعاه ولم ينظر في صدر هذا المقال حتى يعرف أنه لبيان امتناع تصدير الجملة الحالية بعلم الاستقبال.

(ولاختصاص التصديق بها) أي: لكون هل مقصورة على طلب التصديق وعدم مجيئها لغير التصديق كما ذكر فيما سبق.

(وتخصيصها المضارع بالاستقبال كان لها مزيد اختصاص بها كونه زمانيا اظهر) وما موصولة وكونه مبتدأ خبره اظهر وزمانيا خبر الكون أي بالشئ الذي زمانيته اظهر.

(كالفعل) فإن الزمان جزء عن مفهومه بخلاف الاسم فإنه إنما يدل عليه حيث يدل بعروضه له إما اقتضاء تخصيصها المضارع بالاستقبال لمزيد اختصاصها بالفعل فظاهر.

وأما اقتضاء كونها لطلب التصديق فقط لذلك فلان التصديق هو الحكم بالثبوت أو الانتفاء والنفي والاثبات إنما يتوجهان إلى المعاني والاحداث التي هي مدلولات الأفعال لا إلى الذوات التي هي مدلولات الأسماء.

(ولهذا) أي: ولأن لها مزيد اختصاص بالفعل.

(كان ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠] أدل على طلب الشكر من: فهل تشكرون، وفهل أنتم تشكرون) مع أنه مؤكد بالتكرير لأن أنتم فاعل فعل محذوف.

(لأن إبراز ما سيتجدد في معرض الثابت أدل على كمال العناية بحصوله) من إيقائه على أصله كما في هل تشكرون، لأن هل في هل تشكرون، وفي هل. أنتم تشكرون على أصلها لكونها داخلة على الفعل تحقيقا في الأول وتقديرا في الثاني.

(و) ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ أدل على طلب الشكر.

(من أفأنتم شاكرون) أيضا.

(وإن كان للثبوت باعتبار) كون الجملة اسمية.

(لأن هل ادعى للفعل من الهمزة فتركه معها) أي: ترك الفعل مع هل.

(أدل على ذلك) أي: على كمال العناية بحصول ما سيتجدد.

(ولهذا) أي: ولأن هل أدعى للفعل من الهمزة.

(لا يحسن هل زيد منطلق إلا من البليغ) لأنه الذي يقصد به الدلالة على الثبوت وإبراز

ما سيوجد في معرض الوجود.

(وهي) أي: هل.

(قسان بسيطة وهي التي يطلب بها وجود الشيء أو لا) وجوده.

(كقولنا: هل الحركة موجودة؟) أو لا موجودة.

(ومركبة وهي التي يطلب بها وجود شيء لشيء) أو لا وجود له.

(كقولنا: هل الحركة دائمة؟) أو لا دائمة فإن المطلوب وجود الدوام للحركة أو لا

وجوده لها. وقد اعتبر في هذه شيان غير الوجود وفي الأولى شيء واحد فكانت مركبة

بالنسبة إلى الأولى وهي بسيطة بالنسبة إليها.

(وبالباقية) من الفاظ الاستفهام تشترك في أنها.

(لطلب التصور فقط) وتختلف من جهة أن المطلوب بكل منها تصور شيء آخر.

(قيل فيطلب بها، شرح الاسم كقولنا: ما العتقاء؟) طالبا أن يشرح هذا الاسم ويبين

مفهومه فيجاب بإيراد لفظ أشهر.

(أو ماهية المسمى؟) أي: حقيقته التي هو بها هو.

(كقولنا: ما الحركة؟) أي: ما حقيقة مسمى هذا اللفظ فيجاب بإيراد ذاتياته.

(وتقع هل البسيطة في الترتيب بينهما) أي: بين ما التي لشرح الاسم والتي لطلب الماهية

يعني أن مقتضى الترتيب الطبيعي أن يطلب أو لا شرح الاسم ثم وجود المفهوم في نفسه ثم

ما هيته وحقيقته؛ لأن من لا يعرف مفهوم اللفظ استحاله منه أن يطلب وجود ذلك المفهوم

ومن لا يعرف أنه موجود استحاله منه أن يطلب حقيقته وماهيته إذ لا حقيقة للمعدوم ولا

ماهية له.

والفرق بين المفهوم من الاسم بالجملة وبين الماهية التي يفهم من الحد بالتفصيل غير قليل؛ فإن كل من خوطب باسم فهم فيها ما ووقف على الشيء الذي يدل عليه الاسم إذا كان عالماً باللغة. وأما الحد فلا يقف عليه إلا المرتاض بصناعة المنطق فالموجودات لما كان لها حقائق ومفاهيم فلها حدود حقيقية واسمية.

وأما المعدومات فليس لها إلا المفاهيم فلا حدود لها إلا بحسب الاسم لأن الحد بحسب الذات لا يكون إلا بعد أن يعرف أن الذات موجودة حتى أن ما يوضع في أول التعاليم من حدود الأشياء التي يبرهن عليها في أثناء التعاليم إنما هي حدود اسمية ثم إذا برهن عليها وأثبت وجودها صارت تلك الحدود بعينها حدوداً حقيقية جميع ذلك مذكور في الشفاء.

(و) يطلب (بمن العارض الشخص) أي: الأمر الذي يعرض.

(لدى العلم) فيفيد تشخصه وتعينه.

(كقولنا: من في الدار؟) فيجواب عنه بزيد ونحوه مما يفيد تشخصه.

(وقال السكاكي يسأل بما عن الجنس تقول: ما عندك؟ أي: أي أجناس الأشياء عندك،

وجوابه: كتاب ونحوه) ويدخل فيه السؤال عن الماهية والحقيقة نحو: ما الكلمة؟ أي: أي

أجناس الألفاظ هي؟ وجوابه: لفظ مفرد موضوع.

(أو عن الوصف تقول: ما زيد وجوابه الكريم ونحوه) ويسأل.

(بمن عن الجنس من ذى العلم تقول من جبريل أي ابشر هو أم ملك أم جنى. وفيه

نظر) إذ لا نسلم أنه للسؤال عن الجنس، وأنه يصح في جواب من جبريل أن يقال ملك، بل

جوابه ملك من عند الله يأتي بالوحى، كذا وكذا مما يفيد تشخصه.

(ويسأل بأى عما يميز أحد المتشاركين في أمر يعمهما) وهو مضمون أضيف إليه أي.

(نحو: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ [مريم: ٧٣]، أي: أنحن أم أصحاب محمد عليه السلام) والمؤمنون والكافرون قد اشتركا في الفريقية وسألوا عما يميز أحدهما عن الآخر، مثل كون الكافرين قائلين بهذا القول ومثل كون أصحاب محمد عليه السلام غير قائلين.

(و) يسأل (بكم عن العدد نحو: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ [البقرة: ٢١١]) أي: كم آية آتيناهم؟ أعشرين أم ثلاثين؟ فمن آية يميزكم بزيادة من لما وقع من الفصل بفعل متعد بين كم ويميزه كما ذكرنا في الخبرية، فكم ههنا للسؤال عن العدد لكن الغرض من هذا السؤال هو التقريع والتوبيخ.

(و) يسأل (بكيف عن الحال، وبأين عن المكان، وبمتى عن الزمان) ماضيا كان أو مستقبلا.

(وبأيان عن الزمان).

(المستقبل. قيل: يستعمل في مواضع التفضيم مثل: ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة: ٦]، وأتى تستعمل تارة بمعنى كيف) ويجب أن يكون بعدها فعل.

(نحو: ﴿فَاتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]) أي: على أي حال ومن أي شق أردتم بعد أن يكون الماتى موضع الحرث ولم يبيح أنى زيد بمعنى كيف هو.

(وأخرى بمعنى من أين نحو: ﴿أَنَّى لَكَ هَذَا﴾) أي: من أين لك هذا الرزق الآتي كل يوم. وقوله: يستعمل إشارة إلى أنه يحتمل أن يكون مشتركا بين المعنيين، وأن يكون في أحدهما حقيقة وفي الآخر مجازا ويحتمل أن يكون معناه: أين؟ إلا أنه في الاستعمال يكون مع من ظاهرة كما في قوله: (من أنى عشرون لنا) أي: من أين أو مقدرة كما في قوله تعالى: ﴿أَنَّى لَكَ هَذَا﴾ [آل عمران: ٣٧] أي: من أين لك هذا؟ على ما ذكره بعض النحاة.

(ثم إن هذه الكلمات الاستفهامية كثيرا ما تستعمل في غير الاستفهام) مما يناسب المقام بحسب معونة القرائن.

(كالاستبطاء نحو: كم دعوتك والتعجب نحو: ﴿مَا لِي لَا أَرَى الْهُدْهَدَ﴾ [النمل: ٢٠])
لأنه كان لا يغيب عن سليمان عليه السلام إلا ياذنه فلما لا يبصره مكانه تعجب من حال نفسه في عدم إبطاره إياه.

ولا يخفى أنه لا معنى لاستفهام العاقل عن حال نفسه، وقول صاحب الكشاف: إنه نظر سليمان إلى مكان الهدهد فلم يبصره فقال: مالي لا أراه، على معنى أنه لا يراه وهو حاضر لسائر ستره أو غير ذلك ثم لاح له أنه غائب فأضرب عن ذلك، وأخذ يقول: أهو غائب؟ كأنه يسأل عن صحة ما لاح له، يدل على أن الاستفهام على حقيقته.

(والتنبيه على الضلال نحو: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [التكوير: ٢٦] والوعيد كقولك لمن يسيء الأدب: ألم أؤدب فلانا إذا علم) المخاطب.

(ذلك) وهو أنك أدبت فلانا فيفهم معنى الوعيد والتخويف ولا يحمله على السؤال.
(والتقرير) أي: حل المخاطب على الإقرار بما يعرفه وإلجائه إليه.
(بإيلاء المقرر به الهمزة) أي: بشرط أن يذكر بعد الهمزة ما حل المخاطب على الإقرار به.

(كما مر) في حقيقة الاستفهام من إيلاء المسئول عنه الهمزة تقول: أضربت زيدا في تقريره بالفعل وأنت ضربت في تقريره بالفاعل وأزيدا ضربت في تقريره بالمفعول وعلى هذا القياس. وقد يقال التقرير بمعنى التحقيق والتثبيت فيقال: أضربت زيدا بمعنى أنك ضربتته البتة.

(والإنكار كذلك نحو: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠]) أي: بإيلاء المنكر الهمزة كالفعل في قوله: أَيْقَنْتُنِي وَالْمَشْرِقِيُّ مُضَاجِعِي، والفاعل في قوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢]، والمفعول في قوله تعالى: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخَذُ وَلِيًّا﴾ [الأنعام: ١٤]، و﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠].

وأما غير الهمزة فيجيء للتقرير والإنكار لكن لا يجري فيه هذه التفاصيل ولا يكثر كثرة الهمزة فلذا لم يبحث عنه.

(ومنه) أي: من مجيء الهمزة للإنكار.

(نحو: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦]، أي الله كاف) لأن إنكار النفي نفي له (ونفي النفي إثبات وهذا) المعنى.

(مراد من قال الهمزة فيه للتقرير) أي: لحمل المخاطب على الإقرار.

(بما دخله النفي) وهو الله كاف.

(لا بالنفي) وهو ليس الله بكاف فالتقرير لا يجب أن يكون بالحكم الذي دخلت عليه الهمزة بل بما يعرف المخاطب من ذلك الحكم إثباتاً أو نفياً.

وعليه قوله تعالى: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] فالهمزة فيه للتقرير أي بما يعرفه عيسى عليه السلام من هذا الحكم لا بأنه قد قال ذلك فافهم. وقوله: والإنكار كذلك، دل على أن صورة إنكار الفعل أن يلي الفعل الهمزة، ولما كان له صورة أخرى لا يلي فيها الفعل الهمزة أشار إليها بقوله.

(ولإنكار الفعل صورة أخرى وهي نحو: "أزيدا ضربت أم عمرا" لمن يردد الضرب بينهما) من غير أن يعتقد تعلقه بغيرهما فإذا انكرت تعلقه بهما فقد نفيت عن أصله لأنه لا بد له من محل يتعلق به.

(والإنكار إما للتوبيخ أي ما كان ينبغي أن يكون) ذلك الأمر الذي كان.

(نحو: "أعصيت ربك") فإن العصيان واقع لكنه منكر. وما يقال إنه للتقرير فمعناه التحقيق والتثبيت.

(أو لا ينبغي أن يكون في) أي: أن يحدث ويتحقق مضمون ما دخلت عليه الهمزة وذلك في المستقبل.

(نحو: "أعصي ربك") يعني لا ينبغي أن يتحقق العصيان.

(أو للتكذيب) في الماضي.

(أي لم يكن نحو: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الإسراء: ٤٠] أي: لم يفعل ذلك.

(أو) في المستقبل أي.

(لا يكون نحو: ﴿أَنْزَلْنَاهُ مُكْمُوها﴾ [هود: ٢٨] أي: أنزلناكم تلك الهداية أو الحجة

بمعنى أنكرهمكم على قبولها ونفسركم على الاهتداء والحال أنكم لها كارهون يعني لا يكون منا هذا الإلزام.

(والتهكم) عطف على الاستبطاء أو على الإنكار، وذلك أنهم اختلفوا في أنه إذا ذكر

معطوفات كثيرة أن الجميع معطوف على الأول أو كل واحد عطف على ما قبله.

(نحو: ﴿أَصَلَّاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [هود: ٨٧] وذلك أن شعيبا عليه

السلام كان كثير الصلوات وكان قومه إذا رأوه يصلى تضاحكوا فقصدوا بقولهم: ﴿أَصَلَّاتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ الهزاء والسخرية لا حقيقة الاستفهام.

(والتحقيق نحو: "من هذا؟") استحقارا بشأنه مع أنك تعرفه.

(والتهويل كقراءة ابن عباس) رضى الله عنه.

(﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ ٣٠ ﴿مِنْ فِرْعَوْنَ﴾

[الدخان: ٣٠، ٣١] بلفظ الاستفهام) أي: من بفتح الميم.

(ورفع فرعون) على أنه مبتدأ ومن الاستفهامية خبره أو بالعكس على اختلاف الرأيين؛

فإنه لا معنى لحقيقة الاستفهام ههنا وهو ظاهر بل المراد أنه لما وصف الله العذاب بالشدة والفظاعة زادهم تهويلا ﴿مِنْ فِرْعَوْنَ﴾ أي: هل تعرفون من هو في فرط عتوه وشدة شكيمة فما ظنكم بعذاب يكون المعذب به مثله.

(ولهذا قال: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الدخان: ٣١]) زيادة لتعريف حاله وتهويل

عذابه.

(والاستبعاد نحو: ﴿أَتَى لَهُمُ الذِّكْرَى﴾ [الدخان: ١٣] فإنه لا يجوز حمله على حقيقة الاستفهام وهو ظاهر، بل المراد: استبعاد أن يكون لهم الذكرى بقرينة قوله تعالى: ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾ [١٣] ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ أي: كيف يتذكرون ويتعظون ويوفون بما وعدوه من الإيمان عند كشف العذاب عنهم وقد جاءهم ما هو أعظم وأدخل في وجوب الإذكار من كشف الدخان وهو ما ظهر على يد رسول الله صلى الله عليه وآله من الآيات والبيانات من الكتاب المعجز وغيره فلم يتذكروا واعرضوا عنه.

(ومنها) أي: من أنواع الطلب.

(الأمر) وهو طلب فعل غير كف على جهة الاستعلاء وصيغته تستعمل في معان كثيرة، فاختلّفوا في حقيقته الموضوعية هي لها اختلافا كثيرا، ولما تكن الدلائل مفيدة للقطع بشيء. قال المصنف:

(والأظهر أن صيغته من المقترنة باللام نحو: ليحضر زيد وغيرها نحو: أكرم عمرا ورويد بكرا) فالمراد بصيغته ما دل على طلب فعل غير كف استعلاء سواء كان اسما أو فعلا. (موضوعة لطلب الفعل استعلاء) أي: على طريق طلب العلو وعد الأمر نفسه عاليا سواء كان عاليا في نفسه أم لا.

(لتبادر الفهم عند سماعها) أي: سماع الصيغة.

(إلى ذلك) المعنى أعني الطلب استعلاء والتبادر إلى الفهم من أقوى إمارات الحقيقة.

(وقد تستعمل) صيغة الأمر.

(لغيره) أي: لغير طلب الفعل استعلاء.

(كالإباحة نحو: "جالس الحسن أو ابن سيرين") فيجوز له أن يجالس أحدهما أو

كليهما وأن لا يجالس أحدا منهما أصلا.

(والتهديد) أي: التخويف وهو أعم من الإنذار لأنه إيلاخ مع التخويف.

وفي الصحاح: الإنذار تخويف وهو مع دعوة.

(نحو: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]) لظهور أن ليس المراد الأمر بكل عمل شأوا.

(والتعجيز نحو: ﴿فَاتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣]) إذ ليس المراد طلب إتيانهم بسورة من مثله لكونه محالا. والظرف أعني قوله: ﴿مِّنْ مِّثْلِهِ﴾ متعلق بـ﴿فَاتُوا﴾ والضمير لعبدنا أو صفة لسورة والضمير لما نزلنا أو لعبدنا.

فإن قلت: لم لا يجوز على الأول أن يكون الضمير لما نزلنا؟

قلت: لأنه يقتضي ثبوت مثل القرآن في البلاغة وعلوا الطبقة بشهادة الذوق إذ التعجيز إنما يكون عن المأتى به فكان مثل القرآن ثابت لكنهم عجزوا عن أن يأتوا عنه بسورة بخلاف ما إذا كان وصفا للسورة فإن المعجوز عنه هو السورة الموصوفة باعتبار انتفاء الوصف.

فإن قلت: فليكن التعجيز باعتبار انتفاء المأتى به منه؟

قلنا: احتمال عقلي لا يسبق إلى الفهم ولا يوجد له مساغ في اعتبارات البلغاء واستعمالاتهم فلا اعتداد به، ول بعضهم هنا كلام طويل لا طائل تحته.

(والتسخير نحو: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: ٦٥] والإهانة نحو: ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٥٠]) إذ ليس الغرض من يطلب منهم قردة أو حجارة أو حديدا لعدم قدرتهم على ذلك لكن في التسخير يحصل الفعل أعني صيرورتهم قردة وفي الإهانة لا يحصل إذا المقصود قلة المبالاة بهم.

(والتسوية نحو: ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾ [الطور: ٦١]) ففي الإباحة كأن المخاطب توهم أن الفعل محظور عليه فأذن له في الفعل مع عدم الحرج في الترك وفي التسوية كأنه توهم أن أحد الطرفين من الفعل والترك انفع له وارجح بالنسبة إليه فرفع ذلك التوهم وسوى بينهما.

(والتمنى نحو: [الطويل])

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا إِنِّجَلِي بِضُبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمَثَلِ

إذ ليس الغرض طلب الانجلاء من الليل؛ إذ ليس ذلك في وسعه لكنه يتمنى ذلك
تخلصا عما عرض له في الليل من تباريح الجو ولاستطالة تلك الليلة كأنه طمّاعية له في
انجلائها فلهذا يحمل على التمنى دون الترجي.

(والدعاء) أي: الطلب على سبيل التضرع.

(نحو: رب اغفر لي. والالتماس كقولك لمن يساويك رتبة: افعل. بدون الاستعلاء)

والتضرع، فإن قيل: أي حاجة إلى قوله بدون الاستعلاء مع قوله لمن يساويك رتبة؟

قلت: قد سبق أن الاستعلاء لا يستلزم العلو فيجوز أن يتحقق من المساوى بل من
الأدنى أيضا.

(ثم الأمر قال السكاكي: حقه الفور لأنه الظاهر من الطلب) عند الانصاف كما في

الاستفهام والنداء.

(ولتبادر الفهم عند الأمر بشيء بعد الأمر بخلافه إلى تغيير) الأمر.

(الأول دون الجمع) بين الأمرين.

(وإرادة التراخي). فإن المولى إذا قال لعبده: قم، ثم قال له قبل أن يقوم: اضطجع حتى

المساء، يتبادر الفهم إلى أنه غير الأمر بالقيام إلى الأمر بالاضطجاع ولم يرد الجمع بين القيام
والاضطجاع مع تراخي أحدهما.

(وفيه نظر) لأننا لا نسلم ذلك عند خلو المقام عن القرائن.

(ومنها) أي: من أنواع الطلب.

(النهى) وهو طلب الكف عن الفعل استعلاء.

(وله حرف واحد وهو لاء الجازمة في نحو قولك لا تفعل وهو كالامر في الاستعلاء)

لأنه المتبادر إلى الفهم.

(وقد يستعمل في غير طلب الكف) عن الفعل كما هو مذهب البعض.

(أو) طلب.

٢١٢ مختصر المعاني للتفتازاني

(الترك) كما هو مذهب البعض. فإنهم قد اختلفوا في أن مقتضى النهي كف النفس عن الفعل بالاشتغال بأحد أصداده أو ترك الفعل وهو نفس أن لا تفعل.
(كالتهديد كقولك لعبد لا يمثل أمرك: لا تمثل امرئ) وكالدعاء والالتماس وهو ظاهر.

(وهذه الأربعة) يعني التمني والاستفهام والأمر والنهي.
(يجوز تقدير الشرط بعدها) وإيراد الجزاء عقيبها مجز وما بأن المضمرة مع الشرط.
(كقولك) في التمني.
(ليت لي مالا أنفقته) أي: إن أرزقه أنفقته.
(و) في الاستفهام.
(أين بيتك أزرك) أي: إن تعرفنيه أزرك.
(و) في الأمر.
(أكرمني أكرمك) أي: إن تكرمني أكرمك.
(و) في النهي.

(لا تشتمني يكن خيرا لك) أي: إن لا تشتم يكن خيرا لك، وذلك لأن الحامل للمتكلم على الكلام الطلبي كون المطلوب مقصورا للمتكلم إما لذاته أو لغيره لتوقف ذلك الغير على حصوله. وهذا معنى الشرط فإذا ذكرت الطلب وذكرت بعده ما يصلح توقفه على المطلوب غلب على ظن المخاطب كون المطلوب مقصودا لذلك المذكور بعده لا لنفسه فيكون إذا معنى الشرط في الطلب مع ذكر ذلك الشيء ظاهرا. ولما جعل النحاة الأشياء التي تضمن حرف الشرط بعدها خمسة أشياء أشار المصنف إلى ذلك بقوله.

(وأما العرض كقولك: ألا تنزل عندنا تصب خيرا) أي: أن تنزل تصب خيرا.

(فمولد من الاستفهام) وليس شيئاً آخر برأسه لأن الهمزة فيه للاستفهام دخلت على فعل منفى وامتنع حملها على حقيقة الاستفهام للعلم بعدم النزول مثلاً وتولد عنه بمعونة قرينة الحال عرض النزول على المخاطب وطلبه عنه.

(ويجوز) تقدير الشرط.

(في غيرها) أي: في غير هذه المواضع.

(لقرينة) تدل عليه.

(نحو: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَالَ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ [الشورى: ٩] أي: إن أرادوا أولياء

بحق) فالله هو الولي الذي يجب أن يتولى وحده ويعتقد أنه المولى والسيد.

وقيل: لا شك أن قوله: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا﴾ إنكار توبيخ بمعنى أنه لا ينبغي أن يتخذ من

دونه أولياء وحينئذ يترتب عليه قوله تعالى: ﴿قَالَ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ من غير تقدير شرط، كما يقال:

لا ينبغي أن يُعبد غير الله فالله هو المستحق للعبادة.

وفيه نظر؛ إذ ليس كل ما فيه معنى الشيء حكمه ذلك الشيء والطبع المستقيم

شاهد صدق على صحة قولنا: لا تضرب زيداً فهو أخوك بالفاء بخلاف اضرب زيداً فهو

أخوك استفهام إنكار فإنه لا يصح إلا بالواو الحالية.

(منها) أي: من أنواع الطلب.

(النداء) وهو طلب الإقبال بحرف نائب مناب ادعو لفظاً أو تقديرًا.

(وقد تستعمل صيغته) أي: صيغة النداء.

(في غير معناه) وهو طلب الإقبال.

(كالإغراء في قولك لمن أقبل يتظلم: يا مظلوم) قصداً إلى إغرائه وحثه على زيادة التظلم

وبث الشكوى لأن الإقبال حاصل.

(والاختصاص في قولهم: أنا افعل كذا أيها الرجل) فقولنا: أيها الرجل أصله تخصيص

المنادى بطلب إقباله عليك ثم جعل مجرداً عن طلب الإقبال ونقل إلى تخصيص مدلوله من

بين أمثاله بما نسب إليه إذ ليس المراد بأي ووصفه المخاطب بمنادي بل ما دل عليه ضمير المتكلم فأياها مضموم والرجل مرفوع والمجموع في محل النصب على أنه حال. ولهذا قال.
(متخصصا) أي: مختصا.

(من بين الرجال) وقد يستعمل صيغة النداء في الاستغاثة نحو: "يا الله" والتعجب نحو: "يا للهاء" والتحسر والتوجع كما في نداء الأطلال والمنازل والمطايا وما أشبه ذلك.
(ثم الخبر قد يقع موقع الإنشاء إما للتفاؤل) بلفظ الماضي دلالة على أنه كأنه وقع نحو وفقك الله للتقوى.

(أو لإظهار الحرص في وقوعه) كما مر في بحث الشرط من أن الطالب إذا عظمت رغبته في شيء يكثر تصويره إياه فربما يخيل إليه حاصلا نحو رزقني الله لقاءك.
(والدعاء بصيغة الماضي من البلغ) كقوله رحمه الله.

(يحتملهما) أي: التفاؤل وإظهار الحرص. وأما غير البلغ فهو ذاهل عن هذه الاعتبارات.

(أو للاحتراز عن صورة الأمر) كقول العبد للمولى ينظر المولى إلى ساعة دون انظر لأنه في صورة الأمر وأن قصد به الدعاء أو الشفاعة.
(أو لحمل المخاطب على المطلوب بأن يكون) المخاطب.

(ومن لا يجب أن يكذب الطالب) أي: ينسب إليه الكذب كقولك لصاحبك الذي لا يحب تكذيبك: تأتيني غدا مقام أءتيني تحمله بالطف وجهه على الإتيان؛ لأنه أن لم يأتك غدا صرت كاذبا من حيث الظاهر لكون كلامك في صورة الخبر.

(تنبيه) الإنشاء كالخبر في كثير مما ذكر في الأبواب الخمسة السابقة) يعني أحوال الإسناد والمُسند إليه والمُسند ومتعلقات الفعل والقصر.

(فليعتبره) أي: ذلك الكثير الذي يشارك فيه الإنشاء والخبر.

(الناظر) بنور البصيرة في لطائف الكلام مثلا الكلام الإنشائي أيضا إما مؤكد أو غير مؤكد والمُسند إليه إما محذوف أو مذكور، إلى غير ذلك.

الباب السابع

الفصل والوصل

بدأ بذكر الفصل لأنه الأصل، والوصل طارئ، أي: عارض عليه، حاصل بزيادة حرف من حروف العطف، لكن لما كان الوصل بمنزلة الملكة والفصل بمنزلة العدم، والأعدام إنما تعرف بملكاتها بدأ في التعريف بذكر الوصل. فقال.

(الوصل: عطف بعض الجمل على بعض والفصل تركه) أي: ترك عطفه عليه.

(فإذا أتت جملة بعد جملة فالأولى إما أن يكون لها محل من الإعراب أو لا وعلى الأول)

أي: على تقدير أن يكون للأولى محل من الإعراب.

(إن قصد تشريك الثانية لها) أي: للأولى.

(في حكمه) أي: في حكم الإعراب الذي كان لها مثل كونها خبر مبتدأ أو حالا أو صفة

أو نحو ذلك.

(عطفت) الثانية.

(عليها) أي: على الأول ليدل العطف على التشريك المذكور.

(كالمفرد) فإنه إذا قصد تشريكه لمفرد قبله في حكم إعرابه من كونه فاعلا أو مفعولا أو

نحو ذلك وجب عطفه عليه.

(فشرط كونه) أي: كون عطف الثانية على الأولى.

(مقبولا بالواو ونحوه أن يكون بينهما) أي: بين الجملتين.

(جهة جامعة نحو زيد يكتب ويشعر) لما بين الكتابة والشعر من التناسب الظاهر.

(أو يعطى ويمنع) لما بين الإعطاء والمنع من التضاد، بخلاف نحو: زيد يكتب ويمنع أو

يعطى ويشعر وذلك لثلا يكون الجمع بينهما كالجمع بين الضب والنون. وقوله: ونحوه أراد

به ما يدل على التشريك كالفاء وثم وحتى وذكره حشو مفسد لأن هذا الحكم يختص بالواو

لأن لكل من الفاء، وثم، معنى محصلا غير التشريك والجمعية؛ فإن تحقق هذا المعنى حسن العطف وأن لم توجد جهة جامعة بخلاف الواو.

(ولهذا) أي: ولأنه لا بد في الواو من جهة جامعة.

(عيب على أبي تمام، قوله: [الكامل]

لَا وَالَّذِي هُوَ عَالِمٌ أَنَّ النَّوَى صَبِيرٌ وَأَنَّ أَبَا الْحُسَيْنِ كَرِيمٌ^(١)

إذ لا مناسبة بين كرم أبي الحسين ومرارة النوى. فهذا العطف غير مقبول سواء جعل عطف مفرد على مفرد كما هو الظاهر أو عطف جملة على جملة باعتبار وقوعه موقع مفعولي عالم لأن وجود الجامع شرط في الصورتين.

وقوله "لا" نفي لما ادعته الحبيبة عليه من اندراس هواه بدلالة البيت السابق.

(والا) أي: وإن لم يقصد تشريك الثانية للأولى في حكم إعرابها.

(فصلت) الثانية.

(عنها) لئلا يلزم من العطف التشريك الذي ليس بمقصود.

(١) البيت لأبي تمام الطائي، من قصيدة من الكامل، يمدح بها أبا الحسين محمد بن المهيم، وأولها:

أَسْقَى طَلُوبَهُمْ أَجْشَ هَزِيمٍ وَعَدْتُ عَلَيْهِمْ نَضْرَةً وَنَعِيمٍ
جَادَتِ مَعَاهِدَهُمْ عَهْدًا سَحَابِيَةً ... مَا عَهْدُهَا عِنْدَ الدِّيَارِ دَمِيمٍ
سَفَى الْفِرَاقُ عَلَيْكَ يَوْمَ تَحَمَّلُوا رُبِمَا أَرَاهُ وَهُوَ عَنْكَ حَلِيمٍ
ظَلَمْتُكَ ظَالِمَةُ الْبَرِّ ظَلُومٌ وَالظُّلْمُ مِنْ ذِي قُدْرَةٍ مَذْمُومٌ
زَعَمْتُ هَوَاكَ عَفَا الْغَدَاةَ كَمَا عَفَا .. مِنْهَا طُلُوعٌ بِاللَّوَى وَرَسُومٌ

لا والذي هو عالم .. البيت، ويَعْدُهُ:

مَا حُلْتُ عَنْ سَنَنِ الْوَفَاءِ وَلَا غَدْتُ .. نَفْسِي عَلَى الْفَيْ سَوَاكِ عَمُومٌ

والنوى: الفراق.

والشاهد فيه: أن شرط عطف جملة على جملة أن يكون بينهما جهة خاصة ولا كذلك في هذا البيت، إذ لا مناسبة بين كرم أبي الحسين ومرارة النوى، سواء كان نواه أو نوى غيره، فهذا العطف غير مقبول، سواء جعل عطف مفرد على مفرد كما هو الظاهر، أو عطف جملة على جملة باعتبار وقوعه موضع مفعول العلم لأن وجود الجامع شرط فيها، ولهذا عيب على أبي تمام.

(نحو: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤-١٥] لم يعطف ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ على ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ لأنه ليس من مقولهم) فلو عطف عليه لزم تشريكه له في كونه مفعول قالوا: فيلزم أن يكون مقول قول المنافقين وليس كذلك. وإنما قال على ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ دون ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ لأن قوله ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ بيان لقوله ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ فحكمه حكمه. وأيضاً العطف على المتبوع هو الأصل.

(وعلى الثاني) أي: على تقدير أن لا يكون للأولى محل من الإعراب.

(إن قصد ربطها بها) أي: ربط الثانية بالأولى.

(على معنى عاطف سوى الواو عطف) الثانية على الأولى.

(به) أي: بذلك العاطف من غير اشتراط أمر آخر.

(نحو: دخل زيد فخرج عمرو أو ثم خرج عمرو وإذا قصد التعقيب أو المهملة) وذلك لأن ما سوى الواو من حروف العطف يفيد مع الاشتراك معاني محصلة مفصلة في علم النحو، فإذا عطف الثانية على الأولى بذلك العاطف ظهرت الفائدة أعني حصول معاني هذه الحروف. بخلاف الواو فإنه لا يفيد إلا مجرد الاشتراك. وهذا إنما يظهر فيما له حكم إعرابي. وأما في غيره ففيه خفاء واشكال وهو السبب في صعوبة باب الفصل والوصل. حتى حصر بعضهم البلاغة في معرفة الفصل والوصل.

(وإلا) أي: وأن لم يقصد ربط الثانية بالأولى على معنى عاطف سوى الواو.

(فإن كان للأولى حكم لم يقصد إعطاؤه للثانية فالفصل) واجب لئلا يلزم من الوصل التشريك في ذلك الحكم.

(نحو: ﴿وَإِذَا خَلَوْا﴾ الآية لم يعطف ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ على قالوا لئلا يشاركه في الاختصاص بالظرف لما مر) من أن تقديم المفعول ونحوه من الظرف وغيره يفيد

الاختصاص، فيلزم أن يكون استهزاء الله بهم مختصا بحال خلوهم إلى شياطينهم وليس كذلك. فإن قيل إذا شرطية لا ظرفية.

قلنا: إذا الشرطية هي الظرفية استعملت استعمال الشرط ولو سلم فلا ينافي ما ذكرناه؛ لأنه اسم معناه الوقت لا بد له من عامل وهو ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ بدلالة المعنى. وإذا قدم متعلق الفعل وعطف فعل آخر عليه يفهم اختصاص الفعلين به كقولنا: يوم الجمعة سرت وضربت زيدا بدلالة الفحوى والذوق.

(ولا) عطف على قوله فإن كان للأولى حكم أي وأن لم يكن للأولى حكم لم يقصد إعطاؤه للثانية. وذلك بأن لا يكون لها حكم زائد على مفهوم الجملة أو يكون ولكن قصد إعطاؤه للثانية أيضا.

(فإن كان بينهما) أي: بين الجملتين.

(كمال الانقطاع بلا إيهام) أي: بدون أن يكون في الفصل إيهام خلاف المقصود.

(أو كمال الاتصال أو شبه أحدهما) أي: أحد الكمالين.

(فكذلك) أي: يتعين الفصل لأن الوصل يقتضي مغايرة ومناسبة.

(ولا) أي: وأن لم يكن بينهما كمال الانقطاع بلا إيهام ولا كمال الاتصال ولا شبه أحدهما.

(فالوصل) متعين لوجود الداعي وعدم المانع. والحاصل أن للجملتين اللتين لا محل لهما من الإعراب ولم يكن للأولى حكم لم يقصد إعطاؤه للثانية ستة أحوال:

الأول: كمال الانقطاع بلا إيهام.

الثاني: كمال الاتصال.

الثالث: شبه كمال الانقطاع.

الرابع: شبه كمال الاتصال.

الخامس: كمال الانقطاع مع الإيهام.

السادس: التوسط بين الكمالين.

فحكم الأخيرين الوصل وحكم الأربعة السابقة الفصل فاخط المصنف في تحقيق الأحوال الستة فقال.

(أما كمال الانقطاع) بين الجملتين.

(فلاختلافهما خبر أو إنشاء لفظاً ومعنى) بأن يكون أحديهما خبراً لفظاً ومعنى، والآخرى إنشاء لفظاً ومعنى.

(نحو: وقال رائدهم) هو الذي يتقدم القوم لطلب الماء والكلاء.

(أرسوا) أي: اقيموا من أرسيت السفينة حبستها بالمرساة.

(نزاولها)^(١) أي: نحاول تلك الحرب ونعالجها، فكل حثف امرئ يجري بمقدار. أي

أقيموا نقاتل فإن موت كل نفس يجري بقدر الله تعالى لا الجبن ينجيهِ ولا الإقدام يرديه. لم يعطف نزاولها على أرسوا؛ لأنه خبر لفظاً ومعنى، وأرسوا إنشاء لفظاً ومعنى.

وهذا مثال لكمال الانقطاع بين الجملتين باختلافهما خبراً وإنشاء لفظاً ومعنى مع قطع

النظر عن كون الجملتين مما ليس له محل من الإعراب، وإلا فالجملتان في محل نصب على أنه مفعول قال:

(١) وَقَالَ رَائِدُهُمْ أَزْسُوا نَزَاوِلَهَا

هو من البسيط، وقائله الأخطل، كذا ذكره سيويهِ، وليس هو في ديوانه، وتماه:

وكل حثفٍ امرئٍ يجري بمقدارٍ

وبعده:

إما نموتُ كراماً أو نفوز بها .. فواحد الدهر من كدٍّ وأسفار

والرائد: المرسل في طلب الكلاء. وأرسلوا بقطع الهزمة، من رست السفينة ترسو رسولاً ورسوا إذا وقفت على الأنجر معرب لئكر، وهو مرساة السفينة، وهي خشبة يفرغ بينها الرصاص المذاب فتصير كصخرة إذا رست رست السفينة، أو هو من رست أقدامهم في الحرب، أي ثبتت، ونزاولها: من المزاولة وهي المحاولة والمعالجة في تحصيل الشيء، والضمير للسفينة، وقيل: للحرب، وقيل: للخمر وهو لا يناسب ظاهر البيت الذي بعده.

والشاهد في قوله نزاولها فإنه فصله عن قوله أرسوا لأن الأول أمر والثاني خبر، فامتنع العطف بينهما لاختلافهما خبراً وطلباً، لفظاً ومعنى.

(أو) لاختلافهما خبرا وإنشاء.

(معنى) فقط بأن يكون أحديهما خبرا معنى والآخرى إنشاء معنى وأن كانتا خبريتين أو إنشاءيتين لفظا.

(نحو: مات فلان رحمه الله) لم يعطف رحمه الله على مات لأنه إنشاء معنى ومات خبر معنى وأن كانتا جميعا خبريتين لفظا.

(أو لأنه) عطف على لاختلافهما والضمير للشان.

(لا جامع بينهما كما سيأتي). بيان الجامع فلا يصح العطف في مثل زيد طويل وعمرؤ نائم.

(وأما كمال الاتصال) بين الجملتين.

(فلكون الثانية مؤكدة للأولى) تأكيداً معنوياً.

(للدفع توهم تجوز أو غلط نحو: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٦]) بالنسبة إلى ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ إذا جعلت ﴿أَلَمْ﴾ طائفة من الحروف أو جملة مستقلة و﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ جملة ثانية و﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ثالثة.

(فإنه لما بولغ في وصفه) أي: وصف الكتاب.

(بيلوغه) متعلق بوصفه، أي: في أن وصف بأنه بلغ.

(الدرجة القصوى في الكمال) ويقول: بولغ تتعلق الباء في قوله.

(بجعل المبتدأ ذلك) الدال على كمال العناية بتمييزه والتوسل بيده إلى التعظيم وعلو الدرجة.

(وتعريف الخبر باللام) الدال على الانحصار مثل: حاتم الجواد. فمعنى ذلك الكتاب

أنه الكتاب الكامل الذي يستأهل أن يسمى كتاباً كأن ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص بل ليس بكتاب.

(جواز) جواب لما أي جاز بسبب هذه المبالغة المذكورة.

(أن يتوهم السامع قبل التأمل أنه) أعني قوله: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾.

(مما يرمى به جزافا) من غير صدور عن روية وبصيرة.

(فاتبعه) على لفظ المبنى للمفعول والمرفوع المستتر عائد إلى ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ والمنصوب

البارز إلى ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ أي: جعل ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ تابعا لذلك الكتاب.

(نفيا لذلك) التوهم.

(فوزانه) أي: وزان ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ مع ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾.

(وزان نفسه) مع زيد.

(في: جاءني زيد نفسه). فظهر أن لفظ وزان في قوله: وزان نفسه ليس بزائد كما توهم أو

تأكيدا لفظيا كما أشار إليه بقوله.

(ونحو: ﴿هُدًى﴾) أي: هو هدى.

(﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾) أي: الضالين الصائرين إلى التقوى.

(فإن معناه أنه) أي: الكتاب.

(في الهداية بالغ درجة لا يدركها كنهها) أي: غايتها لما في تنكير هدى من الإيهام

والتفخيم.

(حتى كأنه هداية محضة) حيث قيل: ﴿هُدًى﴾ ولم يقل هاد.

(وهذا معنى ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ لأن معناه كما مر الكتاب الكامل. والمراد بكماله كماله في

الهداية لأن الكتب السماوية بحسبها) أي: بقدر الهداية واعتبارها.

(تفاوت في درجات الكمال) لا بحسب غيرها لأنها المقصود الأصلي من الإنزال.

(فوزانه) أي: وزان هدى للمتقين.

(وزان زيد الثاني في جاءني زيد زيد) لكونه مقررًا لذلك الكتاب مع اتفاقهما في المعنى

بخلاف ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ فإنه يخالفه معنى.

(أو) لكون الجملة الثانية.

(بدلاً منها) أي: من الأولى.

(لأنها) أي: الأولى.

(غير وافية بشام المراد أو كغير الوافية) حيث يكون في الوفاء قصور ما أو خفاء ما.

(بخلاف الثانية) فإنها وافية كمال الوفاء.

(والمقام يقتضي اعتناء بشأنه) أي: بشأن المراد.

(لنكتة ككونه) أي: المراد (مطلوباً في نفسه أو فظيماً أو عجيباً أو لطيفاً) فتزول الثانية

من الأولى منزلة بدل البعض أو الاشتغال فالأول.

(نحو: ﴿أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٣٢) ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيْنَ ١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾

[الشعراء: ١٣٢-١٣٤] فإن المراد التنبيه على نعم الله تعالى) والمقام يقتضي اعتناء بشأنه

لكونه مطلوباً في نفسه وذريعة إلى غيره.

(والثاني) أعني قوله: ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ﴾ ... إلى آخره.

(أو في بتأديته) أي: تأدية المراد الذي هو التنبيه.

(لدلالته) أي: الثانية.

(عليها) أي: على نعم الله تعالى.

(بالتفصيل من غير إحالة على علم المخاطبين المعاندين فوزاته وزان وجهه في أعجبني

زيد وجهه لدخول الثاني في الأول) لأن ما تعلمون يشتمل الأنعام وغيرها.

(والثاني) أعني المنزل منزلة بدل الاشتغال.

(نحو:

أَقُولُ لَهُ ارْحَلْ لَا تُقِيمَنَّ عِنْدَنَا وَلَا فُكْنٌ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ مُسْلِمًا^(١)

(١) البيت من الطويل، ولا أعرف قائله، وكذلك ذكر العيني في شواهد.

ومعناه: إن لم ترحل فكن على ما يكون عليه المسلم من استواء الحالين في السر والجهر.

والشاهد فيه: كون الجملتين بينهما كمال الاتصال، لكون الثانية أوفى بتأدية المراد من الأولى، فترلت منزلة بدل الاشتغال فلم تعطف عليها، وهما ههنا قوله ارحل وقوله لا تقيمَنَّ عندنا لأن في قوله ارحل كمال إظهار

فإن المراد به) أي: بقوله ارحل.

(كمال إظهار الكراهة لإقامته) أي: المخاطب.

(وقوله: لا تقيمن عندنا أو في بتأديته لدلالته) أي: لدلالة لا تقيمن عندنا.

(عليه) أي: كمال إظهار الكراهة.

(بالمطابقة مع التأكيد) الحاصل من النون وكونها مطابقة باعتبار الوضع العرفي حيث

يقال: لا تقم عندي ولا يقصد كفه عن الإقامة بل مجرد إظهار كراهة حضوره.

(فوزانه) أي: وزان لا تقيمن عندنا.

(وزان حسننها في: أعجبني الدار حسننها؛ لأن عدم الإقامة مغاير للارتحال) فلا يكون

تأكيدا.

(وغيره داخل فيه) فلا يكون بدل بعض ولم يعتد ببدل الكل؛ لأنه إنما يتميز عن التأكيد

بمغايرة اللفظين وكون المقصود هو الثاني وهذا لا يتحقق في الجمل لا سيما التي لا محل لها

من الإعراب.

(مع ما بينهما) أي: بين عدم الإقامة والارتحال.

(من الملابس) اللزومية فيكون بدل اشتغال.

والكلام في أن الجملة الأولى أعني ارحل ذات محل من الإعراب مثل ما مر في أرسوا

نزاولها.

وإنما قال في المثالين أن الثانية أو في لأن الأولى وافية مع ضرب مر القصور باعتبار

الإجمال وعدم مطابقة الدلالة فصارت كغير الوافية.

(أو) لكون الثانية (بيانا لها) أي: للأولى (لخفائها) أي: الأولى.

=

الكراهة لإقامة المخاطب، وقوله لا تقيمن عندنا أرفى بتأدية المراد لدلالته على إظهار الكراهة لإقامته

بالمطابقة مع التأكيد الحاصل من اللفظين. وانظر معاهد التنصيص ٩٣/١.

(نحو) ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلَى﴾
[طه: ١٢٠] فإن وزانه) أي: وزان قال يا آدم.
(وزان عمر في قوله:

أَقْسَمَ بِاللَّهِ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ^(١)

ما مسها من نقب ولا دبر، حيث جعل الثاني بيانا وتوضيحا للأول. فظهر أن ليس لفظ
قال بيانا وتفسيرا للفظ وسوس حتى يكون هذا من باب بيان الفعل دون الجملة بل المبين
هو مجموع الجملة.

(وأما كونها) أي: الجملة الثانية كالمقطعة عنها أي عن الأولى.

(فلكون عطفها عليها) أي: عطف الثانية على الأولى.

(موهوما لعطفها على غيرها) مما ليس بمقصود وشبه هذا بكمال الانقطاع باعتبار اشتماله
على مانع من العطف، إلا أنه لما كان خارجا يمكن دفعه بنصب قرينة لم يجعل هذا من كمال
الانقطاع.

(ويسمى الفصل لذلك قطعاً مثاله:

وتظن سلمى أنني أبغي بها بدلا أراها في الضلال تهيم^(٢)

(١) هو من الرجز، قائله أعرابي، وبعده:

ما إن بها من نقب ولا دبر .. اغفر له اللهم إن كان فَجَرٌ

يروى أن هذا الأعرابي جاء إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: إن أهلي ببادية بعيدة، وإنني
على ناقة دبراء عجفاء ثقباء، واستحملته، فظننته كاذباً، فلم يحمله، فانطلق الأعرابي فحل ناقته ثم استقبل
البطحاء وجعل يقول الأبيات، وعمر رضي الله عنه مقبل من أعلى الوادي، فجعل إذا قال " اغفر له اللهم
إن كان فجر " قال: اللهم صدق، حتى التقي، فأخذ بيده، وقال له: ضع عن راحلتك، فوضع فإذا هي كما
وصف، فحمله على بعير، وزوده وكساه.

والنقب: رقة الأخفاف. والدبر: قرحة الدابة.

والشاهد فيه: جعل عمر بيانا وتوضيحا لأبي حفص.

(٢) البيت من الكامل، ولا أعرف قائله، وكذلك ذكر العيني أيضا.

فبين الجملتين مناسبة ظاهرة لاتحاد المسندين؛ لأن معنى أراها أظنها وكون المسند إليه في الأولى محبوباً، وفي الثانية محباً لكن ترك العاطف لئلا يتوهم أنه عطف على أبغى فيكون من مظنونات سلمى.

(ويمحتمل الاستثناف) كأنه قيل: كيف تراها في هذا الظن؟ فقال: أراها تتحير في ادوية الضلال.

(وأما كونها) أي: الثانية.

(كالمتصلة بها) أي: بالأولى.

(فلكونها) أي: الثانية.

(جواباً لسؤال اقتضته الأولى فتتزل) الأولى.

(منزلته) أي: السؤال لكونها مشتملة عليه ومقتضية له.

(فتفصل) أي: الثانية.

(عنها) أي: عن الأولى.

(كما يفصل الجواب عن السؤال) لما بينهما من الاتصال.

(وقال السكاكي فينزل ذلك) أي: السؤال الذي تقتضيه الأولى وتدل عليه بالفحوى.

(منزلة السؤال الواقع) ويطلب بالكلام الثاني وقوعه جواباً له فيقطع عن الكلام الأول

لذلك وتنزله منزلة الواقع إنها يكون.

(لنكتة كإغناء السامع عن أن يسأل أو) مثل.

=

والضلال: ضد الهدى.

والشاهد فيه: عدم عطف الجملة الثانية لكونه موهماً له على غيرها لأن بين الجملتين الجبريتين، وهما وتظن سلمى، أراها، مناسبة ظاهرة لاتحادهما في المسند، لأن معنى أراها أظنها، والمسند إليه في الأول محبوب، وفي الثانية محب، فلو عطف أراها على تظن لتوهم أنه عطف على أبغى وهو أقرب إليه، فبكون من مظنونات سلمى، وليس كذلك. وانظر معاهد التنصيص ٩٥/١.

(أن لا يسمع منه) أي: من السامع.

(شيء) تحقيرا له وكراهة لكلامه أو مثل أن لا يتقطع كلامك بكلامه، أو مثل القصد إلى تكثير المعنى بتقليل اللفظ وهو تقدير السؤال وترك العاطف أو غير ذلك وليس في كلام السكاكي دلالة على أن الأولى تنزل منزلة السؤال، فكأن المصنف نظر إلى قطع الثانية عن الأولى مثل قطع الجواب عن السؤال إنما يكون على تقدير تنزيل الأولى منزلة السؤال وتشبيهها به والأظهر أنه لا حاجة إلى ذلك بل مجرد كون الأولى منشأ للسؤال كاف في ذلك أشير إليه في الكشف.

(ويسمى الفصل لذلك) أي: لكونه جوابا لسؤال اقتضته الأولى.

(استئنافا وكذا) الجملة.

(الثانية) نفسها أيضا تسمى استئنافا ومستأنفة.

(وهو) أي: الاستئناف.

(ثلاثة أضرب لأن السؤال) الذي تضمنته الأولى.

(أما عن سبب الحكم مطلقا نحو:

قال لي كيف أنت قلت عليل سهر دائم وحزن طويل^(١)

أي: ما بالك عليلا أو ما سبب علتك) بقريئة العرف والعادة؛ لأنه إذا قيل: فلان مريض فإنما يسأل عن مرضه وسببه، لا أن يقال هل سبب علته كذا وكذا لا سيما السهر والحزن حتى يكون السؤال عن السبب الخاص.
(وإما عن سبب خاص) لهذا الحكم.

(١) ومعناه ظاهر، والشاهد فيه حذف المسند إليه للاحتراز عن العبث مع ضيق المقام، وهو قوله عليل أي أنا عليل، فحذف المبتدأ لما مر.

ومثله قول أبي الطمحن القيني الشاعر الجاهلي، وقال ابن قتيبة: الصحيح أنه للقيط بن زرارة من الطويل:

أضاءت لهم أخسائهم ووجوههم .. دجى الليل حتى نظم الجزع ناقبة
نجوم سماء كلما انقض كوكب بدا كوكب تأوي إليه كواكية.

(نحو: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣] كأنه قيل: هل النفس أماراة بالسوء؟).

فقيل: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ بقرينة التأكيد فالتأكيد دليل على أن السؤال عن السبب الخاص فإن الجواب عن مطلق السبب لا يؤكد.

(وهذا الضرب يقتضي تأكيد الحكم) الذي هو في الجملة الثانية أعني الجواب؛ لأن السائل متردد في هذا السبب الخاص هل هو سبب الحكم أم لا.

(كما مر) في أحوال الإسناد الخبري من أن المخاطب إذا كان طالبا مترددا حسن تقوية الحكم بمؤكد.

ولا يخفى أن المراد الاقتضاء استحسانا لا وجوبا والمستحسن في باب البلاغة بمنزلة الواجب.

(وإما عن غيرهما) أي: غير السبب المطلق والسبب الخاص.

(نحو: ﴿قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾ [هود: ٦٩]) أي: فماذا قال إبراهيم في جواب سلامهم فقيل: ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾، أي حياهم بتحية أحسن لكونها بالجملة الاسمية الدالة على الدوام والثبوت.

(وقوله: زعم العواذل) جمع عاذلة بمعنى جماعة عاذلة.

(أنني في غمرة) وشدة.

(صدقوا) أي: الجماعات العواذل في زعمهم أنني في غمرة.

(ولكن غمري لا تنجلي)^(١) ولا تنكشف بخلاف أكثر الغمرات والشدائد كأنه قيل:

أصدقوا أم كذبوا؟ فقيل: صدقوا.

(١) البيت من الكامل، ولا أعرف قائله.

والعواذل: جمع عاذلة بمعنى جماعة عاذلة، لا امرأة عاذلة، بدليل قوله صدقوا وغمرة الشيء: شدته ومزدحه.

(وأيضاً منه) أي: من الاستثناف. وهذا إشارة إلى تقسيم آخر له.

(ما يأتي بإعادة اسم ما استؤنف عنه) أي: وقع عنه الاستثناف وأصل الكلام ما استؤنف عنه الحديث فحذف المفعول ونزل الفعل منزلة اللازم.
(نحو: أحسنت) أنت.

(إلى زيد زيد حقيق بالإحسان) بإعادة اسم زيد.

(ومنه ما يبني على صفته) أي: صفة ما استؤنف عنه دون اسمه. والمراد بالصفة صفة تصلح لترتب الحديث عليه.
(نحو) أحسنت إلى زيد.

(صديقك القديم أهل لذلك) والسؤال المقدر فيها لماذا أحسن إليه؟ وهل هو حقيق بالإحسان؟.

(وهذا) أي: الاستثناف المبني على الصفة.

(أبلغ) لاشتماله على بيان السبب الموجب للحكم كالصداقة القديمة في المثال المذكور لما يسبق إلى الفهم من ترتب الحكم على الوصف الصالح للعلية أنه علة له.
وههنا بحث: وهو أن السؤال إن كان عن السبب فالجواب يشتمل على بيانه لا محالة، وإلا فلا وجه لاشتماله عليه كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ ۖ﴾، وقوله: زعم العواذل، ووجه التفصي عن ذلك مذكور في الشرح.
(وقد يحذف صدر الاستثناف) فعلا كان أو اسماً.

والشاهد فيه: وقوع الجملة المستأنفة جواباً للسؤال عن غير سبب مطلق أو خاص، كأنه قيل: اصدقوا في هذا الزعم أم كذبوا؟ فقال: صدقوا، وفصله عما قبله لكونه استثنافاً.
ومنه قول جندب بن عمار من الكامل:

زعمَ العواذِلُ أن ناقةً جُنْدَبٍ .. بجنوب خَبِتْ عُرَيْتُ وَأَجَمَّتْ
كذبَ العواذِلُ لو رأينَ مُناخنا بالقادسية قُلْنَ لَجَّ وذلت.

(نحو: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ﴾ [النور: ٣٦-٣٧]) فيمن قرأها مفتوحة الباء كأنه قيل: من يسبحه؟ فقيل: ﴿رِجَالٌ﴾ أي يسبحه رجال.

(وعليه نعم الرجل زيد) أو نعم رجلا زيد.

(على قول) أي: على قول من يجعل المخصوص خبر مبتدأ محذوف أي هو زيد. ويجعل

الجملة استئنافا جوابا للسؤال عن تفسير الفاعل المبهم.

(وقد يحذف) الاستئناف.

(كله إما مع قيام شيء مقامه نحو) قول الحماسي: [الوافر]

(رَعِمْتُمْ أَنَّ إِخْرَجْتَكُمْ قُرَيْشٌ هُمْ الْإِفْ)

أي: إيلاف في الرحلتين المعروفتين لهم في التجارة رحلة في الشتاء إلى اليمن ورحلة في

صَيْفٍ إلى الشام.

(وَلَيْسَ لَكُمْ إِلَافٌ)^(١)

(١) البيت لمساور بن هند بن قيس بن زهير، من الوافر يهجو بني أسد، وبعده:

أولئك أومئوا جوعاً وخَوْفاً .. وقد جاعت بنو أسد وخَافُوا

والزعم: ادعاء العلم، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم "زعموا مطية الكذب، وعن شريح رحمه الله: لكل شيء كنية، وكنية الكذب زعموا. لكن سيبويه رحمه الله يكثر في كتابه من قول زعم الخليل لا يري بذلك إبطال قوله، وقال أبو طالب للنبي صلى الله عليه وسلم من الكامل:

ودعوتني وزعمت أنك صادق .. ولقد صدقت وكنت ثم أمينا

وقريش: هي القبيلة المشهورة، سموا بذلك لتجمعهم في الحرم، أو لأنهم كانوا يتقرشون المبتاعات فيشترونها، ولن الضر بن كنانة اجتمع في ثوبه فليل تقرش، أو لأنه جاء إلى قومه فقالوا كأنه جمل قريش: أي شديد، أو سموا بمصغر القرش وهو دابة بحرية تخافها دواب البحر كلها، والإلف والإيلاف: العهد، وشبه الإجازة بالخفارة، وأول من أخذها هاشم من ملك الشام، فكان هاشم يولف إلى الشام، وعبد شمس إلى الحبشة، والمطلب إلى اليمن، ونوفل إلى فارس، وكان تجار قريش يختلفون إلى هذه الأمصار بحبال هذه الإخوة فلا يتعرض لهم أحد، وكان كل أخ منهم قد أخذ حبلاً من ملك ناحية سفره أماناً له.

والشاهد فيه: حذف الاستئناف وقيام شيء مقامه، فكأنهم قالوا: أصدقنا في هذا الزعم أم كذبنا؟ فقيل: كذبتهم، فحذف هذا الاستئناف وأقيم قوله، لهم إلف وليس لكم إلف، مقامه لدلالته عليه.

ومساور بن هند بن قيس بن زهير العبسي شاعر، وكان جده قيس مشهوراً في الجاهلية، ولا سيما في حرب داحس والغبراء، وذكر الأصمعي ما يدل على أنه له إدراكاً للنبي صلى الله عليه وسلم، قال: وكان نحو أبي

أي: مؤالفة في الرحلتين المعرفتين كأنه قيل: أصدقنا في هذا الزعم أم كذبتنا؟ فقيل: كذبتم.

فحذف هذا الاستئناف كله وأقيم قوله: لهم آلاف وليس لكم الألف مقامه لدلالته عليه.

(أو بدون ذلك) أي: قيام شيء مقامه اكتفاء بمجرد القرينة.

(نحو: ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ [الذاريات: ٤٨]) أي: نحن.

(على قول) أي: على قول من يجعل المخصوص خبر المبتدأ أي هم نحن. ولما فرغ من بيان الأحوال الأربعة المقتضية للفصل شرع في بيان الحالتين المقتضيتين للوصل. فقال.

(وأما الوصل لدفع الإيهام فكقولهم: لا وأيدك الله) فقولهم: لا رد لكلام سابق كما إذا قيل: هل الأمر كذلك؟ فيقال: لا. أي ليس الأمر كذلك فهذه جملة إخبارية.

وأيدك الله: جملة إنشائية دعائية فينبها كمال الانقطاع، لكن عطفت عليها لأن ترك العطف يوهم أنه دعاء على المخاطب بعدم التأييد مع أن المقصود الدعاء له بالتأييد، فأينما وقع هذا الكلام فالمعطوف عليه هو مضمون قولهم لا وبعضهم لما لم يقف على المعطوف عليه في هذا الكلام.

==

عمرو بن العلاء رحمه الله في السنن، وقال: حدثني من رأى مساور بن هند أنه ولد في حرب داحس والغبراء قبل الإسلام بخمسين عاماً. وذكره المرزباني في معجم الشعراء وذكر له قصة مع عبد الملك بن مروان. وفي حكاية الأصمعي أنه لما عمر صغرت عيناه وكبرت أذناه، فجعلوه في بيت صغير ووكلوا به امرأة، فرأى ذات يوم غفلة فخرج فجلس في وسط البيت وكوم كومة من تراب ثم أخذ بعرتين فقال هذه ثلاثة، وهذه ثلاثة، ثم أحس بالمرأة فقام وهرب. وقال الأصمعي: بلغني أنه أتى به إلى الحجاج فقال له: ما صنعت بقولك الشعر وقد كبرت؟ فقال: أسقي به الماء، وأرعى به الكلا، وتقضي لي به الحاجة، فإن كفيتني لك تركته. وقال المرزباني: كان أعور وهو من المتقدمين في الإسلام، هو وأبوه وجده أشرف من بني عبس شعراء فرسان.

نقل عن الثعالبي حكاية مشتملة على قوله قلت: لا وأيدك الله، وزعم أن قوله: وأيدك الله عطف على قوله: قلت، ولم يعرفونه لو كان كذلك لم يدخل الدعاء تحت القول، وأنه لو لم يحك الحكاية فحينما قال للمخاطب: لا وأيدك الله، فلا بد له من معطوف عليه.

(وإما للتوسط) عطف على قوله إما الوصل لدفع الإيهام أي إما الوصل لتوسط الجملتين بين كمال الانقطاع والاتصال.

وقد صحفه بعضهم إما بكسر الهمزة بفتح الهمزة فركب متن عمياء وخطب خطب عشواء.

(فإذا اتفقتا) أي: الجملتان.

(خبراً أو إنشاء لفظاً ومعنى أو معنى فقط بجامع) أي: بأن يكون بينهما جامع بدلالة ما سبق من أنه إذا لم يكن بينهما جامع فينبغي كمال الانقطاع، ثم الجملتان المتفقتان خبراً أو إنشاء لفظاً ومعنى قسماً لأنها إما إنشائيتان أو خبريتان والمتفقتان معنى فقط ستة أقسام لأنها إن كانتا إنشائيتين معنى فاللفظان إما خبران، أو الأولى خبر والثانية إنشاء أو بالعكس، وإن كانتا خبريتين معنى فاللفظان إما إنشائان أو الأولى إنشاء والثانية خبر، أو بالعكس فالمجموع ثمانية أقسام.

والمصنف أورد للقسمين الأولين مثاليهما.

(كقوله تعالى ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] وقوله ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [١٣] وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الأنفطار: ١٣-١٤] في الخبريتين لفظاً ومعنى إلا أنها في المثال الثاني متناسبة في الاسمية بخلاف الأول.

(وقوله تعالى ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١]) في الإنشائيتين لفظاً ومعنى، وأورد للاتفاق معنى فقط مثالا واحداً وإشارة إلى أنه يمكن تطبيقه على قسمين من أقسامه الستة وأعاد فيه لفظة الكاف تنبيهاً على أنه مثال للاتفاق معنى فقط فقال.

٢٣٢ مختصر المعاني للفتازاني

(وكقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]) فعطف قولوا على ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ مع اختلافهما لفظا لكونهما إنشائيتين معنى لأن قوله: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ إخبار في معنى الإنشاء.

(أي: لا تعبدوا). وقوله ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: ٨٣] لابد له من فعل فاما أن يقدر خبر في معنى الطلب أي.

(وتحسنون بمعنى احسنوا) فتكون الجملتان خبرا ولفظا وإنشاء معنى وفائدة تقدير الخبر. ثم جعله بمعنى الإنشاء إما لفظا فالملازمة مع قوله: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ وإما معنى فالمبالغة باعتبار أن المخاطب كأنه سارع إلى الامتثال فهو يخبر عنه كما تقول: تذهب إلى فلان وتقول له كذا تريد الأمر.

(أو) يقدر من أول الأمر صريح الطلب على ما هو الظاهر أي.

(وأحسنوا) بالوالدين إحسانا فتكونان إنشائيتين معنى مع أن لفظة الأولى أخبار ولفظة الثانية إنشاء.

(والجامع بينهما) أي: بين الجملتين.

(يجب أن يكون باعتبار المسند إليهما والمسندين جميعا) أي: باعتبار المسند إليه في الجملة الأولى والمسند إليه في الجملة الثانية وكذا باعتبار المسند في الجملة الأولى والمسند في الجملة الثانية.

(نحو: "يشعر زيد ويكتب") للمناسبة الظاهرة بين الشعر والكتابة وتقارنهما في خيال أصحابهما.

(ويعطى) زيد.

(ويمنع) لتضاد الاعطاء والمنع. هذا عند اتحاد المسند إليهما، وأما عند تغايرهما فلا بد من تناسبهما أيضا كما أشار إليه بقوله.

(زيد شاعر وعمرو كاتب وزيد طويل وعمرو قصير لمناسبة بينهما). أي: بين زيد وعمرو كالأخوة أو الصداقة أو العداوة أو نحو ذلك وبالجملية يجب أن يكون أحدهما مناسباً للآخر وملابساً له ملائمة لها نوع اختصاص بهما.

(بخلاف زيد كاتب وعمرو شاعر بدونها) أي: بدون المناسبة بين زيد وعمرو فإنه لا يصح وأن اتحد المستندان؛ ولهذا حكموا بامتناع نحو: خفي ضيق وخاتمي ضيق.

(وبخلاف زيد شاعر وعمرو طويل مطلقاً) أي: سواء كان بين زيد وعمرو ومناسبة أو لم تكن لعدم تناسب الشعر وطول القامة.

(السكاكي) ذكر أنه يجب أن يكون بين الجملتين ما يجمعهما عند القوة المفكرة جمعاً من جهة العقل وهو الجامع العقلي أو من جهة الوهم وهو الجامع الوهمي أو من جهة الخيال وهو الجامع الخيالي.

والمراد بالعقلي: القوة العاقلة المدركة للكليات. وبالوهمي: القوة المدركة للمعاني الجزئية الموجودة في المحسوسات من غير أن تتأدى إليها من طرق الحواس، كإدراك الشاة معنى في الذئب. وبالخيال: القوة التي تجتمع فيها صور المحسوسات وتبقى فيها بعد غيوبتها عن الحس المشترك وهي القوة التي تتأدى إليها صور المحسوسات من طرق الحواس الظاهرة وبالمفكرة القوة التي من شأنها التفصيل والتركيب بين الصور المأخوذة عن الحس المشترك والمعاني المدركة بالوهم بعضها مع بعض ونعني بالصور ما يمكن ادراكها باحدى الحواس الظاهرة وبالمعاني ما لا يمكن ادراكها.

فقال السكاكي: الجامع بين الجملتين إما عقلي وهو أن يكون بين الجملتين اتحاد في تصور ما مثل الاتحاد في المخبر عنه أو في المخبر به أو في قيد من قيودهما وهذا ظاهر في أن المراد بالتصور الأمر المتصور.

ولما كان مقرراً عندهم أنه لا يكفي في عطف الجملتين وجود الجامع بين فردين من مفرداتها باعتراف السكاكي أيضاً غير المصنف عبارة السكاكي. فقال.

(الجامع بين الشيتين إما عقلي) وهو أمر بسببه يقتضي العقل اجتماعهما في المفكرة وذلك.
 (بأن يكون بينهما اتحاد في التصور أو تماثل فإن العقل بتجريد المثلين عن الشخص في
 الخارج يرفع التعدد) بينهما فيصيران متحدين، وذلك؛ لأن العقل يجرد الجزئي الحقيقي عن
 عوارضه المشخصة الخارجية ويتنزع منه المعنى الكلي فيدركه على ما تقرر في موضعه.
 وإنما قال: في الخارج؛ لأنه لا يجرده عن الشخصات العقلية لأن كل ما هو موجود في
 العقل فلا بد له من تشخص عقلي به يمتاز عن سائر المعقولات.

وهنا بحث: وهو أن التماثل هو الاتحاد في النوع مثل اتحاد زيد وعمرو مثلا في
 الإنسانية وإذا كان التماثل جامعا لم تتوقف صحة قولنا: زيد كاتب وعمرو وشاعر على اخوة
 زيد وعمرو أو صداقتها أو نحو ذلك لأنها متماثلان لكونهما من أفراد الإنسان.
 والجواب: أن المراد بالتماثل ههنا هو اشتراكهما في وصف له نوع اختصاص بهما على ما
 سيتضح في باب التشبيه.

(أو تضاييف) وهو كون الشيتين بحيث لا يمكن تعقل كل منهما إلا بالقياس إلى تعقل
 الآخر.

(كما بين العلة والمعلول) فإن كل أمر يصدر عنه أمر آخر بالاستقلال أو بواسطة انضمام
 الغير إليه فهو علة والآخر معلول.
 (أو الأقل والأكثر) فإن كل عدد يصير عند العد فانيا قبل عدد آخر فهو أقل من الآخر
 والآخر أكثر منه.

(أو وهمي) وهو أمر بسببه يحتال الوهم في اجتماعهما عند المفكرة بخلاف العقل فإنه إذا
 خلى ونفسه لم يحكم بذلك وذلك.

(بأن يكون بين تصوريهما شبه تماثل كلوني بياض وصفرة فإن الوهم يبرزهما في معرض
 المثلين) من جهة أنه يسبق إلى الوهم أنهما نوع واحد زيد في أحدهما عارض بخلاف العقل
 فإنه يعرف أنهما نوعان متباينان داخلان تحت جنس هو اللون.

(ولذلك) أي: ولأن الوهم يبرزهما في معرض المثليين.

(حسن الجمع بين الثلاثة التي في قوله: [البسيط])

ثَلَاثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِيَهْجَتِهَا شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ^(١)

فإن الوهم يتوهم أن الثلاثة من نوع واحد وإنما اختلفت بالعوارض والعقل يعرف أنها أمور متباينة.

(١) البيت لمحمد بن وهيب، من البسيط يمدح المعتصم، وأبو إسحاق: كنيته، واسمه محمد. حدث أبو محم قال: اجتمع الشعراء على باب المعتصم، فبعث إليهم محمد ابن عبد الملك الزيات، فقال لهم: إن أمير المؤمنين يقول لكم: من كان منكم يحسن أن يقول مثل قول النعمري في الرشيد من البسيط: خليفة الله إن الجود أودية أحلك الله منها حيث تجتمع من لم يكن ببني العباس معتصماً .. فليس بالصلوات الخمس يتفجع إن أخلف القطر لم تخلف غايله أو ضاق أمر ذكرناه فيتسع فليدخل وإلا فلينصرف، فقام محمد بن وهيب، فقال: فينا من يقول مثله، قال: وأي شيء قلت؟ فقال من البسيط:

ثَلَاثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِيَهْجَتِهَا .. شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ
فَالشَّمْسُ تَحْكِيهِ فِي الْإِشْرَاقِ طَالِعَةً إِذَا تَقَطَّعَ عَنْ إدْرَاكِهَا النَّظَرُ
وَالْبَدْرُ يَحْكِيهِ فِي الظُّلُمَاءِ مُبْلِجاً إِذَا اسْتَنَارَتْ لِيَالِيهِ بِهِ الْغُرُ
يَحْكِي أَفَاعِيلَهُ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ الْغَيْثُ وَاللِّيثُ وَالصَّمْصَامَةُ الذِّكْرُ
فَالغَيْثُ يَحْكِي نَدَى كَفَيْهِ مِنْمَهراً إِذَا اسْتَهْلَ بِصُوبِ الدِّيمَةِ الْمَطَرُ
وَرَبِّهَا صَالَ أحياناً عَلَى حَتَقٍ شَبِيهُ صَوْلَتِهِ الضَّرْغَامَةُ الْمَهْصَرُ
وَالْهَنْدَوَانِيُّ يَحْكِي مِنْ عَزَائِمِهِ صَرِيمةَ الرَّأْيِ مِنْهُ النُّقْصُ وَالْمَرْزُ
وَكُلُّهَا مُشَبَّهٌ شَيْئاً عَلَى حَدِّهِ وَقَدْ تَخَالَفَ فِيهَا الْفِعْلُ وَالصُّورُ
وَأَنْتَ جَامِعٌ مَا فِيهِنَّ مِنْ حَسَنِ فَقَدْ تَكَامَلَ فِيكَ النُّعْ وَالضَّرُ
فَالْخُلُقُ جِسْمٌ لَهُ رَأْسٌ يَدْبُرُهُ وَأَنْتَ جَارِحَتَاهُ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ

فأمر بإدخاله وأحسن جائزته.

والشاهد فيه هنا: بيان أن الجامع بين الثلاثة المذكورة فيه وهمي، وهو ما بينها من شبه التماثل حمل الوهم على أن يمتثل في اجتماعها في المفكرة وإبرازها في معرض الأمثال متوهماً أنها من نوع واحد، وإنما اختلفت بالعوارض والمشتخصات، بخلاف العقل؛ فإنه إذا خلى ونفسه حكم بأن كلاً منها من نوع آخر، وإنما اشتركت في عارض هو إشراق الدنيا بيهجتها، على أن ذلك في أبي إسحاق مجاز.

(أو) يكون بين تصوريهما.

(تضاد) وهو التقابل بين امرين وجوديين يتعاقبان على محل واحد.

(كالسواد والبياض) في المحسوسات.

(الإيمان والكفر) في المعقولات والحق أن بينهما تقابل العدم والملكة، لأن الإيمان هو تصديق النبي عليه الصلاة والسلام في جميع ما علم بحجته به بالضرورة أعني قبول النفس لذلك والإذعان له على ما هو تفسير التصديق في المنطق عند المحققين مع الإقرار به باللسان والكفر عدم الإيمان عما من شأنه الإيمان.

وقد يقال: الكفر إنكار شيء من ذلك فيكون وجوديا فيكونان متضادين.

(وما يتصف بها) أي: بالمذكورات كالأسود والأبيض والمؤمن والكافر وأمثال ذلك؛

فإنه قد يعد من المتضادين باعتبار الاشتغال على الوصفين المتضادين.

(أو شبه تضاد كالسواء والأرض) في المحسوسات فإنها وجوديان: أحدهما في غاية

الارتفاع والآخر في غاية الانحطاط، وهذا معنى شبه التضاد، وليس متضادين لعدم

تواردتهما على المحل لكونهما من الاجسام دون الأعراض، ولا من قبيل الاسود والابيض

لأن الوصفين المتضادين ههنا ليسا بداخلين في مفهومي السماء والأرض.

(والأول والثاني) فيما يعم المحسوسات والمعقولات فإن الأول هو الذي يكون سابقا

على الغير ولا يكون مسبوقا بالغير.

والثاني: هو الذي يكون مسبوقا بواحد فقط فاشبهها المتضادين باعتبار اشتغالهما على

وصفين لا يمكن اجتماعهما ولم يجعل متضادين كالاسود والابيض لأنه قد يشترط في

المتضادين أن يكون بينهما غاية الخلاف. ولا يخفى أن مخالفة الثالث والرابع وغيرهما للأول

أكثر من مخالفة الثاني له مع أن العدم معتبر في مفهوم الأول فلا يكون وجوديا.

(فإنه) أي: إنما يجعل التضاد وشبهه جامعا وهما لأن الوهم.

(ينزلهما منزلة التضائف) في أنه لا يحضره أحد المتضادين أو الشبهين بهما إلا ويحضره الآخر.

(ولذلك تجدد الضد اقرب خطورا بالبال مع الضد) من المغايرات الغير المتضادة يعني أن ذلك مبنى على حكم الوهم وإلا فالعقل يتعقل كلا منهما ذاهلا عن الآخر.
(أو خيالي) وهو أمر بسببه يقتضي الخيال اجتماعهما في المفكرة وذلك.
(بأن يكون بين تصوريهما تقارن في الخيال سابق) على العطف لأسباب مؤدية إلى ذلك.
(وأسبابه) أي: واسباب التقارن في الخيال.

(مختلفة ولذلك اختلفت الصور الثابتة في الخيالات ترتيبا وضوحا) فكم من صور لا انفكاك بينها في خيال وهي في خيال آخر مما لا تجتمع أصلا وكم من صور لا تغيب عن خيال وهي في خيال آخر مما لا تقع قط.

(ولصاحب علم المعاني فضل احتياج إلى معرفة الجامع) لأن معظم أبوابه الفصل والوصل وهو مبنى على الجامع.
(لا سيما) الجامع.

(الخيالي فإن جمعه على مجرى الالف والعادة) بحسب انعقاد الأسباب في إثبات الصور في خزانة الخيال وبيان الأسباب مما يفوته الحصر.

فظهر أن ليس المراد بالجامع العقلي ما يدرك بالعقل وبالوهمي ما يدرك بالوهم وبالخيالي ما يدرك بالخيال؛ لأن التضاد وشبهه ليسا من المعاني التي يدركها الوهم وكذا التقارن في الخيال ليس من الصور التي تجتمع في الخيال بل جميع ذلك معان معقولة، وقد خفي هذا على كثير من الناس فاعترضوا بأن السواد والبياض مثلا من المحسوسات دون الوهميات. وأجابوا بأن الجامع كون كل منهما متضادا للآخر وهذا معنى جزئي لا يدركه إلا الوهم. وفيه نظر لأنه ممنوع.

وإن أرادوا أن تضاد هذا السواد لهذا البياض معنى جزئي فتأمل هذا مع ذلك وتضائفه معه أيضا معنى جزئي فلا تفاوت بين التماثل والتضائف وشبههما في أنها إن أضيفت إلى الكلّيات كانت كليّات وإن أضيفت إلى الجزئيات كانت جزئيات فكيف يصح جعل بعضها على الإطلاق عقليا وبعضها وهما.

ثم إن الجامع الخيالي هو تقارن الصور في الخيال. وظاهر أنه ليس بصورة ترتسم في الخيال بل هو من المعاني.

فإن قلت: كلام المفتاح مشعر بأنه يكفي لصحة العطف وجود الجامع بين الجملتين باعتبار مفرد من مفرداتها وهو نفسه معترف بفساد ذلك حيث منع صحة نحو خفي ضيق وخاتمي ضيق ونحو الشمس مرارة الأرنب وألف باذنجانة محدثة.

قلت: كلامه ههنا ليس إلا في بيان الجامع بين الجملتين. وأما أن أي قدر من الجامع يجب لصحة العطف فمفروض إلى موضع آخر.

وصرح فيه باشتراط المناسبة بين المسندين والمسند إليهما جميعا والمصنف لما اعتقد أن كلامه في بيان الجامع سهو منه وأراد اصلاحه غيره إلى ما ترى فذكر مكان الجملتين الشيتين ومكان قوله اتحاد في تصور ما اتحاد في التصور فوق الخلل في قوله الوهمي أن يكون بين تصوريهما شبه تماثل أو تضاد أو شبه تضاد.

والخيالي: أن يكون بين تصوريهما تقارن في الخيال لأن التضاد مثلا إنما هو بين نفس السواد والبياض لا بين تصوريهما أعني العلم بهما، وكذا التقارن في الخيال إنما هو بين نفس الصور.

فلا بد من تأويل كلام المصنف وحمله على ما ذكره السكاكي بأن يراد بالشيتين الجملتان وبالتصور مفرد من مفردات الجملة مع أن ظاهر عبارته يأبى ذلك ولبحث الجامع زيادة تفصيل وتحقيق اوردها في الشرح وأنه من المباحث التي ما وجدنا أحدا حام حول تحقيقها. (ومن محسنات الوصل) بعد وجود المصحح.

(تناسب الجملتين في الاسمية والفعلية و) تناسب.

(الفعليتين في المضي والمضارعة) فإذا أردت مجرد الإخبار من غير تعرض للتجدد في

أحديهما والثبوت في الأخرى قلت قام زيد وقعد عمرو وكذلك زيد قائم وعمرو قاعد.

(إلا لمانع) مثل أن يراد في أحديهما التجدد وفي الأخرى الثبوت فيقال قام زيد وعمرو

قاعد أو يراد في أحديهما المضي وفي الأخرى المضارعة فيقال زيد قام وعمرو يعقد أو يراد في

أحديهما الإطلاق، وفي الأخرى التقييد بالشرط كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ

وَلَوْ أُنزِلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [الأنعام: ٨]، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا

يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤] فعندي أن قوله: ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾

عطف على الشرطية قبلها لا على الجزاء أعني قوله: ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ إذ لا معنى لقولنا: إذا

جاء أجلهم لا يستقدمون.

تذنيب: هو جعل الشيء ذنابة للشيء شبه به ذكر بحث الجملة الحالية وكونها بالواو تارة

وبدونها أخرى عقيب بحث الفصل والوصل لمكان التناسب.

(أصل الحال المتقلة) أي: الكثير الراجع فيها كما يقال الأصل في الكلام الحقيقة.

(أن تكون بغير واو) واحترز بالمتقلة عن المؤكدة المقررة لمضمون الجملة فإنها يجب أن

تكون بغير واو البتة لشدة ارتباطها بمقابلها. وإنما كان الأصل في المتقلة الخلو عن الواو.

(لأنها في المعنى حكم على صاحبها كالخبر) بالنسبة إلى المبتدأ فإن قولك جاءني زيد

راكبا إثبات الركوب لزيد كما في زيد راكب إلا أنه في الحال على سبيل التبعية وإنما المقصود

إثبات المجيء وجئت بالحال لتزيد في الأخبار عن المجيء هذا المعنى.

(ووصف له) أي: ولأنها في المعنى وصف لصاحبها.

(كالنعت) بالنسبة إلى المنعوت إلا أن المقصود في الحال كون صاحبها على هذا الوصف

حال مباشرة الفعل فهي قيد للفعل وبيان لكيفية وقوعه بخلاف النعت فإنه لا يقصد به

ذلك بل مجرد اتصاف المنعوت به وإذا كانت الحال مثل الخبر والنعت فكما أنها يكونان بدون

٢٤٠ مختصر المعاني للتفتازاني

الواو فكذلك الحال. وأما ما أورده بعض النحويين من الأخبار والنعوت المصدرة بالواو كالخبر في باب كان والجملة الوصفية المصدرة بالواو التي تسمى واو تأكيد للمصوق الصفة بالموصوف فعلى سبيل التشبيه والإلحاق بالحال.

(لكن خولف) هذا الأصل.

(إذا كانت) الحال.

(جملة فإنها) أي: الجملة الواقعة حالا.

(من حيث هي جملة مستقلة بالافادة) من غير أن تتوقف على التعليق بها قبلها. وإنما قال من حيث هي جملة لأنها من حيث هي حال غير مستقلة بل متوقفة على التعليق بكلام سابق قصد تقييده بها.

(فتحتاج) الجملة الواقعة حالا.

(إلى ما يربطها بصاحبها) الذي جعلت حالا عنه.

(وكل من الضمير والواو صالح للربط والأصل) الذي لا يعدل عنه ما لم تمس حاجة إلى زيادة ارتباط.

(هو الضمير بدليل) الاقتصار عليه في الحال.

(المفردة والخبر والنعت فالجملة) التي تقع حالا.

(إن خلت عن ضمير صاحبها) الذي تقع هي حالا عنه.

(وجب فيها الواو) ليحصل الارتباط فلا يجوز خرجت زيد قائم. ولما ذكر أن كل جملة خلت عن الضمير وجبت فيها الواو أراد أن يبين أن أي جملة يجوز ذلك فيها وإى جملة لا يجوز ذلك فقال.

(وكل جملة خالية عن ضمير ما) أي: الاسم الذي.

(يجوز أن ينتصب عنه حال) وذلك بأن يكون فاعلا أو مفعولا معرفا أو منكرا مخصوصا لا نكرة محضة أو مبتدأ أو خبرا فإنه لا يجوز أن ينتصب عنه حال على الأصل. وإنما لم يقل عن ضمير صاحب الحال لأن قوله: كل جملة مبتدأ وخبره قوله.

(يصح أن تقع) تلك الجملة.

(حالا عنه) أي: عما يجوز أن ينتصب عنه حالا.

(بالواو) وما لم يثبت له هذا الحكم أعني وقوع الحال عنه لم يصح إطلاق اسم صاحب الحال عليه إلا مجازا.

وإنما قال: ينتصب عنه حال ولم يقل يجوز أن تقع تلك الجملة حالا عنه لتدخل فيه الجملة الخالية عن الضمير المصدرة بالمضارع المثبت لأن ذلك الاسم مما لا يجوز أن تقع تلك الجملة حالا عنه لكنه مما يجوز أن ينتصب عنه حال في الجملة وحينئذ يكون قوله كل جملة خالية عن ضمير ما يجوز أن ينتصب عنه حالا متنا ولا للمصدرة بالمضارع الخالية عن الضمير المذكور فيصح استثناءها بقوله.

(إلا المصدرة بالمضارع المثبت نحو: جاء زيد ويتكلم عمرو) فإنه لا يجوز أن يجعل ويتكلم عمرو حالا عن زيد.

(لما سيأتي) من أن ربط مثلها يجب أن يكون بالضمير فقط. ولا يخفى أن المراد بقوله كل جملة الجملة الصالحة للحالية في الجملة بخلاف الانشائيات فإنها لا تقع حالا البتة لا مع الواو ولا بدونها.

(والا) عطف على قوله أن خلت أي وأن لم تخل الجملة الخالية عن ضمير صاحبها.

(فإن كانت فعلية والفعل مضارع مثبت امتنع دخولها) أي: الواو.

(نحو: ﴿وَلَا تَمُنُّنَ تَسْتَكْثِرُ﴾ [المائدة: ٦٠]) أي: ولا تعط حال كونك تعد ما تعطيه كثيرا.

(لأن الأصل) في الحال هي الحال.

(المفردة) لعراقة المفرد في الإعراب وتطفل الجملة عليه لوقوعها موقعه.

(وهي) أي: المفردة.

(تدل على حصول صفة) أي: معنى قائم بالغير؛ لأنها لبيان الهيئة التي عليها الفاعل أو المفعول والهيئة معنى قائم بالغير.

(غير ثابتة) لأن الكلام في الحال المستقلة.

(مقارن) ذلك الحصول (لما جعلت) الحال.

(قيدا له) يعني العامل لأن الغرض من الحال تخصيص وقوع مضمون عاملها بوقت حصول مضمون الحال وهذا معنى المقارنة.

(وهو) أي: المضارع المثبت.

(كذلك) أي: دال على حصول صفة غير ثابتة مقارن لما جعلت قيدا له جعلت قيدا له كالمفردة فتمتنع الواو فيه كما في المفردة.

(أما الحصول) أي: إما دلالة المضارع المثبت على حصول صفة غير ثابتة.

(فلكونه فعلا) فيدل على التجدد وعدم الثبوت.

(مثبتا) فيدل على الحصول.

(وأما المقارنة فلكونه مضارعا) فيصلح للحال كما يصلح للاستقبال.

وفيه نظر؛ لأن الحال التي يدل عليها المضارع هو زمان التكلم وحقيقته أجزاء متعاقبة من أواخر الماضي وأوائل المستقبل والحال التي نحن بصدددها يجب أن يكون مقارنة لزمان مضمون الفعل المقيد بالحال ماضيا كان أو حالا أو استقبالا فلا دخل للمضارعة في المقارنة فالأولى أن يعلل امتناع الواو في المضارع المثبت بأنه على وزن اسم الفاعل لفظا وبتقديره معنى.

(وأما ما جاء من نحو) قول بعض العرب.

(قمت وأصك وجهه، وقوله: فَلَمَّا خَشِبْتُ أَظَا فِرْهُمُ) أي: أسلحتهم.

(نَجَوْتُ وَأَرْهَنْتُهُمْ مَالِكًا^(١) فقيل) إنما جاء الواو في المضارع المثبت الواقع حالا.

(على) اعتبار.

(حذف المبتدأ) لتكون الجملة اسمية.

(أي: وأنا أصك وأنا أرهنهم) كما في قوله تعالى: ﴿لَمْ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ

الله إِلَيْكُمْ﴾ [الصف: ٥] أي: وأنتم قد تعلمون.

(وقيل الأول) أي: قمت وأصك وجهه.

(شاذ والثاني) أي: نجوت وأرهنهم.

(ضرورة وقال عبد القاهر هي) الواو.

(فيهما للعطف) لا للحال إذ ليس المعنى قمت صاكا وجهه ونجوت راهنا مالكا بل

المضارع بمعنى الماضي.

(١) البيت لعبد الله بن همام السلوي، من المتقارب وبعده:

عريفاً مقياً بذارِ الهوا .. نِ أهُونَ عَلَيَّ بِهِ هَالِكَا

وهذان البيتان من جملة أبيات، منها:

فقلتُ أجزي أبا خالدٍ .. وإلا تجدي امرأ هالكا

يريد باي خالد هنا يزيد بن معاوية، والذي خشيه عبيد الله بن زياد، وكان قد توعدده، فهرب إلى الشام،

واستجار يزيد فأمته، وكتب إلى عبيد الله يأمره بالصفح عنه، ومالك المذكور هو: عريفه. والأظاير: جمع

ظفر وأظفور ويجمع أيضا على أظفار.

والمعنى: لما خشيت حملته وإنشأ أظفاره نجوت وخليت بينه وبين مالك.

والشاهد فيه: دخول واو الحال على المضارع المثبت المتمتع بدخولها عليه في الجملة الفعلية الواقعة حالا من

ضمير صاحبها الغير الخالية منه، إذ قد قيل إنه علي حذف المبتدأ، أي وأنا أرهنهم، فتكون اسميه، فيصح

دخولها، وعليه قول تعالى: "لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم" أي: وأنتم قد تعلمون، وقيل:

ضرورة. وقال عبد القاهر هي فيه للعطف، والأصل ورهنتهم عدل إلى المضارع لحكاية حال ماضية،

ومعناه: أنه يفرض ما كان في الزمن الماضي واقعا في هذا الزمان، فعبر عنه بلفظ المضارع، كما في قول الشاعر

من الكامل:

ولقد أمرَ علي اللثيم يسبني

أي: مررت. وروى وأرهنهم. والأول رواية الأصمعي، واستحسنه ثعلب.

(والأصل) قمت.

(وصككت) ونجوت ورهنت.

(عدل) عن لفظ الماضي.

(إلى) لفظ.

(المضارع حكاية للحال) الماضية ومعناها أن يفرض ما كان في الزمان الماضي واقعا في

هذا الزمان فيعبر عنه بلفظ المضارع.

(وإن كان الفعل) مضارعا.

(منفيا فالأمران جائزان) الواو وتركه.

(كقراءة ابن ذكوان: ﴿فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ﴾ [يونس: ٨٩] بالتخفيف) أي: بتخفيف

النون ولا تتبعان فيكون لا للنفي دون النهي لثبوت النون التي هي علامة الرفع فلا يصح

عطفه على الأمر الذي قبله فيكون الواو للحال بخلاف قراءة العامة ولا تتبعان بالتشديد فإنه

نهي مؤكد معطوف على الأمر قبله.

(ونحو قوله تعالى: ﴿وَمَا لَنَا﴾) أي: أي شيء ثبت لنا.

(﴿لَا تُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ [المائدة: ٨٤]) أي: حال كوننا غير مؤمنين فالفعل المنفي حال

بدون الواو. وإنما جاز فيه الأمران.

(لدلالته على المقارنة لكونه مضارعا دون الحصول لكونه منفيا) والمنفى إنما يدل مطابقة

على عدم الحصول.

(وكذا) يجوز الواو وتركه.

(إن كان) الفعل (ماضيا لفظا أو معنى كقوله تعالى) إخبارا عن زكريا عليه السلام.

(﴿أَتَى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ﴾ [آل عمران: ٤٠]) بالواو.

(وقوله: ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [النساء: ٩٠]) بدون الواو هذا في الماضي

لفظا. وأما الماضي معنى فالمراد به المضارع المنفي بلم أو لما فانها تقلبان معنى المضارع إلى

الماضي فاورد للمنفي بلم مثالين أحدهما مع الواو والآخر بدونه واقتصر في المنفي بلما على ما هو بالواو وكأنه لم يطلع على مثال ترك الواو وفيه إلا أنه مقتضى القياس أشار إلى امثلة ذلك فقال.

(وقوله: ﴿أَنْتَى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ [آل عمران: ٤٧]، وقوله ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مَنْ اللَّهِ وَفَضِّلْ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ [آل عمران: ١٧٤]، وقوله ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٤]، أما المثبت) أي: أما جواز الأمرين في الماضي المثبت.

(فلدلالتة على الحصول) يعني حصول صفة غير ثابتة.

(لكونه فعلا مثبتا دون المقارنة لكونه ماضيا) فلا يقارن الحال.

(ولهذا) أي: ولعدم دلالتة على المقارنة.

(شرط أن يكون مع قد ظاهرة) كما في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ﴾ [آل: ٤٠].

(أو مقدرة) كما في قوله تعالى: ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [النساء: ٩٠] لأنه قد تقرب

الماضي من الحال والأشكال المذكور وارد ههنا وهو أن الحال التي نحن بصدددها غير الحال التي تقابل الماضي وتقرب قد الماضي منها فتجوز المقارنة إذا كان الحال والعامل ماضيين ولفظ قد إنها تقرب الماضي من الحال التي هي زمان التكلم.

وربما تبعده عن الحال التي نحن بصدددها كما في قولنا: جاءني زيد في السنة الماضية وقد

ركب فرسه، والاعتذار عن ذلك مذكور في الشرح.

(وأما المنفي) أي: إما جواز الأمرين في الماضي المنفي.

(فلدلالتة على المقارنة دون الحصول أما الأول) أي: دلالتة على المقارنة.

(فلأن لما للاستغراق) أي: لامتداد النفي حين الانتفاء إلى زمان التكلم.

(وغيرها) أي: غير لما مثل لما وما.

(لانتفاء متقدم) على زمان التكلم.

(أن الأصل استمراره) أي: استمرار ذلك الانتفاء لما سيجيء حتى تظهر قرينة على الانقطاع كما في قولنا: لم يضرب زيد أمس لكنه ضرب اليوم.

(فيحصل به) أي: باستمرار النفي أو بأن الأصل فيه الاستمرار.

(الدلالة عليها) أي: على المقارنة.

(عند الإطلاق) وترك التقييد بما يدل على أنقطاع ذلك الانتفاء.

(بخلاف مثبت فإن وضع الفعل على إفادة التجدد) من غير أن يكون الأصل

استمراره.

فإذا قلت: ضرب مثلاً كفى في صدقه وقوع الضرب في جزء من أجزاء الزمان الماضي. وإذا قلت: ما ضرب أفاد استغراق النفي لجميع أجزاء الزمان الماضي لكن لا قطعياً بخلاف لما وذلك لأنهم قصدوا أن يكون الإثبات والنفي في طرفي النقيض. ولا يخفى أن الإثبات في الجملة إنما ينافيه النفي دائماً.

(ونحقيقه) أي: تحقيق هذا الكلام.

(أن استمرار العدم لا يفتقر إلى سبب بخلاف استمرار الوجود) يعني: أن بقاء الحادث وهو استمرار وجوده يحتاج إلى سبب موجود؛ لأنه وجود عقيب وجود ولا بد للوجود الحادث من السبب بخلاف استمرار العدم؛ فإنه عدم فلا يحتاج إلى وجود سبب بل يكفيه مجرد انتفاء سبب الوجود والأصل في الحوادث العدم حتى توجد عللها.

وبالجملة لما كان الأصل في المنفي الاستمرار حصلت من الإطلاق الدلالة على المقارنة.

(وأما الثاني) أي: عدم دلالة على الحصول.

(فلكونه منفياً) هذا إذا كانت الجملة فعلية.

(وإن كانت اسمية فالمشهور جواز تركها) أي: الواو.

(لعكس ما مر في الماضي مثبت) أي: لدلالة الاسم على المقارنة لكونها مستمرة لا على

حصول صفة غير ثابتة لدالاتها على الدوام والثبات.

(نحو: كلمته فوه إلى في) بمعنى مشافها.

(و) أيضا المشهور.

(إن دخولها) أي: الواو.

(أولى) من تركها.

(لعدم دلالتها) أي: الجملة الاسمية.

(على عدم الثبوت مع ظهور الاستئناف فيها فحسن زيادة رابطة نحو ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢]) أي: وأنتم من أهل العلم والمعرفة وأنتم تعلمون ما بينهما من التفاوت.

(وقال عبد القاهر: إن كان المبتدأ) في الجملة الاسمية الحالية.

(ضمير ذى الحال وجبت) أي: الواو سواء كان خبره فعلا.

(نحو: جاء زيد وهو يسرع أو) اسما نحو: جاء زيد.

(وهو مسرع) وذلك لأن الجملة لا تترك فيها الواو حتى تدخل في صلة العامل وتنضم إليه في الإثبات وتقدر تقدير المفرد في أن لا يستأنف لها الإثبات، وهذا مما يمتنع في نحو جاء زيد وهو يسرع أو وهو مسرع لانك إذا أعدت ذكر زيد وجئت بضميره المنفصل المرفوع كان بمنزلة إعادة اسمه صريحا في أنك لا تجد سبيلا إلى أن تدخل يسرع في صلة المجيء وتضمه إليه في الإثبات؛ لأن إعادة ذكره لا تكون حتى تقصد استئناف الخبر عنه بأنه يسرع، وإلا لكنت تركت المبتدأ بمضيعة وجعلته لغوا في البين وجرى مجرى أن تقول: جاءني زيد وعمرو يسرع أمامه ثم تزعم أنك لم تستأنف كلاما ولم تبدأ للسريعة إثباتا.

وعلى هذا فالأصل والقياس: أن لا تحيء الجملة الاسمية إلا مع الواو وما جاء بدونه فسيبيله سبيل الشيء الخارج عن قياسه وأصله بضرب من التأويل ونوع من التشبيه.

هذا كلامه في "دلائل الإعجاز" وهو مشعر بوجوب الواو في نحو جاءني زيد وزيد يسرع أو مسرع أمامه وجاء زيد وعمرو يسرع أو مسرع أمامه بالطريق الأولى ثم قال الشيخ:

(وإن جعل نحو: على كتفه سيف حلالا كثر فيها) أي: في تلك الحال.

(تركها) أي: ترك الواو.

(نحو) قول بشار: [الطويل]

إِذَا أَنْكَرْتَنِي بَلَدَةً أَوْ نَكَرْتَهَا تَهَضَّتْ مَعَ الْبَازِي عَلَيَّ سَوَادٌ^(١)

أي: بقية من الليل يعني إذا لم يعرف قدرتي أهل بلدة أو لم أعرفهم خرجت منهم مصاحباً للبازي الذي هو أبكر الطيور مشتملاً على شيء من ظلمة الليل غير منتظر لإسفار الصبح. فقله على سواد حال ترك فيها الواو.

(١) قائله بشار بن برد، من أبيات من الطويل، قالها في خالد بن برمك وكان قد وفد عليه وهو بفارس، فأنشده قوله:

أَخَالِدُ لَمْ أَهْبِطْ عَلَيْكَ بِذِمَّةٍ سِوَى أَنْتِي عَافٍ وَأَنْتِ جَوَادُ
أَخَالِدُ إِنَّ الْأَجَرَ وَالْحَمْدَ حَاجَتِي فَأَيُّهَا تَأْتِي فَأَنْتِ عِمَادُ
فَإِنْ تَعْطِنِي أَفْرِغْ عَلَيْكَ مَدَائِحِي .. وَإِنْ تَابَ لَمْ تُضْرَبْ عَلَيَّ سَدَادُ
رِكَابِي عَلَى حَرْبٍ وَقَلْبِي مُشَيِّعٌ وَمَا لِي بِأَرْضِ الْبَاحِلِينَ بِلَادُ
إِذَا أَنْكَرْتَنِي بَلَدَةً أَوْ نَكَرْتَهَا خَرَجْتُ مَعَ الْبَازِي عَلَيَّ سَوَادُ

فدعا خالد بأربعة آلاف، في أربعة أكياس، فوضع واحداً منها عن يمينه، وآخر عن شماله، وآخر بين يديه، وآخر من ورائه، وقال: يا أبا معاذ هل استقل العباد؟ فلمس الأكياس بيده، ثم قال: استقل والله أيها الأمير. ومعنى البيت: إذا لم يعرف قدرتي أهل بلدة ولم أعرفهم خرجت عنهم وفارقتهم متكرراً مصاحباً للبازي؛ الذي هو أبكر الطيور مشتملاً على شيء من ظلمة الليل، غير منتظر لإسفار الصبح، فقله علي سواد، أي: بقية من الليل.

والشاهد فيه: كونه حالاً ترك في الواو.

ومثله قول أمية بن أبي الصلت يمدح ابن ذي يزن من البسيط:

اشْرَبْتُ هَنِئاً عَلَيْكَ التَّاجُ مَرْتَفَقاً .. فِي رَأْسِ غَمْدَانٍ دَاراً مِنْكَ مَحَلَّلاً

وأنشاهد في قوله عليك التاج. وغمدان: اسم قصر باليمن، مبني على أربعة أوجه: أحمر وأبيض وأصفر وأخضر، وفي داخله قصر مبني بسبعة سقفوف، بين كل سقفين أربعون ذراعاً، ويرى ظله إذا طلعت عليه الشمس من ثلاثة أميال، والمحلال، بمعنى المنزل صيغة مبالغة.

ثم قال الشيخ: الوجه أن يكون الاسم في مثل هذا فاعلاً بالظرف لاعتماده على ذى الحال لا مبتدأ وينبغي أن يقدر ههنا خصوصاً أن الظرف في تقدير اسم الفاعل دون الفعل، اللهم إلا أنه لا يقدر فعل ماض هذا كلامه وفيه بحث.

والظاهر: أن مثل على كتفه سيف يحتمل أن يكون في تقدير المفرد وأن يكون جملة اسمية قدم خبرها، وأن يكون فعلية مقدرة بالماضي أو المضارع فعل التقديرين يمتنع الواو وعلى التقديرين لا تجب الواو فمن أجل هذا كثر تركها، وقال الشيخ أيضاً.

(ويحسن الترك) أي: ترك الواو في الجملة الاسمية.

(تارة لدخول حرف على المبتدأ) يحصل بذلك الحرف نوع من الارتباط.

(كقوله: [الطويل])

فقلت عسى أن تبصريني كأنها بُني حوَالِي الأسود الحوارد^(١)

من حرد إذا غضب، فقوله: بني الأسود جملة اسمية وقعت حالا من مفعول تبصريني، ولولا دخول كأنها عليها لم يحسن الكلام إلا بالواو وقوله: حوَالِي، أي في أكتافي وجواني حال من بني لما في حرف التشبيه من معنى الفعل.

(و) يحسن الترك تارة أخرى.

(١) البيت من الطويل، قائله الفرزدق، من جملة أبيات قالها مخاطباً لزوجته النوار وكان قد مكث زماناً لا يولد له فعبّرته بذلك، وأول الأبيات:

وقالت أراءً واحداً لا أخاله يُؤمُّهُ يوماً ولا هو والدُ

وبعده البيت، وبعده:

فإن تميماً قبل أن يلد الحصى .. أقامَ زماناً وهو في التامس واحدُ

واخوارد: من حرد إذا غضب.

والشاهد فيه: ترك الواو في الجملة الإسمية الحالية لدخول حرف على المبتدأ يحصل به نوع من الارتباط وهو هنا كأن إذ لو لم تدخل لما حسن الكلام إلا بالواو، وبني إلخ جملة اسمية وقعت حالاً من مفعول تبصريني، ومعنى حوَالِي في أكتافي وجواني، وهو حال من بني لما في حرف التشبيه من معنى الفعل.

(لوقوع الجملة الاسمية) الواقعة حالا (بعقب مفرد) حال.

(كقوله: [السريع])

الله يُيقِك لنا سالماً بُرداك تبجيلٌ وتعظيمٌ^(١)

فقوله: (برداك تبجيل) حال ولو لم يتقدمها قوله: (سالماً) لم يحسن فيها ترك الواو.

(١) البيت لابن الرومي، من قصيدة من السريع، منها قبل البيت:

قُلْ له الملكُ ولو أنسه بمجموعَةٍ فيه الأقاليمُ

والتبجيل: التعظيم. والشاهد فيه: ترك الواو في الجملة الاسمية الحالية وهي برداك إلخ لوقوعها بعقب حال مفرد وهو سالماً إذ لو لم يتقدمها لم يحسن فيها ترك الواو، والحالان أعني الجملة وسالماً يجوز أن يكونا من الأحوال المترادفة، وهي: أن تكون أحوال متعددة وصاحبها واحد كالكَاف من ييقِك هاهنا، ويجوز أن يكون من الأحوال المترادفة، وهي: أن يكون صاحب الحال المتأخر الاسم الذي يشتمل عليه الحال السابقة، مثل أن يجعل قوله برداك تعظيم، حالاً من الضمير في سالماً.

الباب الثامن

الإيجاز والإطناب والمساواة

(قال السكاكي: أما الإيجاز والإطناب فلكونهما نسبين) أي: من الأمور النسبية التي يكون تعلقها بالقياس إلى تعقل شيء آخر فإن الموجز إنما يكون موجزا بالنسبة إلى كلام أزيد منه وكذا المطنب إنما يكون مطنبا بالنسبة إلى ما هو أنقص منه.

(لا يتسير الكلام فيها إلا بترك التحقيق والتعيين) أي: لا يمكن التنصيص على أن هذا المقدار من الكلام إيجاز وذلك اطناب اذرب كلام موجز يكون مطنبا بالنسبة إلى كلام آخر وبالعكس.

(والبناء على أمر عرفي) أي: وإلا بالبناء على أمر يعرفه أهل العرف.

(وهو متعارف الأوساط) الذين ليسوا في مرتبة البلاغة ولا في غاية الفهامة.

(أي كلامهم في مجرى عرفهم في تأدية المعاني) عند المعاملات والمحاورات.

(وهو) أي: هذا الكلام.

(لا بحمد) من الأوساط.

(في باب البلاغة) لعدم رعاية مقتضيات الأحوال.

(ولا يذم) أيضا منهم لأن غرضهم تأدية أصل المعنى بدلالات وضعية والفاظ كيف

كانت ومجرد تأليف يخرجها عن حكم النعيق.

(فالإيجاز أداء المقصود بأقل من عبارة المتعارف، والإطناب أداؤه بأكثر منها ثم قال)

أي: السكاكي:

(الاختصار لكونه نسبيا يرجع فيه تارة إلى ما سبق) أي: إلى كون عبارة المتعارف أكثر

منه.

(و) يرجع تارة.

(أخرى إلى كون المقام خليقا بأبسط مما ذكر) أي: من الكلام الذي ذكره المتكلم. وتوهم بعضهم أن المراد بما ذكر متعارف الأوساط وهو غلط لا يخفى على من له قلب أو القى السمع وهو شهيد يعني كما أن الكلام يوصف بالإيجاز؛ لكونه أقل من المتعارف كذلك يوصف به لكونه أقل مما يقتضيه المقام بحسب الظاهر، وإنما قلنا بحسب الظاهر لأنه لو كان أقل مما يقتضيه المقام ظاهرا وتحقيقا لم يكن في شيء من البلاغة مثاله قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤] من الآية فإنه إطناب بالنسبة إلى المتعارف أعني قولنا يا رب.

وإيجاز بالنسبة إلى مقتضى المقام ظاهرا؛ لأنه مقام بيان انقراض الشباب وإلزام المشيب فينبغي أن يبسط فيه الكلام غاية البسط فالإيجاز معنيان بينهما عموم من وجه.

(وفيه نظر؛ لأن كون الشيء أمرا نسبيا لا يقتضي تعسر تحقيق معناه) إذ كثيرا ما تحقق معاني الأمور النسبية وتعرف بتعريفات تليق بها كالأبوة والأخوة وغيرها.

والجواب: أنه لم يرد تعسر بيان معناها لأن ما ذكر بيان لمعناها بل أراد تعسر التحقيق والتعيين في أن هذا القدر إيجاز وذلك إطناب.

(ثم البناء على المتعارف والبسط الموصوف) بأن يقال الإيجاز هو الأداء بأقل من المتعارف أو مما يليق بالمقام من كلام أبسط من الكلام المذكور.

(رد إلى الجهالة) إذ لا تعرف كمية متعارف الأوساط وكيفية اختلاف طبقاتهم ولا يعرف أن كل مقام أي مقدار يقتضي من البسط حتى يقاس عليه ويرجع إليه.

والجواب: أن الألفاظ قوالب المعاني والأوساط الذين لا يقدرّون في تأدية المعاني على اختلاف العبارات والتصرف في لطائف الاعتبارات لهم حد معلوم من الكلام يجري فيما بينهم في المحاورات، وهذا معلوم للبلغاء وغيرهم. فالبناء على المتعارف واضح بالنسبة إليهما جميعا.

وأما البناء على البسط الموصوف فإنها هو معلوم للبلغاء العارفين لمقتضيات الأحوال بقدر ما يمكن لهم البسط فلا يجهل عندهم ما يقتضيه كل مقام من مقدار البسط.

(والأقرب) إلى الصواب.

(أن يقال المقبول من طرق التعبير عن المراد تأدية أصله بلفظ مساو له) أي: لأصل

المراد.

(أو) بلفظ.

(ناقص عنه واف أو بلفظ زائد عليه لفائدة) فالمساواة أن يكون اللفظ بمقدار أصل

المراد والإيجاز أن يكون ناقصا عنه وافيا به، والإطناب أن يكون زائدا عليه لفائدة.

(واحتراز بواف عن الإخلال) وهو أن يكون اللفظ ناقصا عن أصل المراد غير واف به.

[كقوله: الكامل]

والعيشُ خَيْرٌ في ظِلَالِ النُّوكِ^(١)

(١) البيت للحارث بن حنزة الشكري، من الكامل المضمّر المرفل، وقبله:

فَعِشْ بِجَدٍّ لَا يَضُرُّ .. كَ النُّوكُ مَا أُولِيَتْ جَدًّا

والنوك بضم النون وفتحها، الحقم، ومعنى كدأ مكدوداً متعوباً.

والشاهد فيه: الإخلال، لكونه غير واف بالمراد، إذ أصل مراده أن العيش الناعم في ظلال النوك خير من

العيش الشاق في ظلال العقل، ولفظه غير واف بذلك.

وما أحسن قول ابن المعتز من الكامل:

وَحَلَاوَةُ الدُّنْيَا لِحَاثِلِهَا .. وَمَرَارَةُ الدُّنْيَا لِمَنْ عَقَلَا

ولأبي عبد الله محمد بن أبي الفضل السلمي الرمي من الكامل:

عَابُوا الْجَهَالََةَ وَازْدَرَوْا بِحَقْوِيَّهَا .. وَتَهَاوَنُوا بِحَدِيثِهَا فِي الْمَجْلِسِ

وهي التي يَقَادُ في يَدِهَا الْغِنَى ... وَتَحْيِيهَا الدُّنْيَا بِرَغَمِ الْمَعْطَسِ

إِنَّ الْجَهَالََةَ لِلْغِنَى جَذَابَةٌ جَذَبَ الْحَدِيدُ حِجَارَةَ الْمُغْنِطِيسِ

ولأبي محمد البيهقي من أبيات من الخفيف:

عِشْ بِجَدٍّ وَلَا يَضُرُّكَ نُوْكٌ إِنَّمَا عِشْ مِنْ تَرَى بِالْجُدُودِ

عِشْ بِجَدٍّ وَكُنْ هَبْنَقَةُ الْعَبْسِيِّ نُوْكًا أَوْ شَيْبَةَ بْنِ الْوَلِيدِ

وما أحسن قول بعضهم من السريع:

أي: الحمق والجهالة.

(ممن عاش كذا) أي: خير ممن عاش مكدودا متعوبا.

(أي الناعم في ظلال العقل) يعني: أن أصل المراد أن العيش الناعم في ظلال النوك خير

من العيش الشاق في ظلال العقل ولفظه غير واف بذلك فيكون محلا فلا يكون مقبولا.

(و) احترز.

إن المقادير إذا ساعدت ألحقت العاجز بالقادر

وبديع قول بعضهم من خلغ البسيط:

بالجد يسعى الفتى وإلا فليس يُغني أب وجد

وليس يُجدي عليك كد ما دام يُكدي عليك جد

وما أحق قول ابن لنكك من البسيط:

دنياك باتت على الأحرار غاضبة .. وطاوعت كل صفعان وضراط

وقوله أيضا من الكامل:

كن ساعياً ومُصافعاً ومُضارطاً تنل الرغائب في الزمان وتنفي

ولؤفه من آيات من السريع:

من يبيع بالفضل معاشاً يمت جوعاً ولو كان بديع الزمان

ومن يقد أو يتمسخر يعيش عيشاً رخيئاً في ظلال الأمان

تبغي الحجام تروم الغني .. يا قلما تجتمع الضرتان

ولطيف قول بعضهم من الخفيف:

قد يجتد اللبيب عن سعة الرز .. في وقد يسعد الضعيف بجده

رُب مال أتى بأهون سعي وكُدود لم يُغنيه طول كده

ولابن نباتة السعدي من الكامل:

ما بال طعم العيش عند معاشر .. حلو وعند معاشر كالعَلَقَم

من لي بعيش الأغنياء فإنه لا عيش إلا عيش من لم يعلم

والخارث بن حلزة هو من بني يشكر من بكر بن وائل، وكان أبرص، وهو القائل من الخفيف:

أذنتنا بيننا أسماء .. رُب ثاو يُمل منه الثواء

ويقال: إنه ارتحلها بين يدي عمرو بن هند ارتجالاً في شيء كان بين بكر وتغلب في الصلح، وكان ينشده من

وراء السجف للبرص الذي كان به، فأمر برفع السجف بينه وبينه استحساناً له، وكان الخارث متوكئاً على

عزة فأثرت في جسده وهو لا يشعر، وكن له ابن يقال له مذعور، وللمذعور ابن يقال له شاب ابن مذعور.

(بفائدة عن التطويل) وهو أن يزيد اللفظ على الأصل المراد لا لفائدة ولا يكون اللفظ الزائد متعيناً.

(نحو) قوله: وقددت الأديم لراهشيه.

(والفئ) أي: وجد.

(قوله: كذبا ومينا)^(١) والكذب والمين واحد لا فائدة في الجمع بينهما. قوله قددت أي قطعت والراهشان عرقان في باطن الذراعين والضمير في راهشيه وفي ألفى لجذيمة الأبرش وفي قددت وفي قولها للزباء والبيت في قصة قتل الزباء لجذيمة وهي معروفة.

(١) هو من الوافر، وصدره:

وقدَدَت الأديم لراهشيه

وقائله عدي بن زيد العبادي، من قصيدة طويلة أولها:

أَبْدَلْتُ المَنَازِلُ أم عَينَا .. بِقَادِمِ عَهْدِهِنَّ فَقَدَ بَلِيْنَا

وكان من خبر جذيمة والزباء أن جذيمة كان من العرب الأولى من بني إباد كما ذكره ابن الكلبي، وكنيته أبو مالك، وكان في أيام ملوك الطوائف، وقال أبو عبيدة: كان جذيمة بعد عيسى صلوات الله وسلامه عليه بثلاثين سنة، وكان قد ملك شاطئ الفرات إلى ما وإلى ذلك إلى السواد، ستين سنة، وكان به برص، فهابت العرب أن تصفه بذلك فقالوا: الأبرش، والوضاح، وقيل: سمي بذلك لأنه أصابه حرق نار فبقي أثره نقطاً سوداً وحرراً، وكان الملك قبله أباه، وهو أول من ملك الحيرة، وكان جذيمة هذا يغير على ملوك الطوائف حتى غلبهم على كثير مما في أيديهم، وهو أول من أوقد الشمع ونصب المجانيق للحرب، وأول من اجتمع له الملك بأرض العراق، وكان قد قتل أبا الزباء وغلب على غالب ملكه وألجأ الزباء إلى أطراف مملكته، وكانت عاقلة أربية فبعثت إليه تخطبه لنفسها ليتصل ملكه بملكها، فدعته نفسه إلى ذلك، وقيل: هو الذي بعث إليها بخطبها، فكتبت إليه، إني فاعلة ومثلك يرغب فيه، فإذا شئت فاشخص إلي، فشاوور وزراه فكل أشار عليه أن يفعل، إلا قصير بن سعد فإنه قال له: أيها الملك لا تفعل فإن هذه خديعة ومكر، فعصاه وأجابه إلى ما سألت، فقال قصير عند ذلك: لا يطاع لقصير رأي، وقيل: أمر، فأرسلها مثلاً، ولم يكن قصيراً، ولكن كان اسماً له، ثم إنه قال له: أيها الملك أما إذ عصيتني فإذا رأيت جندها قد أقبلوا إليك فإن ترجلوا وحيوك ثم ركبوا وتقدموا فقد كذب ظني، وإن رأيتهم إذا حيوك طافوا بك فإني معرض لك العصا - وهي فرس لجذيمة لا تدرك - فأركبها وانج، فلما أقبل جيشها حيوه ثم طافوا به فقرب قصير إليه العصا فشغل عنها فركبها قصير ففجأ، فنظر جذيمة إلى قصير على العصا وقد حال دونه السراب فقال: ما ذل من جرت به العصا، فأرسلها مثلاً، وأدخل جذيمة على الزباء، وكانت قد ربت شعر عانتها حولاً، فلما دخل

(و) احترز أيضا بفائدة.

(عن الحشو) وهو زيادة معينة لا لفائدة.

تكشفت له وقلت: أمتاع عروس ترى يا جذيمة؟ فقال: بل متاع أمة بظراء، فقالت: إنه ليس من عدم المواسي، ولا من قلة الأواسي، ولكنها شيمة ما أقاسي، وأمرت فأجلس على نطع، ثم أمرت برواهشه فقطعت، وكان قد قبل لها: احتفظي بدمه فإنه إن أصاب الأرض قطرة من دمه طلب بثأره، فقطرت قطرة من دمه في الأرض، فقالت: لا تضيعوا دم الملك، فقال جذيمة: دعوا دماً ضيعه أهله، فلم يزل الدم يسيل إلى أن مات.

ثم إن قصيراً أتى عمرأ ابن أخت جذيمة وأخبره الخبر، وحرضه على أخذ الثأر، واحتال لذلك بأن قطع أنفه وأذنيه، ولحق بالزباء، وزعم أن عمرأ فعل به ذلك، وأنه اتهمه بمالآته لها على خاله، ولم يزل يخذلها حتى اطمأنت له وصارت ترسله إلى العراق يبال فيأتي إلى عمرو فيأخذ منه ضعفه ويشترى به ما تطلبه ويأتي إليها به، إلى أن تمكن منها وسلمته مفاتيح الخزائن وقالت له: خذ ما أحببت فاحتمل ما أحب من مالها وأتى عمرأ فانتخب من عسكره فرساناً وألبسهم السلاح واتخذ غرائر وجعل أشراجها من داخل، ثم حمل على كل بعير رجلين معها سلاحهما وجعل يسير النهار حتى إذا كان الليل اعتزل عن الطريق، فمل يزل كذلك حتى شارف المدينة، فأمرهم فلبسوا الحديد ودخلوا الغرائر ليلاً، وعرف أنه مصبحها فلما أصبح عندها دخل عليها وسلم، وقال: هذه العير تأتيك الساعة بما لم يأتيك قط مثله، فصعدت فوق قصرها وجعلت تنظر العير وهي تدخل المدينة فأنكرت مشيها وجعلت تقول من الرجز:

مَا لِلْجَمَالِ مَشْيُهَا وَثِيدًا .. أَجْدَلًا يَحْمِلُنَ أُمَّ حَدِيدًا
أَمْ صَرَفَانًا بَارِدًا شَدِيدًا أَمْ الرُّجَالُ جَثْمًا قُوعِدًا

فلما توافقت العير المدينة حلوا أشراجهم وخرجوا في الحديد، وأتى قصير بعمره فأقامه على سرب كان لها إذا خشيت خرجت منه، فأقبلت لتخرج من السرب فاتاها عمرو فجعلت تمص خاتماً وفيه سم وتقول: بيدي لا بيد عمرو، وفارقت الدنيا، والراشاشان: عرقان في باطن الذراعين.

والشاهد فيه: التطويل، وهو أن يكون اللفظ زائداً على أصل المراد لا لفائدة واللفظ الزائد غير متعين إذ جمعه بين الكذب والمين في البيت لا فائدة فيه لأنها بمعنى واحد.

وعدي هو ابن زيد بن حماد بن أيوب ينتهي نسبه لنزار، وكان أيوب هذا فيما يزعم ابن الأنباري أول من سمي من العرب أيوب، وكان عدي شاعراً فصيحاً من شعراء الجاهلية، وكان نصرانياً، وكذلك كان أبوه وأهله، وليس ممن يعد من الفحول، إذ هو قروي، وقد أخذ عنه أشياء عيب بها، وكان أبو عبدة والأصمعي يقولان: عدي بن زيد في الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم يعارضها ولا يجري معها مجراها، وكذلك عندهم أمية بن أبي الصلت الثقفي، ومثلها عندهم من الإسلاميين الكميت والطرماح.

(المفسد) للمعنى.

(كالتدى في قوله [الطويل]: وَلَا فَضْلَ فِيهَا) أي: في الدنيا.

(لِلشَّجَاعَةِ وَالتَّوَدِّي وَصَبْرِ الْفَتَى لَوْلَا لِقَاءُ شُعُوبٍ) ^(١)

هي علم للمنية صرفها للضرورة وعدم الفضيلة على تقدير عدم الموت إنما يظهر في الشجاعة والصبر لتيقن الشجاع بعدم الهلاك وتيقن الصابر بزوال المكروه، بخلاف الباذل ماله إذا تيقن بالخلود وعرف احتياجه إلى المال دائماً؛ فإن بذله حيثئذ أفضل مما إذا تيقن بالموت وتخلّف المال وغاية اعتذاره ما ذكره الإمام ابن جني وهو: أن في الخلود وتنقل الأحوال فيه من عسر إلى يسر ومن شدة إلى رخاء ما يسكن النفوس ويسهل البؤس فلا يظهر لبذل المال كثير فضل.

(و) عن الحشو.

(غير المفسد) للمعنى.

(كقوله: [الطويل]

وَأَعْلَمَ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ) وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمٍ مَا فِي غَيْدِ عَمِي ^(٢)

(١) البيت لأبي الطيب المتنبي، من قصيدة من الطويل يمدح بها سيف الدولة ابن حمدان ويعزیه بغلامه بياك التركي، وأولها وفي الحرم وهو حذف الحرف الأول من الودع المجموع:

لَا يُحْزِنُ اللَّهَ الْأَمِيرَ فَإِنِّي .. لَا أَخْذُ مِنْ حَالَاتِهِ بِنَصِيْبٍ

وهي طويلة: وشعوب: اسم للمنية غير منصرف للعلمية والتأنيث، وصرفه للضرورة، سميت المنية بذلك أنها تشعب: أي تفرق.

والشاهد فيه: الحشو الزائد المفسد، وهو هنا لفظة التدى لأن المعنى أن الدنيا لا فضل فيها للشجاعة والعطاء والصبر على الشدائد على تقدير عدم الموت، وهذا إنما يصح في الشجاعة والصبر دون العطاء، فإن الشجاع إذا تيقن بالخلود هان عليه الاقتحام في الحروب لعدم خوفه من الهلاك فلم يكن في ذلك فضل، وكذلك الصبر إذا تيقن زوال الشدائد والحوادث وبقاء العمر هان عليه صبره على المكروه لوثوقه بالخلاص منه، بل مجرد طول العمر يهون على النفس الصبر على المكروه، ولهذا يقال: هب أن لي صبر أيوب فمن أين لي عمر نوح؟ بخلاف الباذل ماله، فإنه إذا تيقن بالخلود شق عليه بذلك المال لاحتياجه إليه فيكون بذله حيثئذ أفضل، أما إذا تيقن الموت فقد هان عليه بذله

فلفظ قبله حشو غير مفسد وهذا بخلاف ما يقال: أبصرته بعيني وسمعت به بأذني وكتبته بيدي في مقام يفتقر إلى التأكيد.

(المساواة) قدمها لأنها الأصل المقيس عليه.

(نحو) ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمُكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣].

وقوله: [الطويل]

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُتَأَيَّ عَنْكَ وَاسِعٌ^(١)

(١) هو من البحر الطويل.

وقائله زهير بن أبي سلمى، وهو من آخر قصيدة قالها في الصلح الواقع بين عيس وذبيان، وأولها:

أَمِنْ أَمْ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ .. بِحَوْمَانَةِ الدَّرَّاجِ فَالْمُتَلَمِّمِ

وَدَاؤُهَا بِالرَّقَمَتَيْنِ كَأَنَّهَا مَرَا جِيعُ وَشِمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمِ

بِهَا الْعَيْنُ وَالْأَرَامُ يَمْشِينَ خَلْفَةً .. وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثَمِ

ومعنى البيت: إن علم قد يحيط بها مضى وبها هو حاضر، ولكنتي عمي القلب عن الإحاطة بها هو متظر متوقع، يردي لا أدري ماذا يكون غداً.

والشاهد فيه: الحشو الغير مفسد للمعنى، وهو لفظة قبله ومثله قول عدي المتقدم من الكامل:

نَحْنُ الرُّؤُوسُ وَمَا الرُّؤُوسُ إِذَا سَمَتْ .. فِي الْمَجْدِ لِلْأَقْوَامِ كَالْأَذْنَابِ

فقوله للأقوام حشو، وفيه نظر، لأن استعمال الرأس في المقدم والرأس مجاز، وذكر الأقوام كالقرينة.

(٢) البيت للناطقة الذبياني، من قصيدة من الطويل يمدح بها أبا قابوس، وهو النعمان بن المنذر ملك الحيرة، وأولها:

عَفَا ذُو حَسَاً مِنْ فَرْتَيْنَ فَالْفَوَارِغُ .. فَجَنِبَا أُرَيْكَ فَالتَّلَاعِ الدَّوَافِعُ

فَمَجْمَعُ الْأَشْرَاجِ غَيْرَ رَسَمِهَا مَصَايِفُ قَدْ مَرَّتْ بِنَا وَمَرَايِعُ

تَوَهَّمَتْ آيَاتِهَا فَعَرَفْتَهَا لَسْتَ أَعْوَامٍ وَذَا الْعَامُ سَابِعُ

والمُتَأَيَّ: اسم موضع من انتأى عنه أي بعد، وشبهه بالليل لأنه وصفه في حال سخطه وهوله.

والمعنى: أنه لا يفوت الممدوح وإن أبعد في الهرب وصار إلى أقصى الأرض لسعة ملكه وطول يده، ولأن له في جميع الآفاق مطيعاً لأمره يرد الهارب إليه.

وقد اعترض الأصمعي على الناطقة فقال: أما تشبيهه الإدراك بالليل فقد تساوى الليل والنهار فيما يدركانه، وإن كان سبيله أن يأتي بها لا تقسيم له حتى يأتي بمعنى منفرد. فلو قال قائل إن قول النعماني في ذلك أحسن

منه لوجد مساعاً إلى ذلك حيث يقول من الطويل:

فَلَوْ كُنْتُ كَالْعَنْقَاءِ أَوْ كَسَمُوحَا .. لَخِلْتُكَ إِلَّا أَنْ تَصَدَّ تَرَانِي

أي موضع البعد عنك ذو سعة شبهه في حال سخطه وهو له بالليل.
 قيل: في الآية حذف المستثنى منه، وفي البيت حذف جواب الشرط فيكون في كل منهما
 إيجازاً لا مساواة.

وفيه نظر، لأن اعتبار هذا الحذف رعاية لأمر لفظي لا يفتقر إليه في تأدية أصل المراد
 حتى لو صرح به لكان اطناباً بل تطويلاً.

وبالجملة: لا نسلم أن لفظ الآية والبيت ناقص عن أصل المراد.

والإيجاز: (ضربان إيجاز القصر وهو ما ليس بحذف نحو قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي
 الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩] فإن معناه كثير ولفظه يسير) وذلك لأن معناه أن الإنسان
 إذا علم أنه متى قتل قتل ذلك داعياً له إلى ألا يقدم على القتل فارتفع بالقتل الذي هو
 القصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض وكان بارتفاع القتل حياة لهم.

(ولا حذف فيه) أي: ليس فيه حذف شيء مما يؤدي به أصل المراد، واعتبار الفعل الذي
 يتعلق به الظرف رعاية لأمر لفظي حتى لو ذكر لكان تطويلاً.

(وفضله) أي: رجحان قوله ولكم في القصاص حيوة.

(على ما كان عندهم أوجز كلام في هذا المعنى وهو) قولهم.

(القتل أنفى للقتل بقلة حروف ما يناظره) أي: اللفظ الذي يناظر قولهم القتل أنفى
 للقتل.

(منه) أي: من قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ وما يناظره منه هو قوله في
 القصاص حيوة لأن قوله: (ولكم) زائد على معنى قولهم: القتل أنفى للقتل. فحروف في
 القصاص حياة مع التنوين أحد عشر، وحروف القتل أنفى للقتل أربعة عشرة أعني الحروف
 الملفوظة إذ بالعبرة يتعلق الإيجاز لا بالكتابة.

(والنص) أي: وبالنص.

(على المطلوب) يعني الحياة.

(وما يفيد تنكير حياة من التعظيم لمنه) أي: منع القصاص إياهم.

(عما كانوا عليه من قتل جماعة بواحد) فحصل لهم في هذا الجنس من الحكم أعني

القصاص حيوة عظيمة.

(أو) من النوعية أي لكم في القصاص نوع من الحياة وهي الحياة.

(الحاصلة للمقتول) أي: الذي يقصد قتله.

(والقاتل) أي: الذي يقصد القتل.

(بالارتداع) عن القتل لمكان العلم بالاعتصاص.

(واطراد) أي: ويكون قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩] مطردا إذا

الاقتصاص مطلقا سبب للحياة بخلاف القتل فإنه قد يكون أنفي للقتل كالذى على وجه

القصاص وقد يكون أدعى له كالقتل ظلما.

(وخلوه عن التكرار) بخلاف قولهم فإنه يشتمل على تكرار القتل. ولا يخفى أن الخالي

عن التكرار أفضل من المشتمل عليه وأن لم يكن مغلا بالفصاحة.

(واستغنائه عن تقدير محذوف) بخلاف قولهم: فإن تقديره القتل أنفي للقتل من تركه.

(والمطابقة) أي: وباشتماله على صنعة المطابقة وهي الجمع بين معنيين متقابلين في الجملة

كالقصاص والحياة.

(وإيجاز الحذف) عطف على قوله إيجاز القصر.

(والمحذوف إما جزء جملة) عمدة كان أو فضلة.

(مضاف) بدل من جزء جملة.

(نحو: ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]) أي: أهل القرية.

(أو موصوف نحو: [الوافر])

أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعِ الشَّائِيَا مَتَى أَصْعَحِ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي ^(١)

(١) وهذا البيت من قصيدة من الوافر أولها:

أَفَاطِمَ قَبْلَ بَيْنِكَ مَتَّعْنِي .. وَمَنْعُكَ مَا سَأَلْتُ كَانَ تَبْنِي

يقول فيها أيضا:

فَإِنَّ عَلَّالَتِي وَجَرَاءَ حَوْلِي لَذُو شَقٍّ عَلَى الضَّرْعِ الظَّنُونِ
أَنَا ابْنُ الْغَرِّ مِنْ سَلْفِي رِيَّاح .. كَنْصَلِي السِّيفِ وَضَاحِ الْجَبِينِ

وبعده البيت، وبعده:

وَإِنَّ مَكَائِنًا مِنْ جَهْرِي مَكَائِنَ اللَّيْلِ مِنْ وَسْطِ الْعَرِينِ

وكان السبب في قوله هذه الأبيات أن رجلاً أتى الأبيرد الرياحي وابن عمه الأحوص وهما من ردف الملوك من بني رياح يطلب منهما قطراناً لإبله، فقالا له: إن أنت أبلغت سحيم وثيل الرياحي هذا الشعر أعطيناك قطراناً، فقال: قولا، فقالا: اذهب فقال له:

فَإِنَّ بُدَاهَتِي وَجَرَاءَ حَوْلِي ... لَذُو شَقٍّ عَلَى الْحَطَمِ الْحَرُونِ

فلما أتاه وأنشده الشعر أخذ عصاه وانحدر في الوادي يقبل فيه ويدبر ويصمهم بالشعر، ثم قال: اذهب فقل لها، وأنشد الأبيات، قال: فأتياه فاعتذرا فقال: إن أحدكما لا يرى أنه صنع شيئاً حتى يقيس شعره بشعرنا وحسبه بحسبنا ويستطيف بنا استطافة المهر الأزرب فقالا له: فهل إلى التزع من سبيل؟ فقال: إنا لم نبلغ أنسابنا.

وذكر ابن قتيبة في كتاب الشعر والشعراء مطلع هذه القصيدة في أبيات آخر، ونسبها للمثقب العبدى، وقال: لو كان الشعر كله على هذه القصيدة لوجب على الناس أن يتعلموه.

والأبيات المارة تقوي أنها لسحيم المذكور، فلعل اتفاقهما في المطلع من باب توارد الخواطر، والله أعلم. وجلا هنا غير منون لأنه أراد الفعل فحكاه مقدراً فيه الضمير الذي هو فاعل، والفعل إذا سمي به غير مستتر عنه الفاعل لم يكن إلا حكاية، كقول تابط شراً من الطويل:

كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ لَا تَأْخُذُونَهَا .. بَنِي شَابٍ قَرْنَاهَا تُصَرُّ وَتُحَلَّبُ

وكقول الشاعر من الرجز:

وَاللَّهِ مَا زَيْدٌ بَنَامٌ صَاحِبَةٌ وَلَا غَالِطُ النَّيَامِ جَانِبَةٌ

وما أراد أنا ابن الذي جل، وبني التي يقال لها شاب قرناها، والله ما زيد بالذي يقال فيه نام صاحبه. وابن جلا يقال للرجل المشهور: أي ابن رجل قد انكشف أمره، أو جلا الأمور أي كشفها. والشنايا: جمع ثنية، وهي العقبة، يقال: فلان طلاع الشنايا، أي ركاب لصعاب الأمور. والشاهد فيه: إيجاز الحذف، والمحذوف موصوف، وهو هنا رجل من قوله أنا ابن جلا.

الثنية: العقبة. وفلان طلاع الشايات أي: ركاب لصعاب الأمور، وقوله: جلا جملة وقعت صفة لمحذوف.

(أي) أنا ابن (رجل جلا) أي: انكشف امره أو كشف الأمور. وقيل: جلا ههنا علم وحذف التثوين باعتبار أنه منقول عن الجملة أعني الفعل مع الضمير لا عن الفعل وحده.
(أو صفة نحو: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩]) أي: كل سفينة.

(صحيحة أو نحوها) كسليمة أو غير معيبة.
(بدليل ما قبله) وهو قوله: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ لدلالته على أن الملك كان لا يأخذ المعيبة.

(أو شرط كما مر) في آخر باب الإنشاء.
(أو جواب شرط) وحذفه يكون.
(إما المجرد الاختصار نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [يس: ٤٥]) فهذا شرط حذف جوابه.
(أي: أعرضوا بدليل ما بعده) وهو قوله تعالى ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [يس: ٤٦].
(أو للدلالة على أنه) أي: جواب الشرط.

(شيء لا يحيط به الوصف أو لتذهب نفس السامع كل مذهب ممكن مثالها) ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَقُولُ عَلَى النَّارِ﴾ [الأنعام: ٢٧] (فحذف جواب الشرط للدلالة على أنه لا يحيط به الوصف أو لتذهب نفس السامع كل مذهب ممكن.

(أو غير ذلك) المذكور كالمسند إليه والمسند والمفعول كما مر في الأبواب السابقة وكالمعطوف مع حرف العطف.

(نحو: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾ [الحديد: ١٠] أي: ومن أنفق من بعده وقاتل بدليل ما بعده) يعني قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾ [الحديد: ١٠].

(وإما جملة) عطف على إما جزء جملة.

فإن قلت: ماذا أراد بالجملة ههنا حيث لم يعد الشرط والجزاء جملة؟

قلت: أراد الكلام المستقل الذي لا يكون جزء من كلام آخر.

(مسببة عن) سبب.

(مذكور نحو: ﴿لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ [الأنفال: ٨]) فهذا سبب مذكور حذف

مسيبه.

(أي فعل ما فعل أو سبب لمذكور نحو) قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾

[البقرة: ٦٠].

(﴿فَانفَجَرَتْ﴾ إن قدر فضربه بها) فيكون قوله فضر به بها جملة محذوفة هي سبب

لقوله فانفجرت.

(ويموز أن يقدر فإن ضربت بها فقد انفجرت) فيكون المحذوف جزء جملة هو الشرط

ومثل هذه الفاء يسمى فاء فصيحة قيل على التقدير الأول وقيل على التقدير الثاني. وقيل على

التقديرين.

(أو غيرهما) أي: غير المسبب والسبب.

(نحو: ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ [الذاريات: ٤٨] على ما مر) في بحث الاستئناف من أنه

على حذف المبتدأ والخبر على قول من يجعل المخصوص خبر مبتدأ محذوف.

(وأما أكثر) عطف على إما جملة أي أكثر.

(من جملة) واحدة.

(نحو: ﴿أَنَا أَنْبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ يُوسُفُ﴾ [يوسف: ٤٥-٤٦]، أي) فأرسلوني.

(إلى يوسف لأستعبره الرؤيا ففعلوا، فأناه فقال له: يا يوسف، والحذف على وجهين أن لا يقام شىء مقام المحذوف) بل يكتفى بالقرينة.

(كما مر) في الأمثلة السابقة.

(وأن يقام نحو: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [فاطر: ٤]) فقد كذبت ليس جزاء الشرط؛ لأن تكذيب الرسل متقدم على تكذيبه بل هو سبب لمضمون الجواب المحذوف أقيم مقامه.

(أي: فلا تحزن واصبر) ثم الحذف لابد له من دليل.

(وأدلته كثيرة منها أن يدل العقل عليه) أي: على الحذف.

(والمقصود الأظهر على تعيين المحذوف نحو: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ﴾ [المائدة: ٣]) فالعقل دل على أن هنا حذفاً إذ الاحكام الشرعية إنما تتعلق بالأفعال دون الأعيان والمقصود الأظهر من هذه الأشياء المذكورة في الآية تناولها الشامل للاكل وشرب الألبان فدل على تعيين المحذوف وفي قوله: منها أن يدل أدنى تسامح فكأنه على حذف مضاف.

(ومنها أن يدل العقل عليهما) أي: على الحذف وتعيين المحذوف.

(نحو: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]) فالعقل يدل على امتناع مجيء الرب تعالى وتقدس ويدل على تعيين المراد أيضاً.

(أي: أمره أو عذابه) فالأمر المعين الذي دل عليه العقل هو أحد الأمرين لا أحدهما على التعيين.

(ومنها: أن يدل العقل عليه، والعادة على التعيين نحو: ﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِينَ لُتْنِي فِيهِ﴾ [يوسف: ٣٢]) فإن العقل دل على أن فيه حذفاً إذ لا معنى للوم الإنسان على ذات الشخص وأما تعيين المحذوف.

(فإنه محتمل) أن يقدر.

(وفي حبه لقوله تعالى: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [يوسف: ٣٠] وفي مرأودته لقوله تعالى ﴿تَرَاوَدُّ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ [يوسف: ٣٠] وفي شأنه حتى يشملهما) أي: الحب والمرأودة.
(والعادة دلت على الثاني) أي: مرأودته.

(لأن الحب المفرط لا يلام صاحبه عليه في العادة لقهره) أي: الحب المفرط.
(إياه) أي: صاحبه فلا يجوز أن يقدر في حبه ولا في شأنه لكونه شاملاً له فيتعين أن يقدر في مرأودته نظراً إلى العادة.

(ومنها: الشروع في الفعل) يعني من أدلة تعيين المحذوف لا من أدلة الحذف لأن دليل الحذف ههنا هو أن الجار والمجرور لا بد من أن يتعلق بشيء والشروع في الفعل على أنه ذلك الفعل الذي شرع فيه.

(نحو: بسم الله، فيقدر ما جعلت التسمية مبتدأ له) ففي القراءة يقدر بسم الله اقرأ وعلى هذا القياس.

(ومنها) أي: من أدلة تعيين المحذوف.
(الاقتران كقوله للمعرس بالرفاء والبنين) فإن مقارنة هذا الكلام لأعراس المخاطب دل على تعيين المحذوف.

(أي أعرست) أو مقارنة المخاطب بالأعراس وتلبسه به دل على ذلك، والرفاء هو الائتام والاتفاق والباء للملابسة.

(والإطناب: إما بالإيضاح بعد الإيهام ليرى المعنى في صورتين مختلفتين: أحديهما مبهمة والآخرى موضحة) وعلمان خير من علم واحد.

(أو ليتمكن في النفس فضل تمكن) لما جبل الله النفوس عليه من أن الشيء إذا ذكر مبهماً ثم بين كان أوقع عندها.

(أو لتكمل لذة العلم به) أي: بالمعنى لما لا يخفى من أن نيل الشيء بعد الشوق والطلب الذ.

(نحو: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [طه: ٢٥] فإن: ﴿اشْرَحْ لِي﴾ يفيد طلب شرح لشيء ماله (أي: للطالب).

(وصدري يفيد تفسيره) أي: تفسير ذلك الشيء.

(ومنه) أي: ومن الإيضاح بعد الإبهام.

(باب نعم على أحد القولين) أي: قول من يجعل المخصوص خبر مبتدأ محذوف.

(إذ لو أريد الاختصار) أي: تلك الإطناب.

(كفى نعم زيد) وفي هذا اشعار بأن الاختصار قد يطلق على ما يشتمل المساواة أيضا.

(ووجه حسنه) أي: حسن باب نعم.

(سوى ما ذكر) من الإيضاح بعد الإبهام.

(إبراز الكلام في معرض الاعتدال) من جهة الإطناب بالإيضاح بعد الإبهام والإيجاز

بحذف المبتدأ.

(وإيهام الجمع بين المتنافيين) أي: الإيجاز والإطناب. وقيل: الإجمال والتفصيل، ولا

شك أن إيهام الجمع بين المتنافيين من الأمور المستغربة التي تستلذ بها النفس وإنما قال: إيهام

الجمع؛ لأن حقيقة جمع المتنافيين أن يصدق على ذات واحدة وصفان يمتنع اجتماعهما على

شيء واحد في زمان واحد من جهة واحدة وهو محال.

(ومنه) أي: من الإيضاح بعد الإبهام.

(التوشيع وهو) في اللغة لف القطن المندوف وفي الاصطلاح:

(أن يؤتى في عجز الكلام بمثنى مفسر باسمين ثانيهما معطوف على الأول نحو يشيب

ابن آدم ويشيب فيه خصلتان الحرص وطول الأمل، وإما بذكر الخاص بعد العام) عطف على

قوله إما بالإيضاح بعد الإبهام. والمراد الذكر على سبيل العطف.

(للتنبية على فضله) أي: مزية الخاص.

(حتى كأنه ليس من جنسه) أي: العام.

(تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات) يعني أنه لما امتاز عن سائر أفراد العام بماله من الأوصاف الشريفة جعل كأنه شيء آخر مغاير للعام لا يشملها العام ولا يعرف حكمه منه.

(نحو ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: ٢٣٨]) أي: الوسطى من الصلوات أو الفضلى من قولهم للأفضل الأوسط وهي صلاة العصر عند الأكثر.
(وأما بالتكرير لنكتة) ليكون إطنابا لا تطويلا وتلك النكتة.

(كتأكيد الإنذار في ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ٣ ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثف: ٤، ٣]). فقوله: ﴿كَلَّا﴾ ردع عن الانهالك في الدنيا وتنبية على أنه لا ينبغي للناظر لنفسه أن تكون الدنيا جميع همه وأن لا يهتم بدنيته، و﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ إنذار وتخويف أي سوف تعلمون الخطأ فيما أنتم عليه إذا عايتم ما قدامكم من هول المحشر وفي تكريره تأكيد للردع والإنذار.

(وفي ثم) دلالة.

(على أن الإنذار الثاني أبلغ) من الأول تنزيلا لبعد المرتبة منزلة بعد الزمان واستعمالا للفظ ثم في مجرد التدرج في درج الارتقاء.

(ولما بالإيغال) من: (أوغل في البلاد) إذا أبعد فيها واختلف في تفسيره.

(فقليل: هو ختم البيت بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها كزيادة المبالغة في قولها) أي: في قول الخنساء في مراثية أخيها صخر:

(وإن صخرًا لتأتم) أي: يقتدى.

(الهداة به كأنه علم) أي: جبل مرتفع.

(في رأسه نار)^(١) فقولها: كأنه علم واف بالمقصود أعني التشبيه بما يهتدى به إلا أن في قولها في رأسه نار زيادة مبالغة.

(١) البيت للخنساء، من مراثية في أخيها صخر، وهي قصيدة من البسيط، أولها:

(وتحقيق) أي: وكتحقيق التشبيه في قول امرئ القيس: [الطويل]

(كَأَنَّ عُيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ خِبَائِنَا)

أي: خيامنا.

(وَأَرْجُلُنَا الْجَزَعُ الَّذِي لَمْ يُثَقِّبْ)^(١)

قَدَى بِعَيْنِكَ أُمَ بِالْعَيْنِ عَوَّازٌ ... أُمَ ذَرَفَتْ إِذْ خَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ
كَأَنَّ عَيْنِي لَذِكْرَاهُ إِذَا خَطَرْتُ فَيَضُّ يَسِيلُ عَلَى الْخَدَيْنِ مَدْرَارُ
تَبْكِي خَنَاسُ عَلَى صَخْرٍ وَخُتٍ لَهَا .. إِذْ رَأَى الدَّهْرُ أَنَّ الدَّهْرَ ضَرَّارُ
تَبْكِي لَصَخْرٍ هِيَ الْعَبْرُ وَقَدْ ثَكَلَتْ .. وَدُونَهُ مِنْ جَدِيدِ التَّرْبِ أَسْتَارُ
لَا بَدْ مِنْ مَيَّةٍ فِي صَرْفِهَا غَيْرٌ وَالْدَّهْرُ فِي صَرْفِهِ حَوْلٌ وَأَطْوَارُ
يَا صَخْرُ وَارِدَ مَاءٌ قَدْ تَنَافَرَهُ أَهْلُ الْمَوَارِدِ مَا فِي وَرْدِهِ عَارُ
مَشَى السَّبْتِي إِلَى هَيْجَاءٍ مَعْضَلَةٍ لَهُ سِلَاحَانُ أَنْيَابٍ وَأَظْفَارُ
فَمَا عَجُولٌ عَلَى بُوِّ تُطِيفُ بِهِ لَهَا خَنِينَانِ إِصْفَارُ وَإِكْبَارُ
تَزَعَى إِذَا نَسِيَتْ حَتَّى إِذَا ذَكَرَتْ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالُ وَإِدْبَارُ
لَا تَسْمَعُ الدَّهْرَ فِي أَرْضٍ وَإِنْ رُبِعَتْ .. فَإِنَّمَا هِيَ تَحْنَانُ وَتَسْجَارُ
يَوْمًا بِأَوْجَدَ مِنِّي حِينَ فَازَ قَنِي صَخْرٌ وَلِلدَّهْرِ إِحْلَاءٌ وَمَرَارُ
وَإِنْ صَخْرًا لَوَالِيْنَا وَسِيدُنَا وَإِنْ صَخْرًا إِذَا نَشْتُو لَنَحَارُ

وربعده البيت، وربعده:

لَمْ تَرَهُ جَارَةً يَمْشِي بِسَاحَتِهَا لَرَبِيَّةٍ حِينَ يُحْلِي بَيْتَهُ الْجَارُ
وَلَا تَرَاهُ وَمَا فِي الْبَيْتِ يَأْكُلُهُ لَكِنَّهُ بَارِزٌ بِالصَّحْنِ وَمَهَارُ
مِثْلُ الرُّدَيْنِي لَمْ تَنْفَدِ شَبِيَّتُهُ كَأَنَّهُ تَحْتَ طَيِّ الْبَرْدِ أَسْوَارُ
فِي جَوْفِ رَمْسٍ مَقِيمٌ قَدْ تَضَمَّنَهُ فِي رَمْسِهِ مَقْمَطَرَاتٌ وَأَحْجَارُ
طَلَّقَ الْيَدَجِينَ بِفَعْلِ الْخَيْرِ ذُو فَجَرٍ .. ضَخْمُ الدَّسِيعَةِ بِالْخَيْرَاتِ أَمَارُ

والعلم: الجبل الطويل، وقيل: هو عام في كل جبل.

والشاهد فيه: زيادة المبالغة في الإيغال، وهو قولها في رأسه نار، فإن قولها علم واف بالمقصود، وهو تشبيهه بها هو معروف بالهداية، لكنها أتت بالثمة إيفالاً وزيادة للمبالغة.

(١) البيت لامرئ القيس، من قصيدة من الطويل أولها:

تَحْلِيْلِي مَرَّأِي عَلَى أُمِّ جُنْدَبٍ .. لِتَقْضِيَ حَاجَاتِ الْفَوَازِ الْمُعْدَبِ
فَإِنْكُمَا أَنْ تَنْظُرَاتِي سَاعَةً مِنْ الدَّهْرِ تَنْفَعْنِي لَدَى أُمِّ جُنْدَبِ

الجزع بالفتح: الحرز اليباني الذي فيه سواد وبياض، شبه به عيون الوحش، وأتى بقوله لم يثقب تحقيقاً للتشبيه؛ لأنه إذا كان غير مثقوب كان أشبه بالعين.

قال الأصمعي: الظبي والبقرة إذا كانا حين، فعيونهما كلها سواد فإذا ما تابدا بياضها وإنما شبهها بالجزع وفيه سواد وبياض بعد ما ماتت والمراد كثرة الصيد يعني مما أكلنا كثرت العيون عندنا كذا في شرح ديوان امرئ القيس، فعلى هذا التفسير يختص الإيغال بالشعر.

=

ألم ترائني كلِّما جِئتُ طارقاً..... وَجَدْتُ بِهَا طَيْباً وَإِنْ لَمْ تَطِيبْ
عَقِيلَةَ أَخْدَانٍ لَهَا لَا دَمِيمَةَ .. وَلَا ذَاتُ خَلْقٍ إِنْ تَأَمَّلْتَ جَانِبَ

إلى أن يقول فيها:

وَقُلْتُ لِفَتَيَانِ كِرَامٍ إِلَّا أَنْزَلُوا .. فَعَالُوا عَلَيْنَا فَضْلَ بُرْدٍ مُطَنَّبٍ
فَقَفْنَا إِلَى بَيْتٍ بَعْلَاءَ مُرَدِّحٍ سَاوَنَهُ مِنْ أَنْحَمَى مُعَصَّبٍ
وَأَوْتَادُهُ عَادِيَّةٌ وَعِمَادُهُ رُذِينِيَّةٌ فِيهَا أَيْسَنَةُ قَعَصَبٍ
فَلَمَّا دَخَلْنَاهُ أَحْصَفْنَا ظُهُورَنَا إِلَى كُلِّ حَارِيٍّ جَدِيدٍ مُشْطَبٍ
فَقَلَّ لَنَا يَوْمَ لَذِيذُ بِنْعَمَةٍ فَقَلَّ فِي مَقِيلٍ نَحْسُهُ مُتَغِيبٍ

وبعده البيت، وبعده:

نَمْشِي بِأَعْرَافِ الْجِيَادِ أَكْفَنًا .. إِذَا نَحْنُ قُمْنَا عَنْ شِوَاءِ مُضْهِبٍ

وهي طويلة.

قال الأصمعي: الظبي والبقرة إذا كانا حين فعيونهما كلها سود، فإذا ما تابدا بياضها، وإنما شبهها بالجزع وفيه سواد وبياض بعد ما موتت، والمراد كثرة الصيد، يعني مما أكلناه كثرت العيون عندنا، كذا في شرح ديوان امرئ القيس، وبه يتبين بطلان ما قيل: إن المراد أنها قد طالت مسائرهم حتى ألفت الوحوش رحالهم وأحيتهم.

والشاهد فيه: تحقيق التشبيه في الإيغال؛ لأنه شبه عيون الوحش بالجزع وهو بفتح الجيم وتكسر الهمزة اليباني الصيني في سواد وبياض تشبه به عيون الوحش، لكنه أتى بقوله لم يثقب إيغالاً وتحقيقاً للتشبيه، لأن الجزع إذا كان غير مثقوب كان أشبه بالعيون.

وقد اشتمل هذا البيت على نوع من أنواع البديع يسمى التبليغ والتسيم، ويسمى الإيغال أيضاً، وهو: أن يتم قول الشاعر دون مقطع البيت ويبلغ به القافية، فيأتي بها يتمم به المعنى ويزيد في فائدة الكلام، لأن للقافية محلاً من الأسباع والخواطر، فاعتناء الشاعر بها أكد، ولا شيء أقبح من بنائها على فضول الكلام الذي لا يفيد.

(وقيل: لا يختص بالشعر) بل هو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها.

(ومثل لذلك) في غير الشعر.

(بقوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ [٢٠] ﴿اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [يس: ٢٠-٢١]) فقوله وهم مهتدون عما يتم المعنى بدونه لأن الرسول مهتد لا محالة إلا أن فيه زيادة حث على الاتباع وترغيب في الرسل.

(وأما بالتذييل وهو تعقيب الجملة بجملة أخرى يشتمل على معناها) أي: معنى الجملة الأولى.

(للتأكيد) فهو أعم من الإيغال من جهة أنه يكون في ختم الكلام وغيره وأخص من جهة أن الإيغال قد يكون بغير الجملة ولغير التأكيد.
(وهو) أي: التذييل.

(ضربان ضرب لم يخرج مخرج المثل بأن لم يستقل بإفادة المراد) بل يتوقف على ما قبله.
(نحو: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧] على وجه) وهو أن يراد وهل نجازي ذلك الجزاء المخصوص إلا الكفور، فيتعلق بما قبله وأما على الوجه الآخر، وهو أن يراد وهل نعاقب إلا الكفور بناء على أن المجازاة هي المكافاة أن خيرا فخيروا وأن شرا فشرافهو من الضرب الثاني.

(وضرب أخرج مخرج المثل) بأن يقصد بالجملة الثانية حكم كلي منفصل عما قبله جار مجرى الأمثال في الاستقلال وفشوا الاستعمال.

(نحو: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١] وهو أيضا) أي: التذييل ينقسم قسمة أخرى واتي بلفظة أيضا تنبيهها على أن هذا التقسيم للتذييل مطلقا لا للضرب الثاني منه.

(إما) أن يكون.

(للتأكيد منطوق كهذه الآية) فإن زهوق الباطل منطوق في قوله وزهق الباطل.

(وإما لتأكيد مفهوم كقوله: ولست) على لفظ الخطاب.

(بمستقب أخا لا تلمه) حال من أخا لعمومه أو من ضمير المخاطب في لست.

(على شعث) أي: تفرق حال وذميم خصال فهذا الكلام دل بمفهومه على نفي الكامل

من الرجال وقد اكده بقوله.

(أي الرجال المهذب) استفهام بمعنى الإنكار أي ليس في الرجال منقح الفعال

مرضي الخصال.

(١) البيت للناطقة الذبياني، من قصيدة من الطويل يخاطب بها النعمان:

وَلَسْتُ بِمُسْتَبَقٍ أَخَا لَا تَلْمُهُ عَلَى شَعَثِ أَيُّ الرِّجَالِ الْمُهْذَبِ

أولها:

أرسباً جديداً من سعاد حبيب .. عفت روضة الأجداد منها فيثقب
عفا آية نسج الجنوب مع الصبا وأسحمت داني مزنه متصوب

يقول فيها أيضاً:

فلا تتركني بالوعيد كأنني إلى الناس مطلي به القار أجرب
ألم تر أن الله أعطاك سورة يرى كل ملك دونها يتذبذب
فإنك شمس والملوك كواكب .. إذا طلعت لم يبد منها كوكب

وبعده البيت، وبعده:

فإن بك مظلوماً فبعد ظلمته .. وإن تك ذا عتني فمثلك يعتب
أتاني آية اللعن أنك لمتني ... وتلك التي أهتم منها وأنصب

والشعث: انتشار الأمر. والمهذب: المنقح الفعال المرضي الخصال والمعنى لا تقدر على استبقاء مودة أخ حال
كونك ممن لا تلمه، ولا تصلحه على تفرق وذميم خصال.

ذكرت هنا قول الشاعر، معارضاً للناطقة في هذا البيت، وهو من الطويل:

الوم زباداً في ركابة عقله وفي قوله أي الرجال المهذب
وهل يحسن التهذيب منك خلائقاً .. أرق من الماء الزلال وأطيب
تكلم والنعمان شمس سمانه وكل ملك عند نعمان كوكب
ولو أبصرت عيناه شخصك مرة .. لأبصر منه شمساً وهو غيب

وهذا نوع من البديع، يسمى التوليد، وسيأتي الكلام على شيء منه في الفن الثالث إن شاء الله تعالى.

والشاهد فيه: التذييل لتأكيد مفهوم، فصدر البيت دل بمفهومه على نفي الكامل من الرجال، وعجزه تأكيد
لذلك وتقرير، لأن الاستفهام فيه إنكاري: أي لا مهذب في الرجال.

(ولما بالتكميل ويسمى الاختراس أيضاً) لأن فيه التوقي والاحتراز عن توهم خلاف المقصود.

(وهو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه) أي: يدفع إيهام خلاف المقصود وذلك الدافع قد يكون في آخر الكلام فالأول.

(كقوله: فسقى ديارك غير مفسدها) نصب على الحال من فاعل سقى وهو.

(صوب الربيع) أي: سقى نزول المطر ووقوعه في الربيع.

(وديمة همي)^(١) أي: تسيل فلما كان نزول المطر قد يؤل إلى خراب الديار وفسادها أتى

بقوله: غير مفسدها دفعا لذلك.

(و) الثاني:

(١) البيت لطرفة بن العبد، من قصيدة من الكامل يعدح بها قتادة بن مسلمة الحنفي وكان قد أصاب قومه سنة فأتوه فبذل لهم، وأولها:

إن امرأ سرف الفؤاد يرى عسلاً بهاء سحابة شتوي
وأنا امرؤ أكوى من القصر الـ .. جادي وأغشى الدهم بالدهم
وأصيب شاكلة الرمية إذ صدت بصفتها عن السهم
وأجز ذاك الكفل القنأة على أنساه فيظل يستدمي
وتصد عنك تحيلة الرجل الـ عريض موضحة عن العظم
بحسام سيفك أو لسانك والـ ... كليم الأصيل كارعب الكلم
أبلغ قتادة غير سائلو مني الثواب وعاجل الشكم
إني محدثك للعشيرة إذ جاءت إليك مرقعة العظم
ألقوا إليك بكل أزملة شعناء تحمل مئقع البرم
وفتحت بابك للمكارم حية سن تواصت الأبواب بالآزم

وبعده البيت وهو آخرها.

وصوب الربيع: نزول المطر ووقوعه في الربيع. والديمة: مطر يدوم في سكون لا رعد ولا برق أو يدوم خمسة أيام أو ستة أو سبعة أو يدوم يوماً وليلة وأقله ثلاث النهار أو الليل وأكثره ما بلغت، وجمعها ديم وديوم. ومعنى همي: تسيل.

والشاهد فيه: التكميل، ويسمى الاختراس أيضاً، وهو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه، وهو هنا قوله غير مفسدها فإن نزول المطر قد يكون سبباً لخراب الدنيا وفسادها، فدفع ذلك بتوسط قوله غير مفسدها.

(نحو: ﴿ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾) فإنه لما كان مما يوهم أن يكون ذلك لضعفهم دفعه بقوله.

(﴿ أَعَزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥٤]) تنبيهها على أن ذلك تواضع منهم للمؤمنين؛ ولهذا عدى الذل بـ(على) لتضمنه معنى العطف ويجوز أن يقصد بالتعدي بـ(على) الدلالة على أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنتهم. وإما بالتميم وهو أن يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة) مثل مفعول أو حال أو نحو ذلك مما ليس بجمله مستقلة ولا ركن كلام.

ومن زعم أنه أراد بالفضلة ما يتم أصل المعنى بدونه فقد كذب كلام المصنف في الإيضاح وأنه لا تخصيص لذلك بالتميم.

(لنكتة كالمبالغة نحو ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ ﴾ [الإنسان: ٨] في وجه) وهو أن يكون الضمير في حبه للطعام. (أي) ويطعمون.

(مع حبه) والاحتياج إليه، وإن جعل الضمير لله تعالى أي يطعمونه على حب الله فهو لتأدية أصل المراد.

(وإما بالاعتراض وهو أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجمله أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتة سوى دفع الإيهام) لم يرد بالكلام مجموع المسند إليه والمسند فقط بل مع جميع ما يتعلق بهما من الفضلات والتوابع. والمراد باتصال الكلامين أن يكون الثاني بيانا للأول أو تأكيدا أو بدلا منه.

(كالتنزيه في قوله تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ [النحل: ٥٧]) فقوله سبحانه جملة؛ لأنه مصدر بتقدير الفعل وقعت في أثناء الكلام لأن قوله: ﴿ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ عطف على قوله: ﴿ لِلَّهِ الْبَنَاتِ ﴾.

(والدعاء في قوله:

إن الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمعي إلى ترجمان^(١)

أي: مفسر ومكرر فقوله: بلغتها اعتراض في أثناء الكلام لقصد الدعاء والواو في مثله تسمى واو اعتراضية ليست بعاطفة ولا حالة.

(١) البيت لعوف بن محلم الشيباني، من قصيدة من السريع، قالها لعبد الله بن طاهر، وكان قد دخل عليه فسلم عليه عبد الله فلم يسمع، فأعلم بذلك، فدنا منه، ثم ارتحل هذه القصيدة، وأولها:
يا ابن الذي دان له المشرقان .. طراً وقد دان له المغربان
وبعده البيت، وبعده:

وبدلتني بالشطاط انحنا .. وكنت كالصعدة تحت السنان
وعوّضتني من زماع الفتى وهمتي همّ الجبان الهدن
وقاربت مني خطاً لم تكن مقاريات وثنت من عنان
وانشأت بيني وبين الورى .. سحابة ليست كنسج العنان
ولم تدع في ليستمع إلا لساني وبحسبي لسان
أدعوه الله وأنتي به .. على الأمير المصعبي الهجان
وهمت بالآوطان وجداً بها .. وبالفواني، أين مني الغوان؟
فقرّاني، بأبي أنتما! .. من وطني قبل اصفرار البنان
وقبل متعالي إلى نسوة مسكنها حرّان والرقّان
سقى قصور الشاذباخ الحيا .. من بعد عهدي وقصور الميان
فكم وكم من دعوة لي بها أن تتخطاها صروف الزمان

والترجمان يقال بضم تائه وجيمه، وفتحها، وفتح التاء وضم الجيم، وهو المفسر للسان، يقال: ترجمه، وعنه، والفعل يدل على أصالة التاء.

ولقد أجاد الغزي في تضمينه صدر البيت بقوله من السريع:

طول حياة ما لها طائل ... تُغصّ عندي كلّ ما يُستهي
أصبحت مثل الطفل في ضعفه .. تشابه المبدأ والمتهي
فلا تلمّ سمعي إذا خانني .. إن الثمانين وبلغتها

ولطيف قول الشهاب المنصوري رحمه الله من السريع:

نحو ثمانين من العمر قد قطعتها مثل عقود الجنان
ما أحوجت يوماً يميني إلى .. عصاً ولا سمعي إلى ترجمان

والشاهد فيه: الاعتراض، ويسمى: الالتفات، وهو: أن يؤتى في أثناء الكلام، أو بين كالمين متصلين معنى، بجملة أو أكثر لا محال لها من الأعراب، لكنكة سوى دفع الإيهام، وهو هنا الدعاء في قوله وبلغتها لأنها جملة معترضة بين اسم إن وخبرها، والوار فيه اعتراضية: ليست عاطفة، ولا حالة.

(والتنبيه في قوله: واعلم فعلم المرء ينفعه) هذا اعتراض بين اعلم ومفعوله وهو.

(أن سوف يأتي كل ما قدرا)^(١) أن هي المخففة من المثقلة وضمير الشأن محذوف يعني

أن المقدورات البتة تأتي وأن وقع فيه تأخير ما.

وفي هذا تسلية وتسهيل للأمر فالاعتراض يبين التتميم؛ لأنه إنما يكون بفضلة والفضلة لا بد لها من إعراب وبيان التكميل لأنه إنما يقع لدفع إيهام خلاف المقصود وبيان الإيغال لأنه لا يكون إلا في آخر الكلام لكنه يشمل بعض صور التذييل، وهو ما يكون بجملته لا محل لها من الإعراب وقعت بين جملتين متصلتين معنى لأنه كما لم يشترط في التذييل أن يكون بين كلامين لم يشترط فيه أن لا يكون بين كلامين فتأمل حتى يظهر لك فساد ما قيل إنه يبين التذييل بناء على أنه لم يشترط فيه أن يكون بين كلامين متصلين معنى.

(ومما جاء) أي: ومن الاعتراض الذي وقع.

(بين كلامين) متصلين.

(وهو أكثر من جملة أيضا) أي: كما أن الواقع بينهما هو أكثر من جملة.

(نحو قوله تعالى: ﴿ فَاتَّوَهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ

الْمُتَّطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]) فهذا اعتراض أكثر من جملة لأنه كلام يشتمل على جملتين وقع

بين كلامين أولهما قوله فاتتوهن من حيث أمركم الله وثانيهما قوله.

(﴿ نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢٣]) والكلامان متصلان معنى.

(١) البيت من السريع، وأنشده أبو علي الفارسي، ولم يعزه إلى أحد:

واعلم فعلم المرء ينفعه .. أن سوف يأتي كل ما قدرا

وأن هنا مخففة من المثقلة، وضمير الشأن محذوف، يعني أن المقدور آت لا محالة وإن وقع فيه تأخير. وفي هذا تسلية وتسهيل للأمر.

والشاهد فيه: الاعتراض بالتنبيه، وهو قوله فعلم المرء ينفعه وهو جملة معترضة بين اعلم ومعمولي، والفاء اعتراضية وفيها شائبة من السببية. وانظر معاهد التنصيص ١ / ١٢٥.

٢٧٦..... مختصر المعاني للتفتازاني

(فإن قوله: ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣] بيان لقوله: ﴿فَأَتَوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢٢]) وهو مكان الحرث؛ فإن الغرض الأصلي من الاتيان طلب النسل لا قضاء الشهوة والنكتة في هذا الاعتراض الترغيب فيما أمروا به والتنفير عما نهوا عنه.

(وقال قوم: قد تكون النكتة فيه) أي: في الاعتراض.

(غير ما ذكر) مما سوى دفع الإيهام حتى أنه قد يكون لدفع إيهام خلاف المقصود.

(ثم) القائلون بأن النكتة فيه قد تكون لدفع الإيهام افترقوا فرقتين.

(جوز بعضهم وقوعه) أي: الاعتراض.

(في آخر جملة لا تليها جملة متصلة بها) وذلك بأن لا تلي الجملة جملة أخرى أصلاً فيكون

الاعتراض في آخر الكلام أو تليها جملة أخرى غير متصلة بها معنى.

وهذا الاصطلاح مذكور في مواضع من "الكشاف" فالاعتراض عند هؤلاء أن يؤتى

في أثناء الكلام أو في آخره أو بين كلامين متصلين أو غير متصلين بجملة أو أكثر لا محل لها

من الإعراب لنكتة سواء كانت دفع الإيهام أو غيره.

(فيشمل) أي: الاعتراض بهذا التفسير.

(التذييل) مطلقاً لأنه يجب أن يكون بجملة لا محل لها من الإعراب وأن لم يذكره

المصنف.

(وبعض صور التكميل) وهو ما يكون بجملة لا محل لها من الإعراب فإن التكميل قد

يكون بجملة وقد يكون بغيرها والجملة التكميلية قد تكون ذات إعراب وقد لا تكون لكنها

تباين التسميم لأن الفضلة لا بد لها من إعراب.

وقيل: لأنه لا يشترط في التسميم أن يكون جملة كما اشترط في الاعتراض وهو غلط كما

يقال إن الإنسان يباين الحيوان لأنه لم يشترط في الحيوان النطق فافهم.

(وبعضهم) أي: وجوز بعض القائلين بأن نكتة الاعتراض قد تكون لدفع الإيهام.

(كونه) أي: الاعتراض.

(غير جملة) فالاعتراض عندهم أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو غيرها لنكتة ما.

(فيشمل) الاعتراض بهذا التفسير.

(بعض صور التميم و) بعض صور.

(التكميل وهو) ما يكون واقعا في أثناء الكلام أو بين الكلامين المتصلين.

(وأما بغير ذلك) عطف على قوله إما بالايضاح بعد الإيهام وإما بكذا وكذا.

(كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾

[خافر: ٧]، فإنه لو اختصر) أي: ترك الإطناب فإن الاختصار قد يطلق على ما يعم الإيجاز والمساواة كما مر.

(لم يذكر: (ويؤمنون به) لأن إيمانهم لا ينكره) أي: لا يجمله.

(من يثبتهم) فلا حاجة إلى الإخبار به لكونه معلوما.

(وحسن ذكره) أي: ذكر قوله ويؤمنون به.

(إظهارا لشرف الإيمان وترغيبا فيه) وكون هذا الإطناب بغير ما ذكر من الوجوه

السابقة ظاهر بالتأمل فيهم.

(واعلم أنه قد يوصف الكلام بالايجاز والإطناب باعتبار كثرة حروفه وقلتها بالنسبة إلى

كلام آخر مساو له) أي: لذلك الكلام.

(في أصل المعنى) فيقال للكثير حروفا أنه مطنب وللأقل أنه موجز.

(كقوله: يَصُدُّ) أي: يعرض.

(عَنِ الدُّنْيَا إِذَا عَنَّ) أي: ظهر.

(سُوذُذٌ) ^(١) أي: سيادة.

وَلَوْ بَرَزْتَ فِي زِيِّ عَذْرَاءٍ نَاهِدٍ

الزّي: الهيئة. والعذراء: البكر. والنهود: ارتفاع الشدى.

(وقوله: وَلَسْتُ) بالضم على أنه فعل المتكلم بدليل ما قبله وهو قوله:

وَإِنِّي لَصَبَّارٌ عَلَى مَا يَنْوِينِي وَحَسْبُكَ أَنْ اللَّهُ أَثْنَى عَلَى الصَّبْرِ

(١) هو من الطويل، ونقاه:

وَلَوْ بَرَزْتَ فِي زِيِّ عَذْرَاءٍ نَاهِدٍ

وقائله أبو تمام من قصيدة يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم، أولها:

قفوا جدّوا من عهدكم بالمعاهد وإن هي لم تسمع لينشدان ناهِدٍ
لقد أطرق الربيع المحيلُ لفقدهم وَيُنْهَمُ إِطْرَاقُ تَحْلَانٍ فَاقِدٍ
وَأَبْقُوا لَضِيفَ الشَّوْقِ مَنِيَّ بَعْدَهُمْ .. قَرَى مِنْ جَوَى سَارٍ وَطِيفٍ مَعَاوِدٍ
سَمِعْتَهُ ذَعَا فَا عَادَةَ الدَّهْرِ فِيهِمْ وَسَمِ اللَّيَالِي فَوْقَ سَمِ الْأَسَاوِدِ
بِهِ عِلَّةٌ صَمَاءَ لِلْبَيْنِ لَمْ تُصْنَعْ لِبَرٍّ وَلَمْ تَوْجِبْ عِيَادَةَ عَائِدِ
وَفِي الْكِلَّةِ الْوَرْدِيَّةِ اللَّوْنُ جُؤْذَرٌ مِنَ الْعَيْنِ وَرَدِي الْخُدُودِ الْمَجَاسِدِ
رَمَتْهُ بِخَلْفٍ بَعْدَ مَا عَاشَ حِقْبَةً لَهُ رَسْفَانٌ فِي قِيُودِ الْمَوَاعِدِ
غَدَتْ مُغْتَدِي الْغَضْبِيِّ وَأَوْصَتْ خِيَالَهَا .. يَهْجُرَانِ نَضْوِ الْعَيْسِ نَضْوِ الْخِرَائِدِ
وَقَالَتْ نِكَاحُ الْحُبِّ يَفْسُدُ شَكْلُهُ وَكَمْ نَكَحُوا حُبًّا وَلَيْسَ بِفَاسِدِ
وهي طويلة، يقول في مدحها:

هُمْ حَسَدَوْهُ لَا مَلُومِينَ مَجْدَهُ .. وَمَا حَاسِدٌ فِي الْمَكْرُمَاتِ بِحَاسِدِ
قَرَانِي اللَّهْمِ وَالْوَدَّ حَتَّى كَأَنَّمَا أَفَادَ الْغِنَى مِنْ نَائِلِي وَفَوَائِدِي
فَأَصْبَحْتُ يَلْقَانِي الزَّمَانُ مِنْ أَجْلِهِ .. بِإِعْظَامِ مَوْلُودٍ وَاشْفَاقِ الْوَالِدِ

وبعده البيت، وبعده:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَزْهَدْ وَقَدْ صُبِّغَتْ لَهُ .. بِعَصْفَرِهَا الدُّنْيَا فَلَيْسَ بِزَاهِدِ
فَوَا كَيْدِي الْحُرِّيِّ وَوَا كَيْدَ النَّوَى لَا يَأْمُهُ لَوْ كُنَّ غَيْرَ بَوَائِدِ
وَهِيَاهُ مَا رَبُّبُ الزَّمَانِ بِمُخْلِدِ .. غَرِيبًا وَلَا رَبُّبُ الزَّمَانِ بِخَالِدِ

والزاي بكسر الزاي الهيئة. والعذراء: البكر. والناهد: التي نهد ثديها، أي ارتفع.

والشاهد فيه: وصفه بالإيجاز بالنسبة إلى كلام آخر مساو له في أصل المعنى، وهو البيت الآتي بعده، وهو: إذا المرء لم يزهده.. إلخ.

(بنظار إلى جانب الغني إذا كانت العلياء في جانب الفقير) ^(١)

يصفه بالميل إلى المعالي يعني أن السيادة مع التعب أحب إليه من الراحة مع الخمول.

فهذا البيت إطناب بالنسبة إلى المصراع السابق.

(ويقرب منه) أي: من هذا القبيل.

(قوله تعالى ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

وقول الحماسي: [الطويل]

وَنُكِرُ إِن شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلُهُمْ وَلَا يُنْكِرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ ^(٢)

(١) البيت من الطويل، وهكذا رويته، وإن كان في التلخيص بلفظ نظار بدل مبال. وقائله المعذل بن غيلان أبو عبد الصمد، أحد الشاعرين المشهورين، روى ذلك عنه الأخفش عن المبرد، ومحمد بن خلف المرزيان عن الربيعي، وبعد البيت:

وَإِن لَّصَبَّارٌ عَلَى مَا يَنْوِينِي .. وَحَسْبَكَ أَنْ اللَّهَ أَثْنَى عَلَى الصَّبْرِ

ورواه صاحب الدر الفريد، لأبي سعيد المخزومي، يخاطب به امرأته، وأول الأبيات:

بقي بجميل الصبر مني على الهجر .. ولا تنقي بالصبر مني على الهجر

وأراد بالغنى مسببه، أعني الراحة، وبالفقر المحنة، يعني أن السيادة مع التعب والمشقة أحب إليه من الراحة والدعة بدونها.

والشاهد فيه: وصفه بالإطناب بالنسبة إلى مصراع أبي تمام، لأنه مساو له في أصل المعنى مع قلة حروفه.

(٢) البيت للسموأل بن عادياء اليهودي من قصيدة من الطويل، أولها:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَذَنْسْ مِنَ اللَّؤْمِ عَرْضَهُ فكل رداء يرتديه جميل

وَإِنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ ضَمِيمَهَا .. فليس إلى حسن الثناء سبيل

نُعِيرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا فقللت لها إن الكرام قليل

وَمَا قَلَّ مَنْ كَانَتْ بَقَايَاهُ مِثْلَنَا شباب تسامت للعلا وكهول

وَإِنَّا لَقَوْمٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسُلُوفٌ

يَقْرُبُ حُبُّ الْمَوْتِ أَجَالَنَا لَنَا وتكرهه آجالهم فتطوّل

وَمَا مَاتَ مَنْ سَيِّدٌ فِي فِرَاشِهِ وَلَا طُلَّ مَنْ أَحْيَتْ كَانَ قَتِيلٌ

تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الظُّبَاتِ نَفُوسُنَا وليس على غير السيوف تسيل

إلى أن يقول فيها:

فَنَحْنُ كَمَا الزَّنْ مَا فِي نِصَالِنَا .. كَهَامٌ وَلَا فِينَا يَعْدُ بِخِيلٌ

يصف رئاستهم ونفاذ حكمهم، أي نحن نغير ما نريد من قول غيرنا واحد لا يجسر على الاعتراض علينا فالآية إيجاز بالنسبة إلى البيت.

وإنما قال: يقرب؛ لأن ما في الآية يشمل كل فعل والبيت مختص بالقول فالكلامان لا يتساويان في أصل المعنى بل كلام الله سبحانه وتعالى أجل وأعلى وكيف لا، والله أعلم.
تم الفن الأول بعون الله وتوفيقه وإياه أسأل في إتمام الفنين الآخرين هداية طريقه.

وبعده البيت، وبعده:

إذا سيدٌ منا خلا قام سيدٌ قوولٌ لما قال الكرامُ قُعوولُ
وما أخذت نارٌ لنا دُون طارق .. ولا ذمنا في النَّازلينَ نَزِيلُ
وأيامنا مشهورةٌ في عدونا لها غُررٌ معروفةٌ وحُجُولُ
وأشياقتنا في كلِّ شَرِّ ومغربٍ .. بها من قِرَاعِ الدَّارِعينَ فلولُ
مُعَوَّدةٌ أن لا تُسلَّ نِصالها فتغمدُ حتى يُستباحَ قَتيلُ
سلى إن جهلتِ النَّاسُ عَنَّا وعنهمُ . فليسَ سِوَا عالمٍ وجهولُ

ومعنى البيت: إنا نغير ما نريد تغييره من قول غيرنا، ولا يجسر أحد على الاعتراض علينا انقيادا لهوانا واقتداء بحزمننا. يصف رياستهم، ونفاذ حكمهم، ورجوع الناس في المهات إلى رأيهم.
والشاهد فيه: وصفه بالأطناب بالنسبة إلى قوله تعالى " لا يسأل عما يفعل وهم يسألون " ووصف الآيات الكريمة بالإيجاز بالنسبة إليه.

وفي قوله من القصيدة وإنا لقوم لا نرى القتل مبة البيت، نوع من البديع يسمى الاستطراد، وهو: أن يرى الشاعر أنه يريد وصف شيء وهو أنها يريد غيره.

والسموأل: هو ابن غريص بن عادياء، ذكر ذلك أبو خليفَةَ عن محمد بن سلام والسكري، عن الطوسي وأبي حبيب، وذكر أن الناس يدرجون غريصاً في النسب وينسبونه إلى عادياء جده، وقال عمرو بن شيبة: هو سموأل ابن عادياء، ولم يذكر غريصاً، وقد قيل: إن أمه كانت من غسان، وكلهم قال: إنه صاحب الحصن المعروف بالأبلق بتياء، وقيل: بل هو من ولد الكاهن بن هارون بن عمران، وكان هذا الحصن لجده عادياء واحترق فيه شراً عذبة روية، وقد ذكرته اشعراء في أسرارهم.

الفن الثاني

علم البيان

قدمه على البديع للاحتياج إليه في نفس البلاغة، وتعلق البديع بالتوابع.
(وهو علم) أي: ملكة يقتدر بها على إدراكات جزئية أو أصول وقواعد معلومة.
(يعرف به إيراد المعنى الواحد) أي: المدلول عليه بكلام مطابق لمقتضى الحال.
(بطرق) وتراكيب.

(مختلفة في وضوح الدلالة عليه) أي: على ذلك المعنى بأن يكون بعض الطرق واضح
الدلالة عليه وبعضها أوضح والواضح خفي بالنسبة إلى الأوضح فلا حاجة إلى ذكر الخفاء.
وتقيد الاختلاف بالوضوح ليخرج معرفة إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في اللفظ
والعبارة. واللام في المعنى الواحد للاستغراق العرفي أي كل معنى واحد يدخل تحت قصد
المتكلم وارادته فلو عرف أحد إيراد معنى قولنا زيد جواد بطرق مختلفة لم يكن بمجرد ذلك
علما بالبيان ثم لما لم يكن كل دلالة قابلا للوضوح والخفاء أراد أن يشير إلى تقسيم الدلالة
وتعيين ما هو المقصود ههنا فقال:

(ودلالة اللفظ) يعني دلالة الوضعية. وذلك لأن الدلالة هي كون الشيء بحيث يلزم
من العلم به العلم بشيء آخر والأول الدال والثاني المدلول. ثم الدال أن كان لفظا فالدلالة
لفظية وإلا فغير لفظية كدلالة الخطوط والعقود والاشارات والنصب. ثم الدلالة اللفظية
إما أن يكون للوضع مدخل فيها أو لا فالأولى هي المقصودة بالنظر ههنا وهي كون اللفظ
بحيث يفهم منه المعنى عند الإطلاق بالنسبة إلى العالم بوضعه، وهذه الدلالة.

(إما على تمام ما وضع) اللفظ.

(له) كدلالة الإنسان على الحيوان الناطق.

(أو على جزئه) كدلالة الإنسان على الحيوان أو الناطق.

(أو على خارج منه) كدلالة الإنسان على الضاحك.

(وتسمى الأولى) أي: الدلالة على تمام ما وضع له.

(وضعية) لأن الواضع إنما وضع اللفظ لتمام المعنى.

(و) يسمى (كل من الأخيرتين) أي: الدلالة على الجزء والخارج.

(عقلية) لأن دلالة اللفظ على كل من الجزء والخارج إنما هي من جهة حكم العقل بأن حصول الكل أو الملزوم يستلزم حصول الجزء أو اللازم والمنطقيون يسمون الثلاثة وضعية باعتبار أن للوضع مدخلا فيها ويخصون العقلية بما يقابل الرضعية والطبيعية كدلالة الدخان على النار.

(وتفيد الأولى) من الدلالات الثلاث.

(بالمطابقة) لتطابق اللفظ والمعنى.

(والثانية بالتضمن) لكون الجزء في ضمن المعنى الموضوع له.

(والثالثة بالالتزام) لكون الخارج لازما للموضوع له.

فإن قيل: إذا فرضنا لفظا مشتركا بين الكل وجزئه وبين الملزوم لازمه كلفظ الشمس المشترك مثلا بين الجرم والشعاع ومجموعهما، فإذا اطلق على المجموع مطابقة واعتبر دلالة على الجرم تضمنا والشعاع التزاما فقد صدق على هذا التضمن والالتزام أنها دلالة اللفظ على تمام الموضوع له وإذا اطلق على الجرم أو الشعاع مطابقة صدق عليها أنها دلالة اللفظ على جزء الموضوع له أو لازمه وحيث يتقضى تعريف كل من الدلالات الثلاث بالآخرين.

فالجواب: أن قيد الحيثية مأخوذ في تعريف الأمور التي تختلف باعتبار الإضافات حتى أن المطابقة هي الدلالة على تمام ما وضع له من حيث إنه تمام الموضوع له والتضمن هي الدلالة على جزء ما وضع له من حيث إنه جزء ما وضع له والالتزام هي الدلالة على لازمه من حيث إنه لازم ما وضع له وكثيرا ما يتركون هذا القيد اعتمادا على شهرة ذلك وانسباق الذهن إليه.

(وشرطه) أي: الالتزام.

(هي اللزوم الذهني) أي: كون المعنى الخارجي بحيث يلزم من حصول المعنى الموضوع له في الذهن حصوله فيه: إما على الفور أو بعد التأمل في القرائن والامارات.

وليس المراد باللزوم عدم انفكاك تعقل المدلول الالتزامي عن تعقل المسمى في الذهن أصلا أعني اللزوم البين المعتبر عند المنطقيين وإلا لخرج كثير من معاني المجازات والكنايات عن أن يكون مدلولات التزامية. ولما يتأتى الاختلاف بالوضوح في دلالة الالتزام أيضا وتقيد اللزوم بالذهني إشارة إلى أنه لا يشترط اللزوم الخارجي كالعمى فإنه يدل على البصر التزاما لأنه عدم البصر عما من شأنه أن يكون بصيرا مع التنافي بينهما في الخارج ومن نازع في اشتراط اللزوم الذهني فكأنه أراد باللزوم اللزوم البين بمعنى عدم انفكاك تعلقه عن تعقل المسمى. والمصنف أشار إلى أنه ليس المراد باللزوم الذهني البين المعتبر عند المنطقيين بقوله.

(ولو لاعتقاد المخاطب بعرف) أي: ولو كان ذلك اللزوم مما يشبه اعتقاد المخاطب بسبب عرف عام إذا هو المفهوم من إطلاق العرف.

(أو غيره) يعني العرف الخاص كالشرع واصطلاحات أرباب الصناعات وغير ذلك.

(والإيراد المذكور) أي: إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في الوضوح.

(لا يتأتى بالوضعية) أي: بالدلالة المطابقة.

(لأن السامع إذا كان عالما بوضع الألفاظ) لذلك المعنى.

(لم يكن بعضها أوضح دلالة عليه من بعض وإلا) أي: وأن لم يكن عالما بالوضع الألفاظ.

(لم يكن كل واحد) من الألفاظ.

(دالا عليه) لتوقف الفهم على العلم بالوضع مثلا إذا قلنا: خده يشبه الورد، فالسامع إن كان عالما بوضع المفردات والهيئة التركيبية امتنع أن يكون كلام آخر يؤدي هذا المعنى بطريق المطابق دلالة أوضح أو أخفى لأنه إذا اقيم مقام كل لفظ ما يرادفه، فالسامع إن علم الوضع فلا تفاوت في الفهم وإلا لم يتحقق الفهم.

وإنما قال: لم يكن كل واحد لأن قولنا هو عالم بوضع الألفاظ، معناه: أنه عالم بوضع كل لفظ فنقيضه المشار إليه بقوله وإلا يكون سلباً جزئياً أي لم يكن عالماً بوضع كل لفظ فيكون اللازم عدم كل لفظ ويحتمل أن يكون البعض منها دالاً لاحتمال أن يكون عالماً بوضع البعض.

ولقائل أن يقول: لا نسلم عدم التفاوت في الفهم على تقدير العلم بالوضع بل يجوز أن يحضر في العقل معاني بعض الألفاظ المخزونة في الخيال بأدنى التفات لكثرة الممارسة والمؤانسة وقرب العهد بخلاف البعض فإنه يحتاج إلى التفات أكثر ومراجعة أطول مع كون الألفاظ مترادفة والسامع عالماً بالوضع وهذا مما نجده من أنفسنا.

والجواب: أن التوقف إنما هو من جهة تذكر الوضع وبعد تحقق العلم بالوضع وحصوله بالعقل فالفهم ضروري.

(ويتأتى) الإيراد المذكور.

(بالعقلية) من الدلالات.

(لجواز أن تختلف مرات اللزوم في الوضوح) أي: مرات لزوم الأجزاء لكل في التضمن ومراتب لزوم اللوازم للملزوم في الالتزام.

وهذا في الالتزام ظاهر؛ فإنه يجوز أن يكون للشئ لوازم متعددة بعضها أقرب إليه من بعض وأسرع انتقالاً منه إليه لقلّة الوسائط فيمكن تأدية الملزوم بالألفاظ الموضوعه لهذه اللوازم المختلفة الدلالة عليه وضوحاً وخفاءً.

وكذا يجوز أن يكون للزوم ملزومات لزومه لبعضها أوضح منه للبعض الآخر فيمكن تأدية اللازم بالألفاظ الموضوعه للملزومات المختلفة وضوحاً وخفاءً وأما في التضمن فلأنه يجوز أن يكون المعنى جزء من شيء وجزء من شيء آخر فدلالة الشيء الذي ذلك المعنى جزء منه على ذلك المعنى أوضح من دلالة الشيء الآخر الذي ذلك المعنى جزء منجزته مثلاً دلالة

الحيوان على الجسم أوضح من دلالة الإنسان عليه ودلالة الجدار على التراب أوضح من دلالة البيت عليه. فإن قلت بل الأمر بالعكس فإن فهم الجزء سابق على فهم الكل.

قلت: نعم، ولكن المراد هنا انتقال الذهن إلى الجزء وملاحظته بعد فهم الكل وكثيرا ما يفهم الكل من غير التفات إلى الجزء كما ذكره الشيخ الرئيس في "الشفاء" أنه يجوز أن يخطر النوع بالبال ولا يلتفت الذهن إلى الجنس.

(ثم اللفظ المراد به لازم ما وضع له) سواء كان اللازم داخلا فيه كما في التضمن أو خارجا عنه كما في الالتزام.

(إن قامت قرينة على عدم ارادته) إرادة ما وضع له.

(فمجاز وإلا فكناية) فعند المصنف أن الانتقال في المجاز والكناية كليهما من الملزوم إلى اللازم إذ لا دلالة لللازم من حيث إنه لازم على الملزوم إلا أن إرادة المعنى الموضوع له جائزة في الكناية دون المجاز.

(وقدم) المجاز.

(عليها) أي: على الكناية.

(لأن معناه) أي: المجاز.

(كجزء معناها) أي: الكناية لأن معنى المجاز هو اللازم فقط ومعنى الكناية يجوز أن يكون هو اللازم والملزوم جميعا والجزء مقدم على الكل طبعاً فيقدم بحث المجاز على بحث الكناية وضعا.

وإنما قال: كجزء معناها؛ لظهور أنه ليس جزء معناها حقيقة فإن معنى الكناية ليس هو مجموع اللازم والملزوم بل هو اللازم مع جواز إرادة الملزوم.

(ثم منه) أي: من المجاز.

(ما يمتنى على التشبيه) وهو الاستعارة التي كان أصلها التشبيه.

(فتعين التعرض له) أي: للتشبيه أيضا قبل التعرض للمجاز الذي أحد أقسامه الاستعارة المبنية على التشبيه ولما كان في التشبيه مباحث كثيرة وفوائد جمة لم يجعل مقدمة لبحث الاستعارة بل جعل مقصدا برأسه.

(فانحصر) المقصود من علم البيان.

(في الثلاثة) التشبيه والمجاز والكناية. التشبيه أي هذا باب التشبيه الاصطلاحي المبني عليه الاستعارة.

(التشبيه) أي: مطلق التشبيه أعم من أن يكون على وجه الاستعارة أو على وجه تبتنى عليه الاستعارة أو غير ذلك فلم يأت بالضمير لثلا يعود إلى التشبيه المذكور الذي هو أخص، وما يقال: إن المعرفة إذا أعيدت كانت عين الأول فليس على إطلاقه يعني أن معنى التشبيه في اللغة.

(الدلالة) هو مصدر قولك دلت فلانا على كذا إذ هديته له.

(على مشاركة أمر لأمر آخر في معنى) فالأمر الأول هو المشبه والثاني هو المشبه به - والمعنى هو وجه الشبه، وهذا شامل لمثل قاتل زيد عمرا، وجاءني زيد وعمرو. والمراد بالتشبيه المصطلح عليه.

(ههنا) أي: في علم البيان.

(ما لم يكن) أي: الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى بحيث لا يكون.

(على وجه الاستعارة الحقيقية) نحو: رأيت أسدا في الحمام.

(ولا على) وجه.

(الاستعارة بالكناية) نحو: أنشبت المنية أظفارها.

(و) لا على وجه.

(التجريد) الذي يذكر في علم البديع من نحو لقيت بزيد أسدا أو لقيني منه أسد فإن في

هذه الثلاثة دلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى مع أن شيئا منها لا يسمى تشبيها اصطلاحا.

وإنما قيد الاستعارة بالتحقيقية والكنائية؛ لأن الاستعارة التخيلية كائبات الأظفار للمنية في المثال المذكور ليس في شيء من الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى على رأى المصنف إذا المراد بالأظفار ههنا معناها الحقيقي على ما سيجيء فالتشبيه الاصطلاحي هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى لا على وجه الاستعارة التحقيقية والاستعارة بالكنائية والتجريد.

(فدخل فيه نحو قولنا: زيدا أسدا) بحذف أداة التشبيه.

(و) نحو:

(قوله تعالى: ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمِيٌّ﴾ [البقرة: ١٨]) بحذف الأداة والمشبّه جميعاً أي هم كأصم. فإن المحققين على أنه تشبيه بليغ لا استعارة؛ لأن الاستعارة إنها تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له بالكلية ويجعل الكلام خلو عنه صالحاً لأن يراد به المنقول عنه والمنقول إليه لو لا دلالة الحال أو فحوى الكلام.

(والنظر ههنا في أركانه) أي: البحث في هذا المقصد عن أركان التشبيه المصطلح عليه.

(وهي) أربعة:

(طرفاه) أي: المشبه والمشبّه به.

(ووجهه وأداته وفي الغرض منه وفي أقسامه) وإطلاق الأركان على الأربعة المذكورة إما باعتبار أنها مأخوذة في تعريفه عنى الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى بالكاف ونحوه وأما باعتبار أن التشبيه في الاصطلاح كثيراً ما يطلق على الكلام الدال على المشاركة المذكور كقولنا زيد كالأسد في الشجاعة. ولما كان الطرفان هما الأصل والعمدة في التشبيه لكون الوجه معنى قائماً بهما والأداة آلة في ذلك قدم بحثهما فقال:

(طرفاه) أي: المشبه والمشبّه به.

(إما حسيان كالخد والورد) في المبصرات.

(والصوت الضعيف والهمس) أي: الصوت الذي اخفى حتى كأنه لا يخرج عن فضاء الفم في المسموعات.

(والنكهة) وهي ريح الفم.

(والعنبر) في المسمومات.

(والريق والخمر) في المذوقات.

(والجلد الناعم والحرير) في الملموسات.

وفي أكثر ذلك تسامح؛ لأن المدرك بالبصر مثلاً إنما هو لو الخد والورد وبالشّم رائحة العنبر وبالذوق طعم الريق والخمر وباللمس ملاسة الجلد الناعم والحرير وليتهما لا نفس هذه الاجسام لكن اشتهر في العرف أن يقال: أبصرت الورد وشممت العنبر وذقت الخمر ولمست الحرير.

(أو عقليان كالعلم والحياة) ووجه الشبه بينهما كونها جهتي إدراك كذا في المفتاح والايضاح. فالمراد بالعلم ههنا الملكة التي يقتدر بها على الادراكات الجزئية لانفس الإدراك. ولا يخفى انها جهة وطريق إلى الإدراك كالحياة.

وقيل: وجه الشبه بينهما الإدراك إذ العلم نوع من الإدراك والحياة مقتضية للحس الذي هو نوع من الإدراك وفساده واضح لأن كون الحياة مقتضية للحس لا يوجب اشتراكهما في الإدراك على ما هو شرط في وجه الشبه. وأيضاً لا يخفى أن ليس المقصود من قولنا العلم كالحياة والجهل كالموت أن العلم إدراك كما أن الحياة معها إدراك بل ليس في ذلك كثير فائدة كما في قولنا: العلم كالحس في كونها إدراكا.

(أو مختلفان) بأن يكون المشبه عقلياً والمشبه به حسياً.

(كالمنية والسبع) فإن المنية أي الموت عقلي لأنه عدم الحياة عما من شأنه الحياة والسبع حسي أو بالعكس.

(و) ذلك مثل (العطر) الذي هو محسوس مشموم.

(وخلق كريم) وهو عقلي لأنه كيفيه نفسانية يصدر عنها الأفعال بسهولة. والوجه في تشبيه المحسوس بالمعقول أن يقدر المعقول محسوسا ويجعل كالأصل لذلك المحسوس على طريق المبالغة وإلا فالمحسوس أصل للمعقول لأن العلوم العقلية مستفادة من الحواس ومنتبهة إليها فتشبيهه بالمعقول يكون من جعل القرع أصلا والأصل فرعاً وذلك لا يجوز. ولما كان من المشتبه والمشبّه به ما لا يدرك بالقوة العاقلة ولا بالحس أعني الحس الظاهر مثل الخيالات والوهميات والوجدانيات أراد أن يجعل الحسى والعقلي بحيث يشملانها تسهيلات للضبط بتقليل الأقسام فقال:

(والمراد بالحسي المدرك: هو أن مادته باحدى الحواس الخمس الظاهرة) أعني البصر والسمع والشم والذوق واللمس.

(فدخل فيه) أي: في الحس بسبب زيادة قولنا أو مادته.

(الخيالي) وهو المعدوم الذي فرض مجتمعنا من أمور كل واحد منها مما يدرك بالحس.

(كما في قوله وكان محمر الشقيق) هو من باب جرد قطيفة والشقيق ورد احمر في وسط

سواد ينبت بالجبال.

(إذا تصوب) أي: مال إلى السفلى.

(أو تصعد) أي: مال إلى العلو.

(أعلامٌ ياقوتٌ نُثِرْنَ على رماح من زبرجد)^(١)

(١) من بيتان من الكامل المجزوء المرفل، ولم أقف على اسم قائلهما، ورأيت بعض هل العصر نسبهما في مصنف له إلى الصنوبري الشاعر.

وكانَ مُحَمَّرَ الشَّقِيقِ إِذَا تَصَوَّبَ أَوْ تَصَعَّدَ

أَعْلَامٌ يَاقُوتٌ نُثِرْنَ .. نَ عَلَى رِمَاحٍ مِنْ زَبْرَجْدَ

والشقيق: أراد به شقائق النعمان، وهو النور المعروف، ويطلق على الواحد والجمع، وسمي بذلك لحمته تشبيهاً بشقيقة البرق، وأضيف إلى النعمان بن المنذر - وهو آخر ملوك الحيرة - لأنه خرج إلى ظهر الحيرة وقد اعتم نبتة ما بين أصفر وأحمر وأخضر، وإذا فيه من هذه الشقائق شيء كثير، فقال: ما أحسنها! أحوها، فكان أول من حاماها، فنسبت إليه.

فإن كلا من العلم والياقوت والرمح والزبرجد محسوس لكن المركب الذي هذه الأمور مادته ليس بمحسوس لأنه ليس بموجود والحس لا يدرك إلا ما هو موجود في المادة حاضر عند المدرك على هيئة مخصوصة.

(و) المراد (بالعقلي ما عدا ذلك) أي: مالا يكون هو ولا مادته مدركا باحدى الحواس الخمس الظاهر.

(فدخل فيه الوهمي) أي: الذي لا يكون للحس مدخل فيه.

(أي ما هو غير مدرك بها) أي: باحدى الحواس المذكورة.

(و) لكنه بحيث.

(لو أدرك لكان مدركا بها) وبهذا القيد يتميز عن العقلي.

(كما في قوله): [الطويل]

أَيَقْتُلْنِي وَالْمَشْرِقُ مُضَاجِعِي (وَمَسْنُونَةُ زُرُقٍ كَأَنْيَابِ أَهْوَالٍ)^(١)

وكان أبو العميث يقول: النعمان اسم من أسماء الدم، ولذلك قيل شقائق النعمان نسبت إلى الدم لحرمتها، قال: وقولهم إنها منسوبة إلى النعمان بن المنذر ليس بشيء. قال: وحدثت الأصمعي بهذا فنقله عني، انتهى. والذي قدمناه هو الذي ذكره أرباب اللغة.

والشاهد فيهما: التشبيه الخيالي، وهو المعدوم الذي فرض مجتمعاً من أمور كل واحد منها مما يدرك بالحس، فإن الأعلام الباقوتية المنشورة على الرماح الزبرجدية مما لا يدركه الحس، إنها يدرك ما هو موجود في المادة حاضر عنه المدرك على هيآت محسوسة مخصوصة، لكن مادته التي تركب منها كالأعلام والياقوت والرمح والزبرجد كل منها محسوس بالبصر.

(١) وقائله امرؤ القيس الكندي، من قصيدة أولها:

أَلَا عِمَّ صَبَاحاً أَيَا الطَّلَلِ الْبَالِي .. وَهَلْ يِعْمَنُ مَنْ كَانَ فِي الْعُصْرِ الْخَالِي
وَهَلْ يِعْمَنُ إِلَّا سَعِيدٌ مَحْلَدٌ قَلِيلُ هُمُومٍ مَا بَيْتٌ بِأَوْجَالِ

وبعد البيت المذكور:

وَلَيْسَ يَذِي سَيْفٌ فَيَقْتُلْنِي بِهِ وَلَيْسَ يَذِي رُمَحٌ وَلَيْسَ بِنَّالٍ
أَيَقْتُلْنِي وَقَدْ قَطَرْتُ فَوَادَهَا كَمَا قَطَرُ الْمَهْنَةِ الرَّجُلُ الطَّالِي
وَقَدْ عَلِمْتُ سَلَمَى وَإِنْ كَانَ بَعْلَهَا .. بِأَنَّ الْفَتَى يَهْذِي وَلَيْسَ بِفَعَّالٍ
وَمَاذَا عَلَيْهِ إِنْ ذَكَرْتُ أَوَانَسَا كَغَزْلَانِ رَمَلٍ فِي تَحَارِبِ أَقْوَالِ

أي: أيقنتني ذلك الرجل الذي يوعدني والحال أن مضاجعي سيف منسوب إلى مشارف اليمن وسهام محددة النصال صافية مجلوة.

وأنياب الأغوال مما لا يدركها الحس لعدم تحققها مع أنها لو أدركت لم تدرك إلا بحس البصر. ومما يجب أن يعلم في هذا المقام أن من قوى الإدراك ما يسمى متخيلة ومفكرة.

ومن شأنها تركيب الصور والمعاني وتفصيلها والتصرف فيها واختراع أشياء لا حقيقة لها. والمراد بالخيالي المعلوم الذي ركبته المتخيلة من الأمور التي أدركت بالحواس الظاهرة وباليوهي ما اخترعته المتخيلة من عند نفسها كما إذا سمع أن الغول شيء تهلك به النفوس كالسبع فاخذت المتخيلة في تصويرها بصورة السبع واختراع ناب لها كما للسبع.

(وما يدرك بالوجدان) أي: ودخل أيضا في العقلي ما يدرك بالقوى الباطنة ويسمى وجدانيا.

(كاللذة) وهي إدراك ونيل لما هو عند المدرك كمال وخير من حيث هو كذلك.

(والآلم) وهو إدراك ونيل لما هو عند المدرك آفة وشر من حيث هو كذلك. ولا يخفى أن إدراك هذين المعنيين ليس بشيء من الحواس الظاهرة، وليس أيضا من العقلية الصرفة لكونهما من الجزئيات المستندة إلى الحواس بل هما من الوجدانيات المدركة بالقوى الباطنة كالشبع والجوع والفرح والغم والغضب والخوف وما شاكل ذلك والمراد ههنا اللذة والآلم الحسيان وإلا فاللذة والآلم العقليان من العقلية الصرفة.

(ووجهه) أي: وجه الشبه.

=

وهي طويلة.

والمشرق بفتح الميم والراء، نسبة إلى مشارف الشام، وهي قرى من أرض العرب، تدنو من الريف، منها السيوف المشرفة. والمسنون: المحدد المصقول، ووصف النصال بالزرقة للدلالة على صفائها، وكونها مجلوة، وأراد بقوله أنياب أغوال، أي شياطين، وإنما أراد أن يهول. قال أبو نصر: سألت الأصمعي عن الغول، فقال: همرجة من همرجة الجن.

والشاهد فيه: التشبيه الوهمي، وهو الغير المدرك بإحدى الحواس، ولكنه بحيث لو أدرك لكان مدركاً بها، فإن أنياب الغول مما لا يدركه الحس لعدم تحققها، مع أنها لو أدركت لم تدرك إلا بحس البصر.

(ما يشتركان فيه) أي: المعنى الذي قصد اشتراك الطرفين فيه وذلك أن زيدا والأسد يشتركان في كثير من الذاتيات، وغيرها كالحوانية والجسمية والوجود وغير ذلك مع أن شيئاً منها ليس وجه الشبه وذلك الإشتراك يكون.

(تحقيقاً أو تخيلاً. والمراد بالتخييل) أن لا يوجد ذلك المعنى في أحد الطرفين أو في كليهما إلا على سبيل التخيل والتأويل.

(نحو ما في قوله: [الخفيف])

وكانَّ النجوم بين دُجَاه

جمع دجية، وهي الظلمة والضمير لليل، وروي: دجاءها، والضمير للنجوم.

(سُننٌ لآخَ بينهما ابتداءً)^(١)

(١) البيت للقاضي التنوخي، من أبيات من الخفيف، أولها:

رُبَّ لَيْلٍ قَطَعَتْهُ بِصُدُودٍ أو فراقٍ ما كانَ فيه وَدَاعٌ
موحشٍ كالثَقِيلِ تَقْدَى به العَيْنُ .. وتَأبَى حديثُهُ الأسَاعُ

وبعده البيت، وبعده:

مُشْرِقاتٌ كأنهنَّ حجاجٌ .. تَقَطُّ الخَصَمَ والظلامَ انقطاعاً
وكانَّ السماءَ خيمةً وَثِيًى وكانَّ الجوزاءَ فيها سراعٌ

والدجى: جمع دجية، وهي الظلمة، والضمير راجع إلى الليالي أو النجوم، والابتداء: الحدث في الدين بعد الكمال، أو ما استحدث بعد النبي صلى الله عليه وسلم من الأحوال والأعمال.

والشاهد فيه: التشبيه التخيلي، وهو أن لا يوجد في أحد الطرفين أو في كليهما إلا على سبيل التخيل والتأويل، ووجهه في هذا البيت هو: الهيئة الحاصلة من حصول أشياء مشرقة بيض في جوانب شيء مظلم أسود، فتلك الهيئة غير موجودة في المشبه به إلا على طريق التخيل، وذلك أنه لما كانت البدعة وكل ما هو جهل تجعل صاحبها كمن يمشي في الظلمة فلا يهتدي للطريق ولا يأمن أن ينال مكروهاً شبيهت بالظلمة، ولزم بطريق العكس أن تشبه السنة وكل ما هو علم بالنور، لأن السنة والعلم تقابل البدعة والجهل، كما أن النور يقابل الظلمة.

والقاضي التنوخي: هو علي بن محمد بن داود، أبو القاسم التنوخي، قدم بغداد، وتفقه على مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى، وكان حافظاً للشعر، ذكياً وله عروض بديع، وولي القضاء بعدة بلدان، وهو والد أبي علي المحسن التنوخي صاحب نشوار المحاضرة، وكتاب الفرج بعد الشدة، وغيرهما. وكان أبو القاسم هذا بصيراً بعلم النجوم، قرأ على الكسائي المنجم، ويقال: إنه كان يقوم بعشرة علوم، وكان يحفظ للطائنين

فإن وجه الشبه فيه) أي: في هذا التشبيه.

(هو الهيئة الحاصلة من حصول أشياء مشرقة بيض في جانب شيء مظلم اسود فهي) أي: تلك الهيئة.

(غير موجودة في المشبه به) أعني السنن بين الابتداء.

(إلا على طريق التخيل) أي: وجودها في المشبه به على طريق التخيل.

(أنه) الضمير للشأن.

(لما كانت البدعة وكل ما هو جهل يجعل صاحبها كمن يمشي في الظلمة، فلا يهتدي إلى الطريق، ولا يأمن من أن ينال مكروها شبهت) أي: البدعة وكل ما هو جهل. (بها) أي: بالظلمة.

(ولزم بطريق العكس) إذا أريد التشبيه.

(أن تشبه السنة وكل ما هو علم بالنور) لأن السنة والعلم يقابل البدعة والجهل كما أن النور يقابل الظلمة.

(وشاع ذلك) أن كون السنة والعلم كالنور والبدعة والجهل كالظلمة.

سبعائة قصيدة ومقطوعة، سوى ما يحفظ لغيرهم من المحدثين وغيرهم، وكان يحفظ من النحو واللغة شيئاً كثيراً، وكان في الفقه والفرائض والشروط غاية، واشتهر بالكلام والمنطق والهندسة وكان في الهيئة قدوة. وقال الثعالبي في حق رحمة الله تعالى: هو كما قرأته في فصل للمصاحب إن أردت فإني سبعة ناسك، أو أحببت فإني تفاحة فاتك، أو اقترحت فإني مدرعة راهب، أو آثرت فإني نخبة شارب. وكان الوزير المهلب وغيره من وزراء العراق يميلون إليه جداً، ويتعصبون له، ويعدونه ربحانة الندماء وتاريخ الظرفاء، ويعاشرهم منه من تطيب عشرته وتلين قشرته، وتكرم أخلاقه وتحسن أخباره، وتسير أشعاره ناظمة حاشيتي البر والبحر، وناحيتي الشرق والغرب.

ويحكى أنه كان من جملة القضاة الذين ينادمون الوزير المهلب ويجمعون عنده في الأسبوع ليلتين على أطراح الحشمة والتبسط في القصف والخلاعة، وهم ابن قريعة وابن معروف والأيدجي وغيرهم، وما منهم إلا أبيض اللحية طويلها وكذلك كان المهلب، فإذا تكامل الانس، وطاب المجلس، ولد السماع، وأخذ الطرب منهم مأخذ، وهبوا أثواب الوقار للعقار، وتقلبوا في أعطاف العيش، بين الخفة والطيش، ووضع في يد كل منهم طاس من ذهب ألف مثقال مملوء شرباً قطر بلياً أو عكبرياً، فيغمس لحيته فيه بل ينقعها حتى تشرب أكثره ثم يرش بها بعضهم على بعض، ويرقصون بأجمعهم، وعليهم المصبغات وغنائق البرم.

(حتى تخيل أن الثاني) أي: السنة وكل ما هو علم.
 (مما له بياض واشراق نحو: أثبتكم بالحنفية البيضاء، والأول على خلاف ذلك) أي:
 يخيل أن البدعة وكل ما هو جهل مما له سواد وإظلام.
 (كقولك: شاهد سواد الكفر من جبين فلان فصار) بسبب التخيل أن الثاني مما له
 بياض واشراق والأول مما له سواد وإظلام.

(تشبيه النجوم بين الدجى بالسنن بين الابتداء كتشبيها) أي: النجوم.
 (بياض الشيب في سواد الشباب) أي: أبيضه في أسوده.
 (أو بالأنوار) أي: الأزهار.
 (مؤتلفة) باللقاف أي لامية.
 (بين النبات الشديدة الخضرة) حتى تضرب إلى السواد.
 فهذا التأويل أعني تخيل ما ليس بمتلون متلونا أظهر اشتراك النجوم بين الدجى
 والسنن بين الابتداء في كون كل منهما شيئا ذا بياض بين شيء ذي سواد. ولا يخفى أن قوله
 لاح بينهن ابتداء من باب القلب أي سنن لاحت بين الابتداء.
 (فعلم) من وجوب اشتراك الطرفين في وجه التشبيه.
 (فساد جعله) أي: وجه الشبه.

(في قول القائل: " النحو في الكلام كالمالح في الطعام " كون القليل مصلحا والكثير
 مفسدا) لأن المشبه أعني النحو لا يشترك في هذا المعنى.
 (لأن النحو لا يحتمل القلة والكثرة). إذ لا يخفى أن المراد به ههنا رعاية قواعده
 واستعمال احكامه مثل رفع الفاعل ونصب المفعول وهذه أن وجدت في الكلام بكما لها صار
 صالحا لفهم المراد وأن لم توجد بقى فاسدا ولم ينتفع به.
 (بخلاف المالح) فإنه يحتمل القلة والكثرة بأن يجعل في الطعام القدر الصالح منه أو أقل
 أو أكثر بل وجه الشبه هو الشبه هو الصلاح باعمالها والفساد باعمالها.

(وهو) أي: وجه الشبه.

(إما غير خارج عن حقيقتها) أي: حقيقة الطرفين بأن يكون تمام ماهيتهما أو جزء منها.

(كما في تشبيه ثوب بآخر في نوعهما أو جنسهما أو فصلهما) كما يقال هذا القميص مثل ذاك في كونهما كرباسا أو ثوبا أو من القطن.

(أو خارج) عن حقيقة الطرفين.

(صفة) أي: معنى قائم بهما ضرورة اشتراكهما فيه وتلك الصفة.

(إما حقيقية) أي: هيئة متمكنة في الذات متقررة فيها.

(و) هي.

(إما حسية) أي: مدركة بإحدى الحواس الظاهرة وهي.

(كالكيفيات الجسمية) أي: المختصة بالاجسام.

(بما يدرك بالبصر) وهي قوة مرتبة في العصبتين المجوفتين اللتين تتلاقيان فتفترقان إلى العينين.

(من الألوان والأشكال) والشك هيئة إحاطة نهاية واحدة أو أكثر بالجسم كالدائرة ونصف الدائرة والمثلث والمربع وغير ذلك.

(والمقادير) جمع مقدار وهو كم متصل قار الذات كالخط والسطح.

(والحركات) والحركة هي الخروج من القوة إلى الفعل على سبيل التدريج. وفي جعل

المقادير والحركات من الكيفيات تسامح.

(وما يتصل بها) أي: بالمذكورات كالحسن والقبح المتصف بهما الشخص باعتبار الخلقة

التي هي مجموع الشكل واللون والضحك والبكاء الحاصلين باعتبار الشكل والحركة.

(أو بالسمع) عطف على قوله بالبصر وهي قوة رتبت في العصب المفروش على سطح

باطن الصماخين تدرك بها الاصوات.

(من الأصوات الضعيفة والقوية والتي بين بين) والصوت يحصل من التموج المعلوم للقرع الذي هو امساس عفيف والقدر الذي هو تفريق عفيف بشرط مقاومة المقروع للقارع والمقلوع للقارع ويختلف الصوت قوة وضعفا بحسب قوة المقاومة وضعفها.

(أو بالذوق) وهي قوة منبثة في العصب المفروش على جرم اللسان.

(من الطعوم) كالحلاوة والمرارة والملوحة والحموضة وغير ذلك.

(أو بالشم) وهي قوة مرتبة في زائدي مقدم الدماغ المشبهتين بحلمتي الثدي.

(من الروائح أو باللمس) وهي قوة سارية في البدن كله يدرك بها الملموسات.

(من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة). هذه الأربعة هي اوائل الملموسات.

فالأوليان منها فعليان والآخران منها انفعاليان.

(والخشونة) وهي كيفية حاصلة من كون بعض الأجزاء اخفض وبعضها أرفع.

(والملاسة) وهي كيفية حاصلة عن استواء وضع الأجزاء.

(واللين) وهي كيفية بها يقتضي الجسم قبول الغمز إلى الباطن ويكون للشئ بها قوام

غير سيال.

(والصلابة) وهي تقابل اللين.

(والخفة) وهي كيفية بها يقتضي الجسم أن يتحرك إلى صوب المحيط لو لم يعقه عائق.

(والثقل) وهي كيفية بها يقتضي الجسم أن يتحرك إلى صوب المركز لو لم يعقه عائق.

(وما يتصل بها) أي: بالمذكورات كالبه والجفاف والزوجة والمهاشة واللطافة والكثافة

وغير ذلك.

(أو عقلية) عطف على حسية.

(كالكيفيات النفسانية) أي: المختصة بذوات الانفس.

(من الذكاء) وهي شدة قوة للنفس معدة لاكتساب الاراء.

(والعلم) وهو الإدراك المفسر بحصول صورة الشيء عند العقل وقد يقال على معانٍ أخرى.

(والغضب) وهو حركة للنفس مبدؤها إرادة الانتقام.

(والحلم) وهو أن تكون النفس مطمئنة بحيث لا يحركها الغضب بسهولة ولا تضطرب عند إصابة المكروه.

(وسائر الغرائز) جمع غريزة وهي الطبيعة أعني ملكة تصدر عنها صفات ذاتية مثل الكرم والقدرة والشجاعة وغير ذلك.

(وإما اضافية) عطف على قوله إما حقيقية. ونعني بالاضافية ما لا تكون له هيئة متقررّة في الذات بل تكون معنى متعلقاً بشيئين.

(كإزالة الحجاب في تشبيه الحجة بالشمس) فإنها ليست هيئة متقررّة في ذات الحجة والشمس ولا في ذات الحجاب وقد يقال الحقيقي على ما يقابل الاعتباري الذي لا تحقق له إلا بحسب اعتبار العقل. وفي "المفتاح" إشارة إلى أنه المراد ههنا حيث قال الوصف العقلي منحصر بين حقيقي كالكيفيات النفسانية وبين اعتباري ونسبي كاتصاف الشيء بكونه مطلوب الوجود أو العدم عند النفس أو كاتصافه بشيء تصوري وهمي محض. (وأيضاً) لوجه الشبه تقسيم آخر وهو أنه.

(إما واحد وإما بمنزلة الواحد لكونه مركباً من متعدد).

تركيباً حقيقياً بأن يكون وجه الشبه حقيقة ملتزمة من أمور مختلفة أو اعتبارياً بأن يكون هيئة انتزعتها العقل من عدة أمور.

(وكل منهما) أي: من الواحد وما هو بمنزلة.

(حسي أو عقلي وإما متعدد) عطف على قوله: إما واحد وإما بمنزلة الواحد، والمراد بالمتعدد أن ينظر إلى عدة أمور ويقصد اشتراك الطرفين في كل واحد منها ليكون كل منها

وجه الشبه بخلاف المركب المنزل منزلة الواحد فإنه لم يقصد اشتراك الطرفين في كل من تلك الأمور بل في الهيئة المنتزعة أو في الحقيقة الملتزمة منها.

(كذلك) أي: المتعدد أيضا حسي أو عقلي.

(أو مختلف) بعضه حسي وبعضه عقلي.

(والحسي) من وجه التشبيه سواء كان بتمامه حسيا أو ببعضه.

(طرفاه حسيان لا غير) أي: لا يجوز أن يكون كلاهما أو أحدهما عقليا.

(لا متناع أن يدرك بالحس من غير الحسي شيء) فإن وجه الشبه أمر مأخوذ من الطرفين

موجود فيهما والموجود في العقلي إنها يدرك بالعقل دون الحس إذا المدرك بالحس لا يكون إلا جسما أو قائما بالجسم.

(والعقلي) من وجه الشبه.

(أعم) من الحسي.

(الجواز أن يدرك بالعقل من الحسي شيء) أي: يجوز أن يكون طرفاه حسيين أو عقليين

أو أحدهما حسيا والآخر عقليا إذ لا امتناع في قيام المعقول بالمحسوس وإدراك العقل من المحسوسات شيئا.

(ولذلك يقال: التشبيه بالوجه العقلي أعم) من التشبيه بالوجه الحسي بمعنى أن كلما

يصح فيه التشبيه بالوجه الحسي يصح بالوجه العقلي من غير عكس.

(فإن قيل: هو) أي: وجه الشبه.

(مشارك فيه) ضرورة اشتراك الطرفين فيه.

(فهو كلي) ضرورة أن الجزئي يمتنع وقوع الشركة فيه.

(والحسي ليس بكلي) قطعاً ضرورة أن كل حسي فهو موجود في المادة حاضر عند

المدرك ومثل هذا لا يكون إلا جزئياً ضرورة فوجه الشبه لا يكون حسياً قط.

(قلنا المراد) بكون وجه الشبه حسياً.

(أن أفراده) أي: جزئياته.

(مدركة بالחס) كالحمرة التي تدرك بالبصر جزئياتها الحاصلة في المواد، فالحاصل أن وجه الشبه إما واحد أو مركب أو متعدد وكل من الأولين إما حسي أو عقلي والآخر إما حسي أو عقلي أو مختلف تصير سبعة والثلاثة العقلية طرفاها إما حسيان أو عقليان أو المشبه حسي والمشبه به عقلي أو بالعكس فصارت ستة عشر قسما.

(الواحد الحسي كالحمرة) من المبصرات.

(والخفاء) يعني خفاء الصوت من المسموعات.

(وطيب الرائحة) من المشمومات.

(ولذة الطعم) من المذوقات.

(ولين اللمس) من الملموسات.

(فيما مر) أي: في تشبيه الخد بالورد والصوت الضعيف بالهمس والنكهة بالعنبر والريق بالخمير والجلد الناعم بالحرير وفي كون الخفا من المسموعات والطيب من المشمومات واللذة من المذوقات تسامح.

(و) الواحد.

(العقلي كالمراء عن الفائدة والجرأة) على وزن الجرعة أي الشجاعة. وقد يقال جزء الرجل جرأة بالمد.

(والهداية) أي: الدلالة إلى طريق يوصل إلى المطلوب.

(واستطابة النفس في تشبيه وجود الشيء العديم النفع بعدمه) فيما طرفاه عقليان إذ الوجود والعدم من الأمور العقلية.

(و) تشبيه.

(الرجل الشجاع بالأسد) فيما طرفاه حسيان.

(و) تشبيه.

(العلم بالنور) فيما المشبه عقلي والمشبه به حسي فبالعلم يوصل إلى المطلوب ويفرق بين الحق والباطل كما أن بالنور يدرك المطلوب ويفصل بين الأشياء فوجه الشبه بينهما الهداية.
(و) تشبيه.

(العطر بخلق) شخص.

(كريم) فيما المشبه حسي والمشبه به عقلي ولا يخفى ما في الكلام من اللف والنشر وفي وحدة بعض الأمثلة تسامح لما فيه شائبة التركيب كالعراء عن الفائدة مثلاً.
(والمركب الحسي) من وجه الشبه طرفاه إما مفردان أو مركبان أو أحدهما مفرد والآخر مركب ومعنى التركيب ههنا أن تقصد إلى عدة أشياء مختلفة فتتزع منها هيئة وتجعلها مشبهها أو مشبهها بها؛ ولهذا صرح صاحب "المفتاح" في تشبيه المركب بالمركب بأن كلا من المشبه والمشبه به هيئة متزعة.

وكذا المراد بتركيب وجه الشبه أن تعتمد إلى عدة أوصاف لشئ فتتزع منها هيئة، وليس المراد بالمركب ههنا ما يكون حقيقة مركبة من أجزاء مختلفة بدليل أنهم يجعلون المشبه والمشبه به في قولنا زيد كالأسد مفردين لامركيين. ووجه الشبه في قولنا: زيد كعمر وفي الانسانية واحد لا منزلاً منزلة الواحد فالمركب الحسي.
(فيما) أي: في التشبيه الذي.

(طرفاه مفردان كما في قوله: [الطويل])

وَقَدْ لَاحَ فِي الصُّبْحِ الثُّرَيَّا لَمَّا يَرَى كَعُنُقُودٍ مُلَاحِيَةٍ

بضم الميم وتشديد اللام عنب أبيض في حبه طول وتخفيف اللام أكثر.

(حينَ نَوْرًا)^(١)

(١) البيت لأبي القيس بن الأسلت، من الطويل: والملاحى بضم الميم وتخفيف اللام، وقد تشدد، عنب أبيض في حبه طول. ومعنى نور: تفتح نوره، والثريا: مصفرة، قيل: تصغير تعظيم، وقيل: تصغير تقريب إعلالاً بأن نجومها قريب بعضها من بعض، ومكبرها ثروي، وهي الكثرة، وسميت هذه النجوم المجتمعة بالثريا لكثرة نورها، وقيل: لكثرة نجومها مع صغر مرآها، فكأنها كثيرة العدد بالإضافة إلى ضيق المحل.

أي: تفتح نوره.

(من الهيئة) بيان لما في قوله كما.

(الحاصلة من تقارن الصور البيض المستديرة الصغار المقادير في المرأى) وأن كانت كبارا

في الواقع حال كونها.

(على كيفية المخصوصة) أي: لا مجتمعة اجتماع التضام والتلاصق ولا شديدة الافتراق

منضمة.

(إلى المقدار المخصوص) من الطول والعرض فقد نظر إلى عدة اشياء وقصد إلى هيئة

حاصلة منها. والطرفان مفردان لأن المشبه هو الثريا والمشبه به هو العقنود مقيدا بكونه

عقنود الملاحية في حال إخراج النور والتقييد لا ينافي الأفراد كما سيجيء إن شاء الله تعالى.

(وفيا) أي: والمركب الحسى وفي التشبيه الذي.

(طرفاه مركبان كما في قول بشار [الطويل]: كَأَنَّ مُنَارَ النَّقْعِ) من آثار الغبار هيجه.

(فَوْقَ رُؤُسِهِمْ وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ) (١)

وعدد نجومها سبعة أنجم: ستة ظاهرة، وواحد خفي تختبر به الناس أبصارهم، وذكر القاضي عياض رحمه الله تعالى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يراها أحد عشر نجماً.

والشاهد فيه: المركب الحسى في التشبيه الذي طرفاه مفردان، الحاصل من الهيئة الحاصلة من تقارن الصور البيض الصغار المقادير في المرأى وإن كانت كباراً في الواقع على كيفية المخصوصة منضمة إلى المقدار المخصوص، والمراد بالكيفية المخصوصة أنها لا مجتمعة اجتماع التضام والتلاصق، ولا هي شديد الافتراق، بل لها كيفية مخصوصة من التقارب والتباعد على نسبة قريبة مما نجده في رأى العين بين تلك الأنجم والطرفان المفردان هما: الثريا، والعقنود.

وأبو قيس لم يقع لي إلى الآن اسمه، والأسلت: لقب أبيه واسمه عامر بن جشم بن وائل، ينتهي نسبه للأوس، وهو شعر من شعراء الجاهلية، وأسلم ابنه عقبة بن أبي قيس رضي الله عنه واستشهد يوم القادسية، وكان يزيد بن مرداس السلمي أخو عباس بن مرداس السلمي الشاعر قتل قيس بن أبي قيس في بعض حروبهم، فطلب بثأره هارون بن النعمان بن الأسلت حتى تمكن من يزيد ابن مرداس فقتله بقيس ابن عمه، وانظر معاهد التنصيص ١/ ١٣٢.

(١) البيت لبشار بن برد، من قصيدة من الطويل يمدح بها ابن هيرة، وأولها:

جَفَا وَدَه فَازُورَ أَوْ مَلَّ صَاحِبُهُ وَأَزْرَى بِهِ أَنْ لَا يَزَالَ يِعَابُهُ
خَلِيلِي لَا تَسْتَكْثِرْ لَوْعَةَ الْهُوَى .. وَلَا سُلُوءَةَ الْمَحْزُونِ شَطَطَتْ حَبَابُهُ

يقول فيها:

إِذَا كُنْتُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مَعَاتِبًا .. صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقَ الَّذِي لَا تَعَاتِبُهُ
فَعَشَ وَاحِدًا أَوْ صِلَ أَخَاكَ فَإِنَّهُ مُقَارَفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مَرَارًا عَلَى الْقَدَى .. ظَمِئْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبَهُ
رُؤِيدًا تَصَاهِلُ بِالْعِرَاقِ جِيَادُنَا كَأَنَّكَ بِالْفُضْحَاكِ قَدْ قَامَ نَادِبُهُ

ومنها:

وَسَامٍ لِمُرْوَانَ وَمَنْ دُونَهُ الشَّجَا .. وَهُوَ كَلْبُجُ الْبَحْرِ جَاشَتْ غَوَارِبُهُ
أَحْلَتْ بِهِ أُمُّ الْمَنَايَا بَنَاتَهَا بِأَسْيَافِنَا إِنَّا رَدَى مَنَ نَحَارِبِهِ
وَكُنَّا إِذَا دَبَّ الْعَدُوُّ لَسْخَطُنَا وَرَاقِبْنَا فِي ظَاهِرٍ لَا نَر_اقِبُهُ
رَكِبْنَا لَهُ جَهْرًا بِكُلِّ مَثْقَفٍ وَأَبْيَضَ تَسْتَسْقِي الدَّمَاءَ مَضَارِبُهُ
وَجَيْشٍ كَجَنْحِ اللَّيْلِ يَزْحَفُ بِالْحَصَا .. وَبِالشُّوْكِ وَالْخَطْفِ حَرًّا تَعَالِبُهُ

ومنها:

غَدُونَا لَهُ وَالشَّمْسُ فِي خِلْدَرِ أَمْهَا نَطَالِعُهَا وَالطَّلَّ لَمْ يَجِرْ ذَائِبُهُ
يَضْرِبُ يَذُوقُ الْمَوْتَ مِنْ ذَاقِ طَعْمِهِ .. وَتَدْرُكُ مِنْ تَجِيِّ الْفَرَازِ مَثَالِبُهُ

وبعده البيت، وبعده:

بَعَثْنَا لَهُمْ مَوْتَ الْفُجَاءَةِ إِنَّا بَنُو الْمَوْتِ خَفَاقٌ عَلَيْنَا سَبَابُهُ
فَرَاخُوا فَرِيقًا فِي الْأَسَارَى وَمِثْلُهُ .. قَتِيلٌ وَمِثْلٌ لِأَذَى الْبَحْرِ هَارِبُهُ
إِذَا الْمَلِكُ الْجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ مَشِينًا إِلَيْهِ بِالسُّيُوفِ نَعَاتِبُهُ

وهي طويلة، فوصله ابن هبيرة بعشرة آلاف درهم، وكانت أو عطية سنية أعطيها بشار بالشعر ورفعت من ذكره.

والنقع: الغبار، ومعنى تهاوى كواكبه يتساقط بعضها في إثر بعض والأصل تهاوى فحذفت إحدى التاءين.
والشاهد فيه: المركب الحسي في التشبيه الذي طرفاه مركبان الحاصل من الهيئة الحاصلة من هوى أجرام
مشركة مستطيلة متناسبة المقدار متفرقة في جوانب شيء مظلم، فوجه الشبه مركب كما ترى، وكذا طرفاه،
كما في أمرار البلاغة.

يروى أنه قيل لبشار، وقد أنشد هذا البيت: ما قيل أحسن من هذا التشبيه، فمن أين لك هذا، ولم تر الدنيا
قط ولا شيئاً منها؟ فقال: إن عدم النظر يقوي ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر إليه من الأشياء
فيتوفر حسه وتذكرو قريحته، وأنشدهم قوله من الطويل:

عَمِيْتُ جَنِينًا وَالدَّكَاءُ مِنَ الْعَمَى .. فَجِئْتُ عَجِيبَ الظَّنِّ لِلْعَلَمِ مَوْثَلًا

أي: تتساقط بعضها إثر بعض، والأصل: تنهاوى، حذفت إحدى التائين.
(من الهيئة الحاصلة من هوى) بفتح الهاء أي سقوط.

(أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار متفرقة في جوانب شيء مظلم) فوجه الشبه مركب كما ترى وكذا الطرفان لأنه لم يقصد تشبيه الليل بالنقع والكواكب بالسيوف بل عمد إلى تشبيه هيئة السيوف وقد سلت من اغمادهما وهي تعلو وترسب ونجيء وتذهب وتضطرب اضطراباً شديداً وتحرك بسرعة إلى جهات مختلفة وعلى أحوال تنقسم بين الاعوجاج والاستقامة والارتفاع والانخفاض مع التلاقي والتداخل والتصادم والتلاصق. وكذا في جانب المشبه به فإن للكواكب في تنهاويها تواقعا وتداخلا واستطالة لاشكالها.
(و) المركب الحسي.

(فيما طرفاه مختلفان) أحدهما مفرد والآخر مركب.

(كما مر في تشبيه الشقيق) بـ:

أعلامٌ ياقوتٌ نُثِرْنَ على رماح من زَبَرْجَدٍ^(١)

وغاض ضياء العين للعلم رافداً لقلب إذا ما ضيع الناسُ حصلاً

وشعر كثور الروض لاءمت بينة ... بقول إذا ما أحزن الشعر أسهلاً

(١) البيتان من الكامل المجزوء المرفل، ولم أقف على اسم قائلهما، ورأيت بعض هل العصر نسبهما في مصنف له إلى الصنوبري الشاعر.

والشقيق: أراد به شقائق النعمان، وهو النور المعروف، ويطلق على الواحد والجمع، وسمي بذلك لحمرة تشبيهاً بشقيقة البرق، وأضيف إلى النعمان بن المنذر - وهو آخر ملوك الحيرة - لأنه خرج إلى ظهر الحيرة وقد اعتم نبتة ما بين أصفر وأحمر وأخضر، وإذا فيه من هذه الشقائق شيء كثير، فقال: ما أحسنها! أحوها، فكان أول من حماها، فنسبت إليه.

وكان أبو العميش يقول: النعمان اسم من أسماء الدم، ولذلك قيل شقائق النعمان نسبت إلى الدم لحمرتها، قال: وقولهم إنها منسوبة إلى النعمان بن المنذر ليس بشيء. قال: وحدثت الأصمعي بهذا فنقله عني، انتهى. والذي قدمناه هو الذي ذكره أرباب اللغة.

والشاهد فيها: التشبيه الخيالي، وهو المعدوم الذي فرض مجتمعاً من أمور كل واحد منها مما يدرك بالحس، فإن الأعلام الباقوتية المنشورة على الرماح الزبرجدية مما لا يدركه الحس، إنما يدرك ما هو موجود في المادة

من الهيئة الحاصلة من نشر أجرام حمر مبسوطة على رؤس أجرام خضر مستطيلة فالمشبه مفرد وهو الشقيق والمشبه به مركب، وهو ظاهر وعكسه تشبيه نهار مشمس قد شابه أي خالطه زهر الربا بليل مقرر على ما سيجيء.

(ومن يديع المركب الحسى ما) أي: وجه الشبه الذي.

(يحيى الهياث التي تقع عليها الحركة) أي: يكون وجه الشبه الهيئة التي تقع عليها الحركة من الاستدارة والاستقامة وغيرهما ويعتبر فيها تركيب (ويكون) ما يحيى في تلك الهياث.

(على وجهين: أحدهما: أن يقترن بالحركة غيرها من أوصاف الجسم كالشكل واللون) والأوضح عبارة أسرار بلاغة اعلم أن ما يزداد به التشبيه دقة وسحراً أن يحيى بالهياث التي تقع عليها الحركات والهيئة المقصودة في التشبيه على وجهين أحدهما أن تقرن غيرها من الأوصاف والثاني أن تجرد هيئة الحركة حتى لا يزداد عليها غيرها فالأول.

(كما في قوله [الرجز]: وَالشَّمْسُ كَالْمِرْآةِ فِي كَفِّ الْأَشْلِ "من الهيئة) بيان لما في قوله كما.

=

حاضر عنه المدرك على هيات محسوسة مخصوصة، لكن مادته التي تركب منها كالأعلام والياقوت والرماح والزبرجد كل منها محسوس بالبصر.

(١) كَانَ شَعَاعُ الشَّمْسِ فِي كُلِّ عُدْوَةٍ .. عَلَى وَرَقِ الْأَشْجَارِ أَوَّلَ طَالِعِ

دَنَانِيرٍ فِي كَفِّ الْأَشْلِ يَضُمُّهَا .. لِقَبْضِ فَتْهُوَى مِنْ فُرُوجِ الْأَصَابِعِ

وهو مأخوذ من قول أبي الطيب المتنبي من الوافر:

وَأَلْقَى الشَّرْقُ مِنْهَا فِي ثِيَابِي .. دَنَانِيرًا تَغَيَّرُ مِنَ الْبَنَانِ

وأخذه أيضاً القاضي عبد الرحيم الفاضل فقال من الكامل:

وَالشَّمْسُ مِنْ بَيْنِ الْأَرَائِكِ قَدْ حَكَّتْ .. سَيْفًا صَقِيلًا فِي يَدِ رَعْشَاءِ

وما أبدع قول الشهاب التلعفري من البسيط:

أَفَيْدِي الَّذِي زَارَنِي فِي اللَّيْلِ مُسْتَتَرًا .. أَحْلَى مِنَ الْأَمْنِ عِنْدَ الْخَائِفِ الدَّهْشِ

وَلَا حَيْثُ الشَّمْسُ تَحْكِي عِنْدَ مَطْلَعِهَا مَرَاةً تَرِيدُ بَدَتْ فِي كَفِّ مَرْتَعِشِ

وقول النامي من الطويل:

سَاءَ غُصُونِي تَحْبُبُ الشَّمْسَ أَنْ تُرَى .. عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا مِثْلَ نَثْرِ الدَّرَاهِمِ

(الحاصلة من الاستدارة مع الإشراق والحركة السريعة المتصلة مع نموج الإشراق حتى يرى الشعاع كأنه يهيم بأن ينبسط حتى يفيض من جوانب الدائرة ثم يبدو له) يقال بدا له إذا ندم والمعنى ظهر له رأى غير الأول.

(فيرجع) من الانبساط الذي بداه.

(إلى الانقباض) كأنه يرجع من الجوانب إلى الوسط؛ فإن الشمس إذا أحد الإنسان النظر إليها ليتبين جرمها وجدها مؤدية لهذه الهيئة الموصوفة وكذلك المرأة في كف الأشل.
(و) الوجه.

(الثاني أن تجرد) الحركة.

(عن غيرها) من الأوصاف.

(فهناك أيضاً) يعني: كما أنه لا بد في الأول من أن يقترن بالحركة غيرها من الأوصاف فكذا في الثاني.

(لا بد من اختلاط حركات) كثيرة للجسم.

البيت لابن المعتز، من قصيدة من المديد، وأوها:

عَرَفَ الدارَ فحَيًّا وناحًا .. بعدما كان صَحًا واستَرَاخًا
ظَلَّ يَلْحَاهُ العَدُوُّ وَيَأْبَى فِي عَنَانِ العَدْلِ إِلَّا جَمَاحًا
عَلِّمُونِي كَيْفَ أَسْأَلُوْا وَإِلَّا فَخَذُّوا مِنْ مُقَلَّتِي المَلَاخَا
مَنْ رَأَى بَرْقًا يُضِيءُ التَّحَا نَقَبَ اللَّيْلَ سَنَاءً فَلَاخَا

وبعده البيت، وبعده:

لَمْ يَزَلْ يَلْمَعُ بِاللَّيْلِ حَتَّى .. بَخَلَتْهُ نَبْهٌ فِيهِ صَبَاخَا
وَكَانَ الرُّعْدُ فَحْلٌ لِقَاح .. كُلَّمَا يُعْجِبُهُ البرقُ صَاخَا

والبرق: واحد يروق السحاب، أو هو ضرب ملك السحاب وتحريكه إياه لينساق فترى النيران.
والشاهد فيه: الوجه الثاني، وهو تجريد الحركة عن غيرها من الأوصاف مع اختلاط حركات كثيرة للجسم إلى جهات مختلفة له، كأن يتحرك بعضه إلى اليمين وبعضه إلى الشمال وبعضه إلى العلو وبعضه إلى السفلى؛ ليتحقق التركيب وإلا لكان وجه الشبه مفرداً وهو الحركة لا مركباً، فحركة المصحف الشريف في انطباقه وانفتاحه فيها تركيب لأن المصحف يتحرك في الحالتين إلى جهتين في كل حالة إلى جهة.

(إلى جهات مختلفة) له كأن يتحرك بعضه إلى اليمين وبعضه إلى الشمال وبعضه إلى العلو وبعضه إلى السفلى ليتحقق التركيب وإلا لكان وجه الشبه مفردا وهو الحركة.
(فحركة الرحي والدولاب والسهم لا تركيب فيها) لاتحادها.
(بخلاف حركة المصحف في قوله وكأن البرق مصحف قار) بحذف الهمزة أي قارئ.
(فانطباق مرة وانفتاحا) أي: فينطبق انطباقا مرة وينفتح انفتاحا أخرى فإن فيها تركيبا لأن المصحف يتحرك في حالتي الانطباق والانفتاح إلى جهتين في كل حالة إلى جهة واحدة.
(وقد يقع التركيب في هيئة السكون كما في قوله في صفة كلب يقمي) أي: يجلس على اليته.

(جلوس البدوي المصطلي) من اصطلى بالنار.

(من الهيئة الحاصلة من موقع كل عضو منه) أي: من الكلب.

(في إقعائه) فإنه يكون لكل عضو منه في الإقعاء موقع خاص وللمجموع صورة خاصة مؤلفة من تلك المواقع، وكذلك صورة جلوس البدوي عند الاصطلاء بالنار الموقدة على الأرض.

(و) المركب (العقلي) من وجه الشبه.

(محرمات الانتفاء بأبلغ نافع مع تحمل التعمب في استصحابه في قوله تعالى ﴿مَثَلُ الَّذِينَ
مَحَلُّوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥]) جمع سفر بكسر السين
وهو الكتاب فإنه أمر عقلي متزع من عدة أمور؛ لأنه روعى من الحمار فعل مخصوص هو
الحمل وأن يكون المحمول أوعية العلوم وأن الحمار جاهل بما فيها وكذا في جانب المشبه.
(واعلم أنه قد ينتزع) وجه الشبه.

(من متعدد فيقع الخطأ لوجوب انتزاعه من أكثر) من ذلك المتعدد.

(كما إذا انتزع) وجه الشبه.

(من الشطر الأول من قوله:

كما أَبْرَقْتُ قَوْماً عِطَاشاً

في الأساس: أبرقت لي فلانة إذا تحسنت لك وتعرضت، فالكلام ههنا على حذف الجار، وإيصال الفعل أي: أبرقت لقوم عطاش جمع عطشان.

(غَمَامَةٌ فَلَمَّا رَأَوْهَا أَقْشَعَتْ وَتَجَلَّتْ)^(١)

أي: تفرقت وانكشفت فانتزع وجه الشبه من مجرد قوله كما أبرقت قوما عطاشا غمامة خطأ.

(لوجوب انتزاعه من الجميع) أعني جميع البيت.

(فإن المراد التشبيه) أي: تسييه الحالة المذكورة في الأبيات السابقة بحالة ظهور غمامة للقوم العطاش ثم تفرقها وانكشافها ويقائهم متحيرين.

(باتصال) أي: باعتبار اتصال فالباء ههنا مثلها في قولهم التشبيه بالوجه العقلي الاعم إذ الأمر المشترك فيه ههنا هو اتصال.

(ابتداء مطمع بانتهاء مؤنس) وهذا بخلاف التشبيهات المجتمعة كما في قولنا: زيد كالأسد والسيف والبحر، فإن القصد فيها إلى التشبيه لكل واحد من الأمور على حدة حتى لو حذف ذكر البعض لم يتغير حال الباقي في إفادة معناه بخلاف المركب فإن المقصود منه يختل باسقاط بعض الأمور.

(١) البيت من الطويل، ولا أعرف قائله.

والمعنى: أبرقت الغمامة للقوم، فحذف الجار وأوصل الفعل، ومعنى أقشعت وتجلت: تفرقت وانكشفت. والشاهد فيه: المركب العقلي من وجه الشبه، وأنه قد يتنزع من متعدد فيقع الخطأ لوجوب انتزاعه من أكثر، كما إذا انتزع وجه الشبه من الشطر الأول من البيت، فإنه يكون خطأ لوجوب انتزاعه من جميعه، فإن المراد تشبيه الحالة المذكورة في الأبيات السابقة على هذا البيت بظهور الغمامة لقوم عطاش ثم تفرقها وانكشافها بواسطة اتصال مطمع بانتهاء مؤنس، لأن البيت مثل في أن يظهر للمضطر إلى الشيء الشديد الحاجة إليه أمانة وجوده ثم يفوته ويبقى تحمره وزيادة ترجمه.

وفي معناه قول مسلم بن الوليد من الطويل:

وشمْتُكَ إِذْ أَقْبَلْتَ فِي عَارِضِ الْغَنَى .. فَأَقْلَعْتَ لَمْ تَنْبِضْ بِرِيٍّ وَلَا تَحُلْ

وانظر معاهد التنصيص ١ / ١٧.

(والتعدد الحسي كاللون والطعم والرائحة في تشبيه فاكهة بأخرى و) المتعدد.

(العقلي كحدة النظر وكمال الحذر وإخفاء السفاد) أي: نزو الذكر على الأنثى.

(في تشبيه طائر بالفراب و) المتعدد.

(المختلف) الذي بعضى حسي وبعضه عقلي.

(كحسن الطلعة) الذي هو حسي.

(ونباهة الشأن) أي: شرفه واشتهاره الذي هو عقلي.

(في تشبيه إنسان بالشمس) ففي المتعدد يقصد اشتراك الطرفين في كل من الأمور

المذكورة ولا يعتمد إلى انتزاع هيئة منها تشترك هي فيها.

(واعلم أنه قد يتزعزع الشبه) أي: التماثل يقال بينهما شبه بالتحريك أي تشابه، والمراد به

ههنا ما به التشابه أعني وجه التشبيه.

(من نفس التضاد لاشتراك الضدين فيه) أي: في التضاد لكون كل منهما متضادا للآخر.

(ثم ينزل) التضاد.

(منزلة تناسب بواسطة تمليح) أي: إتيان بما فيه ملاحظة وظرافة. يقال ملح الشاعر إذا

أتى بشيء مليح. وقال الإمام المرزوقي في قول الحماسي:

أتاني من أبي أنس وعيد فسل لغيفة الضحاك جسمي

أن قائل هذه الأبيات قد قصد بها الهزؤ والتمليح. وأما الإشارة إلى قصة أو مثل أو شعر

فإنما هو التلميح بتقديم اللام على الميم وسيجيء ذكره في الخاتمة. والتسوية بينهما إنما وقعت

من جهة العلامة الشيرازي رحمه الله تعالى وهو سهو.

(أو تهكم) أي: سخرية واستهزاء.

(فيقال للجبان: ما أشبهه بالأسد، وللبخيل: أنه هو حاتم) كل من المثالين صالح

للتلميح والتهكم، وإنما يفرق بينهما بحسب المقام فإن كانا لقصدا إلى ملاحظة وظرافة دون

استهزاء وسخرية بأحد فتلميح، وإلا فتهكم.

وقد سبق إلى بعض الأوهام نظرا إلى ظاهر اللفظ أن وجه الشبه في قولنا للجبان: هو أسد، وللبخيل: هو حاتم، هو التضاد المشترك بين الطرفين باعتبار الوصفين المتضادين. وفيه نظر؛ لأننا إذا قلنا الجبان كالأسد في التضاد أي في كون كل منهما متضادا للآخر لا يكون هذا من التمليح والتهكم في شيء كما إذا قلنا السواد كالبياض في اللونية أو في التقابل ومعلوم أنا إذا أردنا التصريح بوجه الشبه في قولنا للجبان هو أسد تمليحاً أو تهكماً لم يتأت لنا إلا أن نقول في الشجاعة.

لكن الحاصل في الجبان إنما هو ضد الشجاعة فنزلنا تضادهما منزلة التناسب وجعلنا الجبين بمنزلة الشجاعة على سبيل التمليح والهزؤ.

(وأداته) أي: أداة التشبيه.

(الكاف وكان). وقد تستعمل عند الظن بثبوت الخبر من غير قصد إلى التشبيه سواء كان الخبر جامداً أو مشتقاً نحو: كان زيدا أخوك وكأنه قدم وكانك قلت وكأنني قلت. (ومثل، وما في معناه) مما يشتق من المماثلة والمشابهة وما يؤدي هذا المعنى. (والأصل في نحو الكاف) أي: في الكاف ونحوها كلفظ نحو ومثل وشبه بخلاف كأن وتمثال وتشابه.

(أن يليه المشبه به) لفظاً نحو زيد كالأسد أو تقديراً نحو قوله تعالى "أو كصيب من السماء" على تقدير أو كمثل ذوى صيب.

(وقد يليه) أي: نحو الكاف.

(غيره) أي: غير مشبه به.

(نحو: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ﴾ [الكهف: ٤٥]) الآية إذ ليس

المراد تشبيه حال الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتحمل تقديره بل المراد تشبيه حالها في نصارتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات الحاصل من الماء يكون أخضر ناضراً شديد الخضرة ثم يبیس فتطيره الرياح كأن لم يكن ولا حاجة إلى تقدير كمثال ماء لأن المعتبر

٣١٠ مختصر المعاني للتفتازاني

هو الكيفية الحاصلة من مضمون الكلام المذكور بعد الكاف واعتبارها مستغن عن هذا التقدير.

ومن زعم أن التقدير كمثل ماء وأن هذا مما يلي الكاف غير المشبه به بناء على أنه محذوف فقدسها سهوا بينا لأن المشبه به الذي يلي الكاف قد يكون ملفوظا به وقد يكون محذوفا على ما صرح به في الإيضاح.

(وقد يذكر فعلى ينبئ عنه) أي: عن التشبيه.

(كما في: علمت زيدا أسدا أن قرب) التشبيه وادعى كمال المشابهة لما في علمت من معنى التحقيق.

(وحسبت) زيدا أسدا.

(أن بعد) التشبيه لما في الحسابان من الأشعار بعدم التحقيق واليقن وفي كون مثل هذه الأفعال منبثا عن التشبيه نوع خفاء والأظهر أن الفعل ينبئ عن حال التشبيه في القرب والبعد.

(والغرض منه) أي: من التشبيه.

(في الأغلب يعود إلى المشبه وهو) أي: الغرض العائد إلى المشبه.

(بيان إمكانه) أي: المشبه. وذلك إذا كان أمرا غريبا يمكن أن يخالف فيه ويدعي امتناعه.

(كما في قوله: [الوافر]

فَإِنْ تَقَفِّي الْأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ^(١)

(١) البيت لأبي الطيب المتنبي، من قصيدة من الوافر، يرثي بها والدة سيف الدولة بن حمدان، أولها:

نُعِذُّ الْمَشْرِقِيَّةَ وَالْعَوَالِي وَتَقْتُلُنَا الْمُتُونُ بِلَا قِتَالٍ

وَنَرْبِطُ السَّوَابِقَ مُقَرَّبَاتٍ .. وَمَا يُنْجِيَنَّ مِنْ خَبَابِ اللَّيَالِي

وهي طويلة، وقبل البيت قوله يخاطب سيف الدولة:

رَأَيْتُكَ فِي الذِّينِ أَرَى مُلُوكًا .. كَأَنَّكَ مُسْتَقِيمٌ فِي خَمَالٍ

فإنه لما ادعى أن الممدوح قد فاق الناس حتى صار أصلاً برأسه وجنسا بنفسه وكان هذا في الظاهر كالممتنع احتج لهذه الدعوى وبين إمكانها بأن شبه هذه الحال بحال المسك الذي هو من الدماء ثم إنه لا يعد من الدماء لما فيه من الأوصاف الشريفة التي لا توجد في الدم. وهذا التشبيه ضمني ومكنى عنه لا صريح.

(أو حاله) عطف على إمكانه أي بيان حال المشبه بأنه على أي وصف من الأوصاف.

(كما في تشبيه ثوب بآخر في السواد) إذا علم السامع لون المشبه به دون المشبه.

(أو مقدارها) أي: بيان مقدار حال المشبه في القوة والضعف والزيادة والنقصان.

(كما في تشبيهه) أي: تشبيه الثوب الأسود.

(بالغراب في شدته) أي: في شدة السواد.

(أو تقريرها) مرفوع عطفاً على بيان إمكانه أي تقرير حال المشبه في نفس السامع

وتقوية شأنه.

=

حكى أن المتنبي قيل له: إن المحال لا يطابق الاستقامة، ولكن القافية ألجأتك إلى ذلك، فلو فرض أنك قلت: كأنك مستقيم في اعوجاج، كيف كنت تصنع في الثاني؟ فقال ولم يتوقف: فإن البيض بعض دم الدجاج. فاستحسن هذا من بديته.

والشاهد فيه: بيان أن المشبه أمر ممكن الوجود، وذلك في كل أمر غريب يمكن أن يخالف فيه ويدعي امتناعه، فإنه أراد أن يقول: إن الممدوح قد فاق الناس، بحيث لم يبق بينه وبينهم مشابة بوجه، بل صار أصلاً برأسه وجنساً بمفرده، وهذا في الظاهر كالممتنع، لاستبعاد أن تنتهي بعض آحاد النوع في الفضائل الخاصة بذلك النوع إلى أن يصير كأنه ليس منها، فاحتج لهذه الدعوى وبين إمكانها بأن شبه حاله بحال المسك الذي هو من الدماء ثم إنه لا يعد منها لما فيه من الأوصاف الشريفة التي لا توجد في الدم، ويسمى مثل هذا تشبيهاً ضمناً أو مكنياً عنه، لدلالة البيت عليه ضمناً.

وقد أحسن السراج الوراق تضمينه بقول من الوافر:

وَأَصِيدَ ظِلٌّ يَدْرُكُ يَوْمَ صَيْدٍ طَرَائِدُهُ بِجُرْدٍ كَالسَّعَالِي

فَإِنْ عَبَقَتْ لَنَا يَمْنَاهُ مَسْكَاً .. فَإِنَّ الْمَسْكََ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ.

(كما في تشبيهه من لا يحصل من سعيه على طائل بمن يرقم على الماء) فإنك تجد فيه من تقرير عدم الفائدة وتقوية شأنه ما لا تجده في غيره لأن الألف بالحسيات أتم منه بالعقليات لتقدم الحسيات وفرط الف النفس بها.

(وهذه أي: الأغراض).

(الأربعة تقتضي أن يكون وجه الشبه في المشبه به أتم وهو به أشهر) أي: وأن يكون المشبه به بوجه الشبه أشهر وأعرف وظاهر هذه.

العبارة أن كلا من الأربعة يقتضي الأتمية والأشهرية. لكن التحقيق أن بيان الامكان وبيان الحال لا يقتضيان إلا الأشهرية ليصح القياس، ويتم الاحتجاج في الأول ويعلم الحال في الثاني وكذا بيان المقدار لا يقتضي الأتمية بل يقتضي أن يكون المشبه به على حد مقدار المشبه لا أزيد ولا أنقص ليتعين مقدار المشبه على ما هو عليه.

وأما تقرير الحال فيقتضي الأمرين جميعا لأن النفس إلى الأتم والأشهر أميل فالتشبيه به بزيادة التقرير والتقوية أجدر.

(أو تزينه) مرفوع عطفًا على بيان إمكانه أي تزين المشبه في عين السامع.

(كما في تشبيه وجه أسود بمقلة الظلي أو تشويهه) أي: تقيحه.

(كما في تشبيه وجه مجذور بسلحة جامدة قد نقرتها الديكة) جمع ديك.

(أو استطرفه) أي: عد المشبه طريقًا حديثًا بديعًا.

(كما في تشبيه فحم فيه جمر موقد ببحر من المسك موجه الذهب لإبرازه) أي: إنما

استطرف المشبه في هذا التشبيه لإبراز المشبه.

(في صورة الممتع) الوقوع.

(عادة) وأن كان ممكنا عقلا ولا يخفى أن الممتع عادة مستطرف غريب.

(وللاستطراف وجه آخر) غير الإبراز في صورة الممتع عادة.

(وهو أن يكون المشبه نادر الحضور في الذهن إما مطلقاً كما مر) في تشبيه فحم فيه جهر موقد.

(وأما عند حضور المشبه كما في قوله [البسيط]: وَلَا زَوْدِيَّةَ) يعني البنفسج.
(نزهُو) قال الجوهري في الصحاح: زهى الرجل فهو مزهو إذا تكبر. وفيه لغة أخرى حكاه ابن دريد: زها يزهو زهوا.

(بِزْرِقَتَيْهَا بين الرياض على مُحَرِّ البواقيت)

يعني: الأزهار والشقائق الحمر.

(كأنها فوق قامات ضعفن بها أوائل النار في أطراف كبريت)^(١)

فإن صورة اتصال النار بأطراف الكبريت لا يندر حضورها في الذهن ندرة حضور بحر من المسك موجه الذهب لكن يندر حضورها عند حضور صورة البنفسج فيستطرف بمشاهدة عناق بين صورتين متباعدتين غاية البعد.
(وقد يعود) أي: الغرض من التشبيه.

(أي: المشبه به وهو ضربان: أحدهما إيهام أنه أتم من المشبه) في وجه الشبه.
(وذلك في التشبيه المقلوب) الذي يجعل فيه الناقص مشبهاً به قصداً إلى ادعاء أنه أكمل.

(١) البيتان لابن الرومي يصف البنفسج، وقبلهما:

بنفسجٍ جُمِعَتْ أَوْرَاقُهُ فَحَكَى .. كُحْلًا تَشْرَبُ دَمْعاً يَوْمَ تَشْتَبِ

وهي من قصيدة من البسيط: والشاهد فيها: كون المشبه به نادر الحضور في الذهن عند حضور المشبه فإن صورة اتصال النار بأطراف الكبريت يندر حضورها في الذهن عند حضور صورة البنفسج، فيستطرف لمشاهدة عناق بين صورتين متباعدتين غاية التباعد فإنه أراك شبيهاً لنبات غرض يرف، وأوراق رطبة من لب نار، استولى عليه اليبس، ومبنى الطبائع على أن الشيء إذا ظهر من موضع لم يعهد ظهوره منه كان ميل النفوس إليه أكثر، وهي بالشغف به أجدر.

وهذان البيتان من نادر التشبيه وغريبه، وليس يعد لهما إلا قول النميري من البسيط:

بَنَفْسَجٍ بِذِكِّي الْمَسْكُ مَخْصُوصٌ .. مَا فِي زَمَانِكَ إِنْ وَاثَاكَ تَنْغِيصُ
كَأَنَّهَا شَعَلُ الْكَبْرِيتِ مَنْظَرُهُ ... أَوْ خُذْ أَعْيَدَ بِالتَّخْمِيشِ مَقْرُوصُ

(كقوله: [مجزوء الكامل]

وبدا الصبح كأنَّ غُرَّتَه

هي بياض في جبهة الفرس فوق الدرهم استعيرت لبياض الصبح.

(وجه الخليفة حين يُمتدِّح)^(١)

فإنه قصد إيهام أن وجه الخليفة أتم من الصباح في الوضوح والضياء، وفي قوله: حين يمتدح دلالة على اتصاف المدوح بمعرفة حق المادح وتعظيم شأنه عند الحاضرين بالإصغاء إليه والارتياح له وعلى كماله في الكرم حيث يتصف بالبشر والطلاقة عند استماع المديح.

(و) الضرب.

(الثاني) من الغرض العائد إلى المشبه به.

(بيان الاهتمام به) أي: بالمشبه به.

(١) البيت لمحمد بن وهيب الحميري، من قصيدة من الكامل، يمدح بها المأمون، أولها:

المعذر إن أنصفت متضخ .. وشهردُ جبك أدْمُغْ سَفْعُ
وإذا تكلمتِ العيونُ على إعجابها فالسرُّ مفتضخُ
فضحت ضميرك عن ودائع .. إن الجفون نواطقُ فُضُخُ
رُبما أبيتُ مُعانقي قمر للحسن فيه غايِلُ تَفُخُ
نشر الجمال على تحاسن يدعَا وأذهب همه الفرخُ
يُخْناَلُ في حُللِ الشبابِ، به مَرَحٌ ودَاؤُك أنه مَرُخُ
مازَالَ يُلْثمني مَرَّاشفُ ويعلني الإبريقُ والقُدْحُ
حتى استردَّ الليلُ خِلعتَهُ ونشأ خِلال سَوادِهِ وَصَحُ

وبعد البيت، ثم إنه يقول فيها:

نشرت بك الدنيا محاسنها ... وتزينت بصفاتك المَدْحُ
وكان ما قد غاب عنك له .. بإزاء طرفك عارضاً شَبْحُ
وإذا سلّمت فكلُّ حادثة جَلَلٌ، فلا بُؤْس ولا تَرْحُ

والشاهد في البيت: إيهام أن المشبه به أتم من المشبه، ويسمى التشبيه المقلوب، فإنه قصد إيهام أن وجه الخليفة أتم من الصباح في الوضوح والضياء، وفي قوله حين يمتدح دلالة على اتصاف المدوح بمعرفة حق المادح وتعظيم شأنه عند الحاضرين بالإصغاء إليه والارتياح له، وعلى كونه كاملاً في الكرم، يتصف بالبشر والطلاقة عند استماع المديح.

(كتشبيه الجائع وجها كالبدر في الاشراق والاستدارة بالرغيف ويسمى هذا) أي:
التشبيه المشتمل على هذا النوع من الغرض.
(إظهار المطلوب، هذا) الذي ذكرناه من جعل أحد الشئين مشبها والآخر مشبها به إنما
يكون.

(إذا أريد إلحاق الناقص) في وجه الشبه.

(حقيقة) كما في الغرض العائد إلى المشبه.

(أو ادعاء) كما في الغرض العائد إلى المشبه به.

(بالزائد) في وجه الشبه.

(فإن أريد الجمع بين شيئين في امر) من الأمور من غير قصد إلى كون أحدهما ناقصا
والآخر زائدا سواء وجدت الزيادة والنقصان أم لم توجد.

(فالأحسن ترك التشبيه) ذاهبا.

(إلى الحكم بالتشابه) ليكون كل واحد من الشيئين مشبها ومشبها به.

(احترازا عن ترجيح أحد المتساويين) في وجه الشبه.

(كقوله:

تَشَابَهَ دَفْعِي إِذْ جَرَى وَمُدَامَتِي فَمِنْ مِثْلِ مَا فِي الْكَأْسِ عَيْنِي تَسْكُبُ

فوالله ما أذري أباخمر أسبَلْتُ جُفُونِي.....)

يقال: أسبل الدمع والمطر إذا هطل، وأسبلت السماء فالباء في قوله "أباخمر" للتعدي.
وليست بزيادة على ما توهم بعضهم.

(أَمْ مِنْ عَبْرَتِي كُنْتُ أَشْرَبُ)^(١)

(١) البيتان لأبي إسحاق الصابي، من الطويل، ورأيت في اليتيمة البيت الأول بلفظ تورد بدل تشابه.
والشاهد فيها: ترك التشبيه والعدول إلى الحكم بالتشابه، ليكون كل واحد من الشيئين مشبهاً ومشبهاً به،
احترازاً من ترجيح أحد المتساويين في وجه الشبه، فإن الشاعر لما اعتقد التساوي بين الخمر والدمع ولم
يعتقد أن أحدهما زائد في الحمرة والآخر ناقص يلحق به حكم بينهما بالتشابه وترك التشبيه.

لما اعتقد التساوي بين الدمع والخمر ترك التشبيه إلى التشابه.

(ويجوز) عند إرادة الجمع بين شيئين في أمر.

(التشبيه أيضا) لأنها وإن تساوى في وجه الشبه بحسب قصد المتكلم إلا أنه يجوز له أن.

يعجل أحدهما مشبها والآخر مشبها به لغرض من الأغراض، وسبب من الأسباب مثل زيادة الاهتمام وكون الكلام فيه.

(كتشبيه غرة الفرس بالصبح وعكسه) أي: تشبيه الصبح بغرة الفرس.

(متى أريد ظهور منير في مظلم أكثر منه) أي: من ذلك المنير من غير قصد إلى المبالغة في

وصف غرة الفرس بالضياء والانبساط وفرط التلاءؤ ونحو ذلك إذ لو قصد ذلك لوجب جعل الغرة مشبها والصبح مشبها به.

(وهو) أي: التشبيه.

(باعتبار الطرفين) المشبه والمشبه به أربعة أقسام لأنه.

(إما تشبيه مفرد بمفرد وهما) أي: المفردان.

(غير مقيدين كتشبيه الخد بالورد أو مقيدان كقولهم) لمن لا يحصل من سعيه على طائل.

(هو كالراقم على الماء) فالمشبه هو الساعي المقيد بأن لا يحصل من سعيه على شيء

والمشبه به وهو الراقم المقيد بكون رقبته على الماء لأن وجه الشبه هو التسوية بين الفعل وعدمه وهو موقوف على اعتبار هذين القيدين.

=

وفي معناه قول الصاحب بن عباد من الكامل:

رَقَّ الزَّجَاجُ وَرَاقَتْ الخَمْرُ .. وَتَشَابَهَا فَتَشَاكَلْ الأَمْرُ

والصابي هو إبراهيم بن هلال بن هارون الحراني. قال في حقه أبو منصور الثعالبي: هو أوحدهم العراق في البلاغة، ومن به تنشئ الخناصر في الكتابة، وتتفق الشهادات له ببلوغ الغاية من البراعة في الصناعة. وكان قد بلغ التسعين في خدمة الخلفاء، وخلافة الوزراء، وتقلد الأعمال الجلالات، مع ديوان الرسائل، وحلب الدهر أسطره، وذاق حلوه ومره، ولابس خيره ومارس شره، ورثس ورأس، وخدم وخدم، ومدحه شعراء العراق في جملة الرؤساء، وشاع ذكره في الآفاق، ودون له من الكلام البهي النقي العلوي ما تناثرت درره وتكاثرت غرره.

(أو مختلفان) أي: أحدهما مقيد والآخر غير مقيد.
 (كقوله: وَالشَّمْسُ كَالْمِرَآةِ فِي كَفِّ الْأَثَلِ) فالمشبه به أعني المرآة مقيدة بكونه في كف
 الأثل بخلاف المشبه أعني الشمس.
 (وعكسه) أي: تشبيه المرآة في كف الأثل بالشمس فالمشبه مقيد دون المشبه به.
 (وأما تشبيه مركب بمركب) بأن يكون كل من الطرفين كيفية حاصلة من مجموع اشياء
 قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا.
 (كما في بيت بشار).

كَانَ مُنَازَ النَّعْمِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافُنَا.....

على ما سبق تقريره.
 (وأما تشبيه مفرد بمركب كما مر من تشبيه الشقيق) وهو مفرد باعلام ياقوت نشرن
 على رماح من زبرجد وهو مركب من عدة امور، والفرق بين المركب والمفرد المقيد اخرج
 شيء إلى التأمل فكثيرا مما يقع الالتباس.
 (وأما تشبيه مركب بمفرد كقوله: يا صاحبي تقصيا نظريكما) في الأساس تقصيته أي
 بلغت اقصاء أي اجتهدا في النظر وابلغا أقصى نظريكما.
 (تريا وجود الأرض كيف تصور) أي: تتصور حذف التاء، يقال صوره الله صورة
 حسنة فتصور.

(تريا نهارا مشمساً) أي: ذا شمس لم يستره غيم.
 (قد شابه) أي: خالطه.
 (زهر الربا) خصها لأنها انضر وأشد خضرة ولأنها المقصود بالنظر.
 (فكانها هو) أي: ذلك النهار المشمس الموصوف.

(مقمر)^(١) أي: ليل ذو قمر لأن الأزهار باخضارها قد نقصت من ضوء الشمس حتى صارت تضرب إلى السواد فالمشبه مركب والمشبه به مفرد وهو المقمر.
(وأيضاً) تقسيم آخر للتشبيه باعتبار الطرفين وهو أنه.
(إن تعدد طرفاه فيما ملفوف) وهو أن يؤتى أولاً بالمشبهات على طريق العطف أو غيره ثم بالمشبه به كذلك.

(١) البيتان لأبي تمام الطائي، من قصيدة من الكامل يمدح بها المعتصم.
يا صَاحِبِي تَقْصِيًا نَظْرِيكُما .. تَرِيَا وَجُوهَ الْأَرْضِي كَيْفَ تُصَوِّرُ
تَرِيَا تَهَاراً مُشْمِساً قَدْ شَابَهُ زَهْرُ الرُّبَا فَكَأَنَّمَا هُوَ مُقْمَرُ
أولها:

رَقَّتْ حَوَاشِي الدَّهْرِ فَهِيَ تَمَرَّمُ .. وَغدا الثَّرَى فِي حَلِيهِ يَتَكَسَّرُ
بَذَلْتُ مَقْدَمَةَ المَصِيفِ حَمِيدَةً وَيد الشتاء جديده لا تكفر
لولا الذي غرس الشتاء بكفِّه ... قاسي المَصِيفِ هَشَاتِمًا لَا تُثْمَرُ
كم ليلة آسى البلاد بنفسه فيها رِيحٌ ومِمْسُومٌ وبله متفجر
مطرٌ يذوب الصخرُ منه وبعده .. صَخَوٌ يكاد من الغضارة يقطر
عَيْثَانِ فالأنواء غيثٌ ظاهرٌ ... لَكَ وَجْهٌ وَالصَّحْوُ غَيْثٌ مَضْمَرُ
وَتَدَى إِذَا أَذْهَنْتَ بِهِ لَمُ الثَّرَى .. خَلَّتْ السَّحَابُ أَتَاهُ لَهُ وَهُوَ مَعْدَرُ
أربعينا في تسع عشرة حجة حَقًّا لَوَجْهِكَ لَلرَّيْبِ الْأَزْهَرُ
ما كانت الأيام تسلب بهجة لو أن حسن الروض كان يُعَمَّرُ
أولا ترى الأشياء إن هي غيرت . سُمُجَّتْ وَحَسَنُ الْأَرْضِ حِينَ تَغْيَرُ
وبعده البيتان، وبعدهما:

دنيا تَعَاشُ لِلوَرَى حَتَّى إِذَا حَلَّ الرِّبْعُ فَإِنَّمَا هِيَ مَنْظَرُ
أَضْحَتْ تُصَوِّرُ بَطُونَهَا لظُهُورِهَا .. نَوْرًا تَكَادُ لَهُ الْقُلُوبُ تُنَوِّرُ
من كل زاهرة تَرَقُّقٌ بِالنَّدَى فَكَأَنَّمَا عَيْنٌ لَدَيْكَ تَحْدُرُ

وهي طويلة.

ومعنى تقصيا نظريكما: ابلغا أقصى نظريكما وغاية ما تبلغانه، واجتهدا في النظر، وتصور أصلها تتصور
فحذف إحدى التاءين.

والشاهد فيهما: تشبيه المركب بالمفرد، فإنه شبه الشمس الذي اختلط به أزهار الربوات فنقصت باخضارها
من ضوء الشمس حتى صار يضرب إلى السواد، بالليل المقمر، فالمشبه مركب، والمشبه به مفرد، قيل: ولا
يجلو هذا من تسامح.

(كقوله) في صفة العقاب بكثرة اصطياذ الطيور.

(كان قلوب الطير رطبا) بعضها.

(ويابسها) بعضها.

(لدي وكرها العناب والحشف) وهو أردأ التمر.

(البالي)^(١) شبه الرطب الطري من قلوب الطير بالعناب واليابس العتيق منها بالحشف

البالي؛ إذ ليس لاجتماعها هيئة مخصوصة يعتد بها ويقصد تشبيهها إلا أنه ذكر أولا المشبهين ثم المشبه بهما على الترتيب.

(أو مفروق) وهو أن يؤتى بمشبه ومشبه به ثم آخر وآخر.

(كقوله: النشر) أي: الطيب والرائحة.

(مسك والوجوه دنابر وأطراف الأكف). وروى أطراف البنان.

(عنم)^(٢) هو شجر أحمر لين.

(١) البيت من الطويل، وقائله امرؤ القيس من قصيدته السابقة في أول هذا الفن، وقبله:

كأن يفتخأ الجناحين لقوة على عجلٍ منها أطا طي شيمالي
تخطفُ خزان الأنثيم بالضحي .. وقد حجرت منها ثعالب أورال

ويعده البيت، ويعده:

فلو أن ما أسعى لأدنى مَعيشَةٍ كفاني ولم أطلب قليل من المال
ولكنما أسعى لمجدٍ مؤثِّل وقد يُدرك المجد المؤثِّل أمثالي
وما المرء ما دامت حُشاشة نفسه .. بمُدرك أطراف الخطوب ولا آلي

والحشف: أردأ التمر، والضعيف الذي لا نوى له، أو اليابس الفاسد.

والشاهد فيه: التشبيه الملفوف، وهو: أن يؤتى على طريق العطف أو غيره بالمشبهات أولاً ثم بالمشبه بها، فهنا شبه الرطب الطري من قلوب الطير بالعناب واليابس العتيق منها بالحشف البالي، إذ ليس لاجتماعها هيئة مخصوصة يعتد بها ويقصد تشبيهها، ولذا قال الشيخ عبد القاهر: إنه لما يتضمن الفضيلة من حيث اختصار اللفظ وحسن الترتيب فيه، لا أن للجمع فائدة في عين التشبيه.

(٢) البيت لمرقس الأكبر، من قصيدة من السريع، قالها في مرثية عم له، أولها:

هل بالديار أن تحيِّب صَمَم لو أن حيًّا ناطقاً كلَّم
الدارُ وخشَّ والرُّسوم كما ... رَقَّشَ في ظَهَر الأديم قَلَم

(وإن تعدد طرفه الأول) يعني: المشبه دون الثاني يعني المشبه به.
(فتشبيه التسوية كقوله:

صدغ الحبيب وحالي كلاهما كالليالي^(١)

وإن تعدد طرفه الثاني) يعني: المشبه به دون الأول.

(فتشبيه الجمع كقوله: [السريع])

باتَ ندياً لي حتّى الصّباح أغيّدُ مجدولَ مكانِ الوشاح
(كأنما ييسم) ذلك الأغيد أي الناعم البدن.
(عن لؤلؤ منضد) منظم.

ديارُ أسماء التي سَلَبْتُ قلبي فَعَيَنِي ماؤُها يَنْسَجُمُ
أضَحَّتْ خِلاَةً نَبْتُها تُبَدِّدُ نُورَ فيها زهره فَأَعْتَمُ
بل هلْ شَجَّتْكَ الظُّننُ باكرةً ... كأنها النَّحْلُ من مَلْهَمِ

ويعده البيت، ومنها:

لسنا كأقوامَ خَلاتِهمُ نَتُّ الحديثِ وئبْكةَ المحرّمِ
إن يُخَصِّبُوا يَتَغَوَّا بخصبهم .. أو يُجَدِّبُوا فهم به ألأم

وهي قصيدة طويلة ليست بصحيحة الوزن، ولا حسنة الروي، ولا متغيرة اللفظ، ولا لطيفة المعنى، قال ابن قتيبة: ولا أعلم فيها شيئاً يستحسن إلا قوله النشر مسك .. البيت.
ويستجاد منها أيضاً قوله:

ليس على طولِ الحياةِ نَدَمٌ .. ومن وراء المرء ما يَعْلَمُ

النشر: الريح الطيبة، أو أعم، أو ريح فم المرأة وأعطاها بعد النوم. والعنم: شجر لين الأغصان يشبه بتان الجوّاري. وقيل: هي أطراف الخروب. الشامي عن أبي عبيدة. وقيل: هو شجر له أغصان حمراء، وقيل: هو ثمر العوسج يكون أحمر ثم يسود إذا عقد ونضج.

والشاهد فيه: التشبيه المفروق، وهو: أن يؤتى بمشبه ومشبه به، ثم آخر وآخر، وهو واضح في البيت.
(١) هو من المجتث، ولا أعرف قائله.

والشاهد فيه: تشبيه التسوية، وهو تعدد طرف المشبه، وهو هنا الصدغ والحال، دون المشبه به، وهو الليالي.
ومثله قول أبي محمد المطراني من الوافر:

مُهَفِّفَةٌ لها نصفٌ قصيفٌ .. كخُوطِ البانِ في نصفِ رداحٍ

حكّت لونا ولينا واعتدالا .. ولحظاً قاتلاً مُنَمَّرَ الرِّمَاحِ، وأنظر معاهد التنصيص ١/ ١٥٩.

(أوبرد) هو حب الغمام.

(أو أقاح)^(١) جمع أقحوان وهو ورد له نور شبه ثغره بثلاثة أشياء.

(وباعتبار وجهه) عطف على قوله باعتبار الطرفين.

(إما تمثيل وهو ما) أي: التشبيه الذي.

(وجهه) وصف.

(متزاع من متعدد) أي: أمرين أو أمور.

(كما مر) من تشبيه الثريا وتشبيه مثار النقع مع الأسياف، وتشبيه الشمس بالمرأة في كف الأشل وغير ذلك.

(وقيده) أي: المتزاع من متعدد.

(السكاكي بكونه غير حقيقي) حيث قال: التشبيه متى كان وجهه وصفاً غير حقيقي وكان متزاعاً من عدة أمور خص باسم التمثيل.

(كما في تشبيه: مثل اليهود بمثل الحمار) فإن وجه الشبه هو حرمان الانتفاع بابلغ نافع مع الكد والتعب في استصحابه فهو وصف مركب من متعدد وليس بحقيقي بل وهو عائد إلى التوهم.

(ولما غير تمثيل وهو بخلافه) أي: بخلاف التمثيل يعني ما لا يكون وجهه متزاعاً من متعدد وعند السكاكي ما لا يكون متزاعاً من متعدد ولا يكون وهماً واعتبارياً بل يكون حقيقة فتشبيه الثريا بالعنقود المنور تمثيل عند الجمهور دون السكاكي.

(١) البيت للبحري، من قصيدة من السريع، يمدح بها أبا نوح عيسى ابن إبراهيم، أولها:

بات نديماً لي حتى الصباح .. أغيدُ مجدولُ مكان الوشاح

كأنها يضحك عن لؤلؤ منظمٌ أوبرد أو أقاح

والمنضد: المنظم، والبرد: حب الغمام، والأقاح: جمع أقحوان، وهو ورد له نور.

والشاهد فيه: تعدد طرف المشبه به - وهو هنا اللؤلؤ والبرد والأقاح - دون المشبه، وهو الثغر.

وقد جاء تشبيه الثغر بخمسة في قول الحريري من البسيط:

يفتر عن لؤلؤ رطبٍ وعن بردٍ .. وعن أقاح وعن طلعٍ وعن حبٍ.

(وأيضًا) تقسيم آخر للتشبيه باعتبار وجهه وهو أنه.

(إما مجمل وهو ما لم يذكر وجهه فمنه) أي: فمن المجمل.

(ما هو ظاهر) وجهه أو فمن الوجه الغير المذكور ما هو ظاهر.

(يفهمه كل أحد) ممن له مدخل في ذلك.

(نحو: زيد كالأسد، ومنه خفي لا يدركه إلا الخاصة كقول بعضهم) ذكر الشيخ عبد

القاهر: أنه قول من وصف بني المهلب للحجاج لما سأله عنهم وذكر جار الله أنه قول

الانمارية فاطمة بنت الخرشب وذلك أنها سئلت عن بنيتها أيهم أفضل فقالت عمارة لا بل

فلان لا بل فلان ثم قالت ثكلتهم إن كنت أعلم أيهم أفضل.

(هم كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها، أي: هم متناسبون في الشرف) يمتنع تعيين

بعضهم فاضلا وبعضهم أفضل منه.

(كما أنها) أي: الحلقة المفرغة متناسبة الأجزاء في الصورة يمتنع تعيين بعضها طرفا

وبعضها وسطا لكونها مفرغة مصمتة الجوانب كالدائرة.

(وأيضًا منه) أي: من المجمل وقوله منه دون أن يقول وأيضًا إما كذا وأما كذا اشعار

بأن هذا من تقسيمات المجمل لا من تقسيمات مطلق التشبيه أي ومن المجمل.

(ما لم يذكر فيه أحد الطرفين) يعني الوصف الذي يكون فيه إتياء إلى وجه الشبه نحو

زيد أسد.

(ومنه ما ذكر فيه وصف المشبه به وحده) أي: الوصف المشعر بوجه الشبه كقولها هم

كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها.

(ومنه ما ذكر فيه وصفها) أي: المشبه والمشبه به كليهما.

(كقوله: صَدَفْتُ عَنْهُ) أي: اعرضت عنه.

(ولم تُصَدِّفْ مواهبه عني، وعَاوَدَهُ ظني فلم ينجِبِ

كالغيثِ إن جئتُه وَاغَاكَ.

أي: أذاك. (رَقَّةٌ). يقال: فعله في روق شبابه وريقه أي أول وأصابه ريق المطر. وريق كل شيء أفضله.

(وإن ترحلت عنه لح في الطلب)^(١)

وصف المشبه أعني الممدوح بأن عطاياه فائضة عليه أعرض أو لم يعرض، وكذا وصف المشبه به أعني الغيث بأنه يصيبك أن جثته أو ترحلت عنه والوصفان مشعر أن بوجه الشبه أعني الإضافة في حالتي الطلب وعدمه وحالتي الإقبال عليه والإعراض عنه.
(ولما مفصل) عطف على إما مجمل.

(وهو ما ذكر وجهه كقوله:

ونفرد في صفاء وأدمعي كاللآلي^(٢)

(١) البيتان لأبي تمام، من قصيدة من البسيط يمدح بها الحسن بن رجاء ابن الضحاك، أولها:
أبدت أسي أن رأيتي تخلص القصب .. وآل ما كان من عجب إلى عجب
ست وعشرون تدعوني فأبتعها إلى المشيب ولم تظلم ولم تحب
يومي من الدهر مثل الدهر تجربة حزماً وعزماً وساعي منه كالحق
وأصغري أن شيئاً لآخ لي حدثاً وأكبري أنني في المهدي لم أشب
ولأيزقك ليأض القير به فإن ذاك ابتسام الرأي والأدب
يقول في مدحها.

متصيح العيس في الليل عند قتي .. كثير ذكر الرضى في ساعة الغضب

وبعد البيتان.

ومعنى صدفت أعرضت وريق كل شيء: أوله وأصله، والرواية في ديوان أبي تمام مروءته بدل مواهبه، وكان بدل لح.

وذكرت بقوله فإن ذاك ابتسام الرأي والأدب قول أبي الحسن علي بن طاهر بن منصور من الخفيف:

أعرضت حين أبصرت شعراي في عذارى كأنهن الثغام
قلت: هذا تبسم الدهر، قالت: قد سعى في صدورك الابتسام

والشاهد في البيتين: التشبيه المجلد المذكور فيه وصف المشبه والمشبه به، فإنه وصف الممدوح بأن عطاياه فائضة عليه أعرض أو لم يعرض، وكذا وصف الغيث بأنه يصيبك جثته أو ترحلت عنه، وهذان الوصفان مشعران بوجه الشبه، أعني الإضافة في حالتي الطلب وعدمه، وحالتي الإقبال عليه والإعراض عنه.

(٢) البيت من المجتث، وهو كالبيت السابق.

وقد يتسامح بذكر ما يستتبعه مكانه) أي: بأن يذكر مكان وجه الشبه ما يستلزمه أي يكون وجه الشبه تابعا لازما له في الجملة.

(كقوله للكلام الفصيح: هو كالعسل في الحلاوة فإن الجامع فيه لازمها) أي: وجه الشبه في هذا التشبيه لازم الحلاوة.

(وهو ميل الطبع) لأنه المشترك بين العسل والكلام لا الحلاوة التي هي من خواص المطعومات.

(وأيضاً) تقسيم ثالث للتشبيه باعتبار وجهه وهو أنه.

(إما قريب مبتذل، وهو ما يتقل فيه من المشبه إلى المشبه به من غير تدقيق نظر لظهور وجهه في بادي الرأي) أي: في ظاهره إذا جعلته من بدا الأمر يبدو أي ظهر وأن جعلته مهموزاً من بدأ فمعناه في أول الرأي وظهور وجه الشبه في بادي الرأي يكون لامرين إما. (لكونه أمراً جلياً) لا تفصيل فيه.

والشاهد فيه: التشبيه المفصل، وهو ما ذكر فيه وجه الشبه، وهو هنا الصفاء.
 حَمَلْتُ رُذْنِيَّاً كَأَن سَنَاءَهُ .. سَنَاءَ لَبٍ لَمْ يَتَّصِلْ بِدُخَانِ
 البيت لامرئ القيس، من قصيدة من الطويل، أولها:

لَمَنْ طَلَّلَ أَبْصَرْتُهُ فَسَجَانِي كَخَطِّ زَبُورٍ فِي عَسِيْبٍ بِيَانِي
 دِيَارِ هُنْدٍ وَالرَّيَابِ وَقَرْنَتِي لِيَالِنَا بِالنَّعْفِ مِنْ بَدَلَانِ
 لِيَالِي يَدْعُونِي الصَّبَا فَأَجِيبُهُ وَأَعِيْنُ مَنْ أَهْوَى إِلَيَّ رَوَانِي
 فَإِنْ أَمْسَ مَكْرُوياً فَيَا رَبِّ بَهْمَةٍ .. كَشَفْتُ إِذَا مَا اسْوَدَّ وَجْهَ جِيَانِ
 وَإِنْ أَمْسَ مَكْرُوياً فَيَا رَبِّ قَيْنَةٍ مُنْعَمَةً أَعْمَلْتُهَا بِكَرَانِ
 لَهَا مِزْهَرٌّ يعلو الخُمَيْسَ بِصَوْتِهِ أَجَشَّ إِذَا مَا حَرَّكَتُهُ يَدَانِ

وهي طويلة.

والرديني: الرمح، نسبة إلى امرأة كان تعمل الرماح اسمها ردينة والشاهد فيه: تفصيل التشبيه، وهو على وجوه، أعرفها أن يأخذ بعضاً من الأوصاف، ويدع بعضاً كما فعل امرؤ القيس هنا حيث عزل الدخان عن السنا وجرده.

(فإن الجملة أسبق إلى النفس) من التفصيل ألا ترى أن إدراك الإنسان من حيث أنه شيء أو جسم أو حيوان أسهل وأقدم من إدراكه من حيث أنه جسم نام حساس متحرك بالإرادة ناطق.

(أو) لكون وجه الشبه.

(قليل التفصيل مع غلبة حضور المشبه به في الذهن إما عند حضور المشبه لقرب المناسبة) بين المشبه والمشبه به. إذ لا يخفى أن الشيء مع ما يناسبه أسهل حضوراً منه مع ما لا يناسبه.

(كتشبيه الجرة الصغيرة بالكوز في المقدار والشكل) فإنه قد اعتبر في وجه الشبه تفصيل ما أعني المقدار والشكل إلا أن الكوز غالب الحضور عند حضور الجرة في الذهن.

(أو مطلقاً) عطف على قوله عند حضور المشبه ثم غلبة حضور المشبه به في الذهن مطلقاً تكون.

(لتكرره) أي: المشبه به.

(على المحس) فإن المتكرر على المحس كصورة القمر غير منخسف أسهل حضوراً مما لا يتكرر على المحس كصورة القمر منخسفاً.

(كالمشمس) أي: كتشبيه الشمس.

(بالمرأة المجلوة في الاستدارة والاستتارة) فإن في وجه الشبه تفصيلاً ما لكن المشبه به أعني المرأة غالب الحضور في الذهن مطلقاً.

(لمعارضة كل من القرب والتكرار التفصيل) أي: وإنما كانت قلة التفصيل في وجه الشبه مع غلبة حضور المشبه به بسبب قرب المناسبة أو التكرار على المحس سبباً لظهوره المؤدى إلى الابتذال مع أن التفصيل من أسباب الغرابة لأن قرب المناسبة في الصورة الأولى والتكرار على المحس في الثانية يعارض كل منهما التفصيل بواسطة اقتضائهما سرعة الانتقال من المشبه إلى المشبه به فيصير وجه الشبه كأنه أمر جملي لا تفصيل فيه فيصير سبباً للابتذال.

(وإما بعيد غريب) عطف على قوله إما قريب مبتذل.

(وهو بخلافه) أي: ما لا يتقل فيه من المشبه إلى المشبه به إلا بعد فكر وتدقيق نظر.

(لعدم الظهور) أي: لخفاء وجهه في بادي الرأي. وذلك أعني عدم الظهور.

(إما لكثرة التفصيل كقوله: وَالشَّمْسُ كَالْمِرَآةِ فِي كَفِّ الْأَثَلِ). فإن وجه التشبه فيه من

التفصيل ما قد سبق؛ ولذا لا يقع في نفس الرائي للمرأة الدائمة الاضطراب إلا بعد أن يستأنف تأملا ويكون في نظره متمهلا.

(أو ندور) أي: أو لندور.

(حضور المشبه به إما عند حضور المشبه لبعد المناسبة كما مر) من تشبيه البنفسج بنار

الكبريت.

(وإما مطلقا) وندور حضور المشبه به مطلقا يكون.

(إما لكونه وهميا) كآنياب الاغوال.

(أو مركبا خياليا) كـ:

أَعْلَامُ يَاقُوتِ نُثِرْنَ عَلَى رِمَاحٍ مِنْ زَيْرٍ جَذْ

(أو) مركبا.

(عقليا) ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥].

(كما مر) إشارة إلى الأمثلة التي ذكرناها آنفا.

(أو لقلة تكرره) أي: المشبه به.

(على الحس كقوله: وَالشَّمْسُ كَالْمِرَآةِ فِي كَفِّ الْأَثَلِ) فإن الرجل ربما ينقضي عمره ولم

يتفق له أن يرى مرآة في يد الأثل.

(فالعراية فيه) أي: في تشبيه الشمس بالمرآة في كف الأثل.

(من وجهين) أحدهما كثرة التفصيل في وجه الشبه والثاني قلة التكرار على الحس. فإن

قلت كيف تكون ندرة حضور المشبه به سببا لعدم ظهور وجه الشبه. قلت لأنه فرع الطرفين

والجامع المشترك الذي بينهما إنما يطلب بعد حضور الطرفين فإذا ندر حضورهما ندر التفات
الذهن إلى ما يجمعهما ويصلح سببا للتشبيه بينهما.

(والمراد بالتفصيل أن ينظر في أكثر من وصف) واحد لشيء واحد أو أكثر بمعنى أن
يعتبر في الأوصاف وجودها أو عدمها أو وجود البعض وعدم البعض كل من ذلك في أمر
واحد أو امرين أو ثلاثة أمور أو أكثر فلهذا قال.

(ويقع) أي: التفصيل.

(على وجوه) كثيرة.

(أعرفها أن تأخذ بعضها) من الأوصاف.

(وتدع بعضها) أي: تعتبر وجود بعضها وعدم بعضها.

(كما في قوله: حملت ردينا) يعني رجحا منسوبا إلى رديته.

(كان سنائمه ستا لهب لم يتصل بدخان) فاعتبر في اللهب الشكل واللون واللمعان
وترك الاتصال بالدخان ونفاه.

(وأن تعتبر الجميع كما مر من تشبيه الثريا) بعنقود الملاحية المنورة باعتبار اللون
والشكل وغير ذلك.

(وكلما كان التركيب) خياليا كان أو عقليا.

(من أمور أكثر كان التشبيه أبعد) لكون تفاصيله أكثر.

(و) التشبيه.

(البليغ ما كان من هذا الضرب) أي: من البعيد الغريب دون القريب المبتذل.

(لغرابته) أي: لكون هذا الضرب غريبا غير مبتذل.

(ولأن نيل الشيء بعد طلبه الذ) وموقعه في النفس اللطف، وإنما يكون البعيد الغريب

بليغا حسنا إذا كان سببه لطف المعنى ودقته أو ترتيب بعض المعاني على البعض فإن المعاني

الشريفة قلما تنفك عن بناء ثان على أول ورد تال على سابق فيحتاج إلى نظر وتأمل.

(وقد يتصرف في) التشبيه.

(القريب) المبتذل.

(بما يجعله غريباً) ويخرجه عن الابتذال.

(كقوله: [الكامل])

لَمْ تَلَقْ هَذَا الْوَجْهَ شَمْسُ نَهَارِنَا إِلَّا بِوَجْهِ لَيْسَ فِيهِ حَيَاءٌ^(١)

فتشبه الوجه بالشمس قريب مبتذل إلا أن حديث الحياء وما فيه من الدقة والخفاء.
أخرجه إلى الغرابة.

(١) البيت للمنتبي من قصيدة من الكامل يمدح بها هارون بن عبد العزيز الأوراجي، وأولها:

أَمِنْ أَزْدِيَارِكِ فِي الدُّجَى الرُّقْبَاءُ .. إِذْ حَيْثُ كُنْتُ مِنَ الظَّلَامِ ضِيَاءُ
قَلْتُ الْمَلِيحَةَ وَهُوَ مَسْكٌ هَتَكَهَا وَمَسِيرُهَا فِي اللَّيْلِ وَهِيَ ذُكَاءُ
أَسْفَى عَلَى أَسْفَى الَّذِي دَهَنَتْنِي عَنْ عِلْمِهِ فِيهِ عَلَى خَفَاءُ
وَشَكَيْتَنِي فَقَدْ السَّقَامُ لِأَنَّهُ قَدْ كَانَ لَمَّا كَانَ لِي أَعْضَاءُ
مَثَلْتُ عَيْنَكَ فِي حَشَائِي جِرَاحَةً فَتَشَابَهَا كِلْتَاهَا نَجْلَاءُ
نَفَذْتُ عَلَى السَّابِرِيِّ وَرَبِهَا تَنَلَقُ فِيهِ الصَّعْدَةُ السَّمَرَاءُ
أَنَا صَخْرَةُ الْوَادِي إِذَا مَا زُوْحِمْتُ فَإِذَا تَطَقْتُ فَإِنِّي الْجُوزَاءُ
وَإِذَا خَفِيتُ عَلَى الْغَنَى فَعَاذَرْتُ أَنْ لَا تَرَانِي مُقَلَّةً عَمِيَاءُ

ومنها:

فَإِذَا سُنِلْتُ فَلَا لِأَنَّكَ مَحْوُجٌ وَإِذَا كُنْتُ وَشَتْ بِكَ الْآلَاءُ
وَإِذَا مُدِحْتَ فَلَا لِنَكِيبٍ رَفَعَةً لِلشَّاكِرِينَ عَلَى الْإِلَهِ ثَنَاءُ
وَإِذَا مَطَرَتْ فَلَا لِأَنَّكَ مُجْدِبٌ .. يُسْقَى الْخَصِيبُ وَتَمَطَّرُ الدَّامَاءُ

والشاهد في البيت: التصرف في التشبيه القريب المبتذل بما يجعله غريباً ويخرجه عن الابتذال، فإن تشبيه الوجه بالشمس قريب مبتذل، لكن حدوث الحياء عنه قد أخرجه عن الابتذال إلى الغرابة لاشتغالته على زيادة دقة وخفاء، ثم إن كحان قوله لم تلق من لقيته بمعنى أبصرته فالتشبيه فيه مكني غير مصرح، وإنه كان بمعنى قابلته وعارضته فهو فعل ينبئ عن التشبيه: أي لم تقابله ولم تعارضه في الحسن والبهاء إلا بوجه ليس فيه حياء.

وقوله: لم تلق إن كان من لقيته بمعنى أبصرته فالتشبيه مكنى غير مصرح به، وإن كان من لقيته بمعنى قابلته وعارضته فهو فعل ينبى عن التشبيه أي لم تقابله في الحسن والبهاء إلا بوجه ليس فيه حياء.

(وقوله:

عَزَمَاتُهُ مِثْلُ النُّجُومِ ثَوَاقِيًا)

أي: لوامعا.

(لو لم يكن للثَّاقِيَاتِ أَقْوُلٌ)'''

فتشبيه العزم بالنجم مبتذل؛ إلا أن اشتراط عدم الأقول أخرجه إلى الغرابة.

(ويسمى) مثل (هذا) التشبيه.

(التشبيه المشروط) لتقيد المشبه أو المشبه به أو كليهما بشرط وجودي أو عدمي يدل عليه بصريح اللفظ أو بسياق الكلام.

(وباعتبار) أي: والتشبيه باعتبار.

(أداته إما مؤكد وهو ما حذف أداته مثل قوله تعالى: ﴿وَهِيَ تَمْرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨]) أي: مثل مر السحاب.

(ومنه) أي: ومن المؤكد ما أضيف المشبه به إلى المشبه بعد حذف الأداة.

(نحو قوله: والرياح تعبث بالفصوص) أي: تميلها إلى الاطراف والجوانب.

(وقد جرى ذهب الأصيل) هو الوقت بعد العصر إلى المغرب بعد من الاوقات الطيبة

كالسحر ويوصف بالصفرة كقوله: [الطويل]

(١) البيت لرشيد الدين الوطواط، من قصيدة من الكامل.

والثواب: جمع ثاقب، وهو النجم المرتفع على النجوم، والأقول: الغيبة.

والشاهد فيه: كما في البيت الذي فان قبله، تشبيه العزم بالنجم مبتذل، لكن الشرط المذكور أخرجه إلى الغرابة، ويسمى هذا التشبيه المشروط وهو أن يقيد المشبه أو المشبه به أو كلاهما بشرط وجودي أو عدمي يدل عليه بصريح اللفظ أو سياق الكلام.

وربَّ نهارٍ للفراق أصيلُهُ
ووجَّهي كلا لونيَّهما متناسبُ

فذهب الأصيل صفوته وشعاع الشمس فيه.

(على لجين الماء)^(١) أي: على ماء كاللجين أي الفضة في الصفاء والبياض فهذا تشبيه مؤكد ومن الناس من لم يميز بين لجين الكلام ولجينه ولم يعرف هجانه من هجينه حتى ذهب بعضهم إلى أن اللجين إنما هو بفتح اللام وكسر الجيم يعني الورق الذي يسقط من الشجر وقد شبه به وجه الماء وبعضهم إلى أن الاصيل هو الشجر الذي له أصل وعرق وذهبه ورقه الذي اصفر ببرد الخريف وسقط منه على وجه الماء وفساد هذين الوهمين غنى عن البيان.

(أو مرسل) عطف على إما مؤكد.

(وهو بخلافه) أي: ما ذكر أداته فصار مرسلا عن التأكيد المستفاد من حذف الأداة المشعر بحسب الظاهر بأن المشبه عين المشبه به.

(كما مر) من الأمثلة المذكورة فيها أداة التشبيه.

(و) التشبيه.

(باعتبار الغرض إما مقبول وهو الوافي بإفادته) أي: إفادة الغرض.

(كأن يكون المشبه به) أعرف شيء بوجه التشبيه.

(في بيان الحال أو) كأن يكون المشبه به.

(أتم شيء فيه) أي: في وجه التشبيه.

(١) البيت من الكامل، ولا أعرف قائله.

وعبث الريح بالغصون عبارة عن إمالتها إياها، والأصيل: هو الوقت من بعد العصر إلى الغروب، ويوصف بالصفرة، قال الشاعر من الطويل:

وربَّ نهارٍ للفراق أصيلُهُ .. ووجَّهي كلا لونيَّهما مُتناسبُ

وما أحسن قول الخطيب أبي القاسم بن معاوية فيه من الوافر:

كأنَّ الموج في عُبرَتِهِ تُرْسٌ تُذْهَبُ مَتْنُهُ كَفَّ الْأَصِيلِ

والشاهد في البيت: حذف أداة التشبيه، ويسمى التشبيه المؤكد، وهو هنا تشبيه صفرة الأصيل بالذهب وبياض الماء وصفائه باللجين، وهو الفضة. وانظر معاهد التنصيص ١/ ١٦٠.

(في إلحاق الناقص بالكامل أو) كان يكون المشبه به.

(مسلم الحكم فيه) أي: في وجه التشبيه.

(معروفة عند المخاطب في بيان الامكان أو مردود) عطف على إما مقبول.

(وهو بخلافه) أي: ما يكون قاصرا عن إفادة الغرض بأن لا يكون على شرط المقبول

كما سبق ذكره.

(خاتمة) في تقسيم التشبيه بحسب القوة والضعف في المبالغة باعتبار ذكر الأركان

وتركها، وقد سبق أن الأركان أربعة والمشبه به مذكور قطعاً فالمشبه إما مذكور أو محذوف

وعلى التقديرين فوجه الشبه إما مذكور أو محذوف وعلى التقدير الأربعة فالأداة إما مذكورة

أو محذوفة تصير ثمانية.

(وأعلى مراتب التشبيه في قوة المبالغة) إذا كان اختلاف المراتب وتعددتها.

(باعتبار ذكر أركانه) أي: أركان التشبيه.

(كلها أو بعضها) أي: بعض الأركان. فقوله باعتبار متعلق بالاختلاف الدال عليه

سوق الكلام لأن أعلى المراتب قد يكون بالنظر إلى عدة مراتب مختلفة. وإنما قيد بذلك لأن

اختلاف المراتب قد يكون باعتبار اختلاف المشبه به نحو زيد كالأسد وزيد كالذئب في

الشجاعة. وقد يكون باختلاف الأداة نحو زيد كالأسد وكان زيدا الأسد، وقد يكون

باعتبار ذكر الأركان كلها أو بعضها بأنه إذا ذكر الجميع فهو أدنى المراتب، وإن حذف الوجه

والأداة فاعلاها وإلا فمتوسط. وقد توهم بعضهم أن قوله باعتبار متعلق بقوة المبالغة

فاعترض بأنه لا قوة مبالغة عند ذكر جميع الأركان فالأعلى.

(حذف وجهه وأداته فقط) أي: بدون حذف المشبه نحو زيد أسد.

(أو مع حذف المشبه) نحو أسد في مقام الأخبار عن زيد.

(ثم) الأعلى بعد هذه المرتبة.

(حذف أحدهما) أي: وجهه أو أداته.

(كذلك) أي: فقط أو مع حذف المشبه نحو زيد كالأسد ونحو كالأسد عند الأخبار
عن زيد ونحو زيد أسد في الشجاعة ونحو أسد في الشجاعة عند الأخبار عن زيد.
(ولا قوة لغيرهما) وهما الاثنان الباقيان أعني ذكر الأداة. والوجه جميعا إما مع ذكر
المشبه أو بدونه نحو زيد كالأسد في الشجاعة ونحو كالأسد في الشجاعة خبرا عن زيد وبيان
ذلك أن القوة إما بعموم وجه الشبه ظاهرا أو بحمل المشبه به على المشبه بأنه هو هو فما
اشتمل على الوجهين جميعا فهو على غاية القوة وما خلا عنها فلا قوة له وما اشتمل على
أحدهما فقط فهو متوسط والله أعلم.

الحقيقة والمجاز

هذا هو المقصد الثاني من مقاصد علم البيان، أي هذا بحث الحقيقة والمجاز والمقصود الأصلي بالنظر إلى علم البيان هو المجاز إذ به يتأتى اختلاف الطرق دون الحقيقة، إلا أنها لما كانت كالأصل للمجاز إذ الاستعمال في غير ما وضع له فرع الاستعمال فيها وضع له جرت العادة بالبحث عن الحقيقة أولا.

(وقد يقيدان باللغويين) لتمييزا عن الحقيقة والمجاز العقليين الذين هما في الإسناد والاكثر ترك هذا التقييد لئلا يتوهم أنه مقابل للشرعي والعرفي.

الحقيقة: في الأصل فعيل بمعنى فاعل من حق الشيء إذا ثبت أو بمعنى مفعول من حققته إذا أثبتة نقل إلى الكلمة الثابتة أو المثبتة في مكانها الأصلي والتاء فيها للنقل من الوصفية إلى الاسمية وهي في الاصطلاح.

(الكلمة المستعملة فيها) أي: في معنى.

(وضعت) تلك الكلمة.

(له في اصطلاح به التخاطب) أي: وضعت له في اصطلاح به يقع التخاطب بالكلام المشتمل على تلك الكلمة فالظرف أعني في اصطلاح متعلق بقوله وضعت وتعلقه بالمستعملة على ما توهمه البعض مما لا معنى له فاحترز بالمستعملة عن الكلمة قبل الاستعمال فإنها لا تسمى حقيقة ولا مجازا وبقوله فيها وضعت له عن الغلط نحو خذ هذا الفرس مشيرا إلى كتاب وعن المجاز المستعمل فيها لم يوضع له في اصطلاح به التخاطب ولا في غيره كالأسد في الرجل الشجاع لأن الاستعارة وأن كانت موضوعة بالتأويل إلا أن المفهوم من إطلاق الوضع إنما هو الوضع بالتحقيق.

واحترز بقوله في اصطلاح به التخاطب عن المجاز المستعمل فيها وضع له في اصطلاح

آخر غير الاصطلاح الذي يقع به التخاطب كالصلاة إذا استعملها المخاطب.

يعرف الشرع في الدعاء فإنها تكون مجازا لاستعماله في غير ما وضع له في الشرع أعني الأركان المخصوصة وإن كانت مستعملة فيما وضع له في اللغة.
(والوضع) أي: وضع اللفظ.

(تعيين اللفظ للدلالة على معنى بنفسه) أي: ليدل بنفسه لا بقرينة تنضم إليه. ومعنى الدلالة بنفسه أن يكون العلم بالتعيين كافيا في فهم المعنى عند إطلاق اللفظ وهذا شامل للحرف أيضا لانا نفهم معاني الحروف عند إطلاقها بعد علمنا بأوضاعها إلا أن معانيها ليست تامة في انفسها بل تحتاج إلى الغير بخلاف الاسم والفعل.
نعم لا يكون هذا شاملا لوضع الحرف عند من يجعل معنى قولهم الحرف ما دل على معنى في غيره أنه مشروط في دلالة على معناه الأفرادى ذكر متعلقه.
(فخرج المجاز) عن أن يكون موضوعا بالنسبة إلى معناه المجازي.
(لأن دلالة) على ذلك المعنى إنها تكون.

(بقرينة) لا بنفسه.

(دون المشترك) فإنه لم يخرج لأنه قد عين للدلالة على كل من المعنيين بنفسه وعدم فهم أحد المعنيين بالتعيين لعارض الاشتراك لا ينافي ذلك فالقرء مثلا عين مرة للدلالة على الطهر بنفسه ومرة آخر للدلالة على الحيض بنفسه فيكون موضوعا بالتعيين.

وفي كثير من النسخ بدل قوله: دون المشترك دون الكناية، وهو سهو؛ لأنه أن أريد أن الكناية بالنسبة إلى معناها الأصلي موضوعه فكذا المجاز ضرورة أن الأسد في قولنا رأيت أسدا يرمى موضوع للحيوان المفترس وإن لم يستعمل فيه وأن أريد أنها موضوعه بالنسبة إلى معنى الكناية أعني لازم المعنى الأصلي ففساده ظاهر لأنه لا يدل عليه بنفسه بل بواسطة القرينة.

لا يقال معنى قوله بنفسه أي من غير قرينة مانعة عن إرادة الموضوع له أو من غير قرينة لفظية فعلى هذا يخرج من الوضع المجاز دون الكناية. لأننا نقول أخذ الموضوع في تعريف

الوضع فاسد للزوم الدور، وكذا حصر القرينة في اللفظي لأن المجاز قد يكون قرينة فيه معنوية لا يقال معنى الكلام أنه خرج عنه تعريف الحقيقة المجاز دون الكناية، فإنها أيضا حقيقة على ما صرح به صاحب المفتاح.

لأننا نقول هذا فاسد على رأي المصنف لأن الكناية لم تستعمل عنده فيما وضع له، بل إنما استعملت في لازم الموضوع له مع جواز إرادة الملزوم وسيجيء لهذا زيادة تحقيق.

(والقول بدلالة اللفظ لذاته ظاهره فاسد) يعني ذهب بعضهم إلى أن دلالة الألفاظ على معانيها لا تحتاج إلى الوضع بل بين اللفظ والمعنى مناسبة طبيعية تقتضي دلالة كل لفظ على معناه لذاته فذهب المصنف، وجميع المحققين على أن هذا القول فاسد ما دام محمولا على ما يفهم منه ظاهرا لأن دلالة اللفظ على المعنى لو كانت لذاته كدلالته على الالفاظ لوجب أن تختلف اللغات باختلاف الامم وأن يفهم كل أحد معنى كل لفظ لعدم انفكاك المدلول عن الدليل ولا متنع أن يجعل اللفظ بواسطة القرينة بحيث يدل على المعنى المجازي دون الحقيقي لأن ما بالذات لا يزول بالغير ولا متنع نقله من معنى إلى معنى آخر بحيث لا يفهم منه عند الإطلاق إلا المعنى الثاني.

(وقد تأوله) أي: القول بدلالة اللفظ لذاته.

(السكاكي) أي: صرفه عن ظاهره وقال إنه تنبيه على ما عليه أئمة علمي الاشتقاق والتصريف من أن للحروف في انفسها خواص بها تختلف كالجهر والهمس والشدة والرخاوة والتوسط بينهما وغير ذلك وتلك الخواص تقتضي أن يكون العالم بها إذا أخذ في تعيين شيء مركب منها معنى لا يهمل التناسب بينهما قضاء لحق الحكمة كالقسم بالفاء الذي هو حرف رخو لكسر الشيء من غير أن يبين والقسم بالقاف الذي هو حرف شديد لكسر الشيء حتى يبين وأن لهيئات تركيب الحروف أيضا خواص كالفعلان والفعل بالتحريك لما فيه حركة كالنزوان والحيدى وكذا باب فعل بالضم مثل شرف وكرم للافعال الطبيعية اللازمة.

والمجاز في الأصل مفعول من جاز المكان يجوزُه إذا تعداه نقل إلى الكلمة الجائزة أي المتعدية مكانها الأصلي أو الكلمة المجوز بها على معنى أنهم جازوا بها وعدوها مكانها الأصلي كذا ذكره الشيخ في أسرار البلاغة وذكر المصنف أن الظاهر أنه من قولهم جعلت كذا مجازا إلى حاجتي أي طريقا لها على أن معنى جاز المكان سلكه فإن المجاز طريق إلى تصور معناه. فالمجاز.

(مفرد ومركب) وهما مختلفان فعرفوا كلا على حدة.

(أما المفرد فهو الكلمة المستعملة) احترز بها عن الكلمة قبل الاستعمال فإنها ليست بمجاز ولا حقيقة.

(في غير ما وضعت له) احترز به عن الحقيقة مرتجلا كان أو منقولا أو غيرهما وقوله.

(في اصطلاح به التخاطب) متعلق بقوله وضعت. قيد بذلك ليدخل المجاز المستعمل فيما وضع له في اصطلاح آخر كلفظ الصلاة إذا استعمله المخاطب بعرف الشرع في الدعاء مجازا فإنه وأن كان مستعملا فيما وضع له في الجملة فليس بمستعمل فيما وضع له في الاصطلاح الذي وقع به التخاطب أعني الشرع وليخرج من الحقيقة ما يكون له معنى آخر باصطلاح آخر كلفظ الصلاة المستعملة بحسب الشرع في الأركان المخصوصة فإنه يصدق عليه أنه كلمة مستعملة في غير ما وضعت له لكن بحسب اصطلاح آخر وهو اللغة لا بحسب اصطلاح به التخاطب وهو الشرع.

(على وجه يضح) متعلق بالمستعملة.

(مع قرينة عدم ارادته) أي: إرادة الموضوع له.

(فلا بد) للمجاز.

(من العلاقة) لينتقل الاستعمال على وجه يصح. وإنما قيد بقوله على وجه يصح

واشترط العلاقة.

(ليخرج الغلط) من تعريف المجاز كقولنا خذ هذا الفرس مشيرا إلى كتاب لأن هذا الاستعمال ليس على وجه يصح.

(و) إنها قيد بقوله مع قرينة عدم ارادته لتخرج.

(الكناية) لأنها مستعملة في غير ما وضعت له مع جواز إرادة ما وضعت له.

(وكل منهما) أي: من الحقيقة والمجاز.

(لغوي وشرعي وعرفي خاص) وهو ما يتعين ناقله كالتحوي والصرفي وغير ذلك.
(أو) عرفي.

(عام) لا يتعين ناقله. وهذه القسمة في الحقيقة بالقياس إلى الواضع فإن كان واضعها واضح اللفظ واللغة فلغوية وأن كان الشارع فشرعية وعلى هذا القياس وفي المجاز باعتبار الاصطلاح الذي وقع الاستعمال في غير ما وضعت له في ذلك الاصطلاح فإن كان هو اصطلاح اللغة فالمجاز لغوي وأن كان اصطلاح الشرع فشرعي وإلا فعرفي عام أو خاص.
(كأسد للسبع) المخصوص.

(والرجل الشجاع) فإنه حقيقة لغوية في السبع مجاز لغوي في الرجل الشجاع.
(والصلاة للعبادة) المخصوصة.

(والدعاء) فإنها حقيقة شرعية في العبادة ومجاز شرعي في الدعاء.

(وفعل للفظ) المخصوص أعني ما دل على معنى في نفسه مقترنا باحد الأزمنة الثلاثة.

(والحدث) فإنه حقيقة عرفية خاصة أي نحوية في اللفظ مجاز نحوي في الحدث.

(ودابة لذوى الأربع والانسان) فإنها حقيقة عرفية عامة في الأول مجاز عرفي عام في

الثاني.

(والمجاز مرسل أن كانت العلاقة) المصححة.

(غير المشابهة) بين المعنى المجازي والمعنى الحقيقي.

٣٣٨ مختصر المعاني للتفتازاني

(وإلا فاستعارة) فعلى هذا الاستعارة هى اللفظ المستعمل فى شبة بمعناه الأصلى
لعلاقة المشابهة كأسد فى قولنا رأيت أسدا ىرمى.

(وكثىرا ما تطلق الاستعارة) على فعل المتكلم أعنى.

(على استعمال اسم المشبه به فى المشبه). فعلى هذا تكون بمعنى المصدر وىصح منه
الاشتقاق.

(فهى) أى: المشبه به والمشبه.

(مستعار منه ومستعار له واللفظ) أى: لفظ المشبه به.

(مستعار) لأنه بمنزلة اللباس الذى استعير من أحد فالبس غىره.

(والمرسل) وهوما كانت العلاقة غىر المشابهة.

(كاليد) الموضوعة للجارحة المخصوصة إذا استعملت.

(فى النعمة) لكونها بمنزلة العلة الفاعلىة للنعمة لأن النعمة منها تصدر وتصل إلى
المقصود بها.

(و) كاليد فى (القدرة) لأن أكثر ما ىظهر سلطان القدرة ىكون فى اليد وبها ىكون
الأفعال الدلالة على القدرة من البطش والضرب والقطع والاختذ وغىر ذلك.

(والرواية) التى هى فى الأصل اسم للبعىر الذى ىحمل المزاذة إذا استعملت.

(فى المزاذة) أى: المزود الذى ىجعل فىه الزاد أى الطعام المتخذ للسفر والعلاقة كون
البعىر حاملا لها وهى بمنزلة العلة المادىة، ولما أشار بالمثال إلى بعض أنواع العلاقة أخذ فى
التصرىح بالبعض الآخر من أنواع العلاقات فقال.

(ومنه) أى: من المرسل.

(تسمية الشىء باسم جزئه) فى هذه العبارة نوع من التسامح أى عند إطلاقه على نفس
ذلك الشىء لا نفس التسمية مجازا.

(كالعین) وهى الجارحة المخصوصة.

(في الربيئة) وهي الشخص الرقيب والعين جزء منه. ويجب أن يكون الجزء الذي يطلق على الكل مما يكون له من بين الأجزاء مزيد اختصاص بالمعنى الذي قصد بالكل مثلاً لا يجوز إطلاق اليد أو الأصبع على الربيئة.

(وعكسه) أي: ومنه عكس المذكور يعني تسمية الشيء باسم كله.

(كالأصابع) المستعملة.

(في الأنامل) التي هي أجزاء من الأصابع في قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَضَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ [البقرة: ١٩].

(وتسميته) أي: ومنه تسمية الشيء.

(باسم سبيه نحو: رعينا الغيث) أي: النبات الذي سببه الغيث.

(أو) تسمية الشيء باسم.

(مسيه نحو: أمطرت السماء نباتاً) أي: غيثاً لكون النبات مسيباً عنه، وأورد في الإيضاح في امثلة تسمية السبب باسم المسبب في قولهم فلان أكل الدم أي الدية المسببة عن الدم وهو سهو. بل هو من تسمية المسبب باسم السبب.

(أو ما كان عليه) أي: تسمية الشيء باسم الشيء الذي كان هو عليه في الزمان الماضي لكنه ليس عليه الآن.

(نحو: قوله تعالى: ﴿وَأَتَوْا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٢]) أي: الذين كانوا يتامى قبل ذلك إذ لا يتم بعد البلوغ أو تسمية الشيء باسم.

(ما يؤول) ذلك الشيء.

(إليه) في الزمان المستقبل.

(نحو: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْرَضُ خَرًّا﴾ [يوسف: ٣٦]) أي: عصيراً يؤول إلى الخمر.

(أو) تسمية الشيء باسم.

(محله نحو فليدع ناديه) أي: أهل ناديه الحال فيه. والنادي المجلس.

(أو) تسمية الشيء باسم.

(حاله) أي: باسم ما يحل في ذلك الشيء.

(نحو: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْتِغَتْ وَجُوهُهُمْ فِئِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٠٧] أي في

الجنة) التي تحل فيها الرحمة.

(أو) تسمية الشيء باسم.

(آله نحو: ﴿وَاجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤]، أي ذكرا حسنا)

واللسان اسم لألة الذكر ولما كان في الأخيرين نوع خفاء صرح به في الكتاب.

فإن قيل: قد ذكر في مقدمة هذا الفن أن مبنى المجاز على الانتقال من المزوم إلى اللازم

وبعض أنواع العلاقة بل أكثرها لا يفيد اللزوم فكيف ذلك.

قلنا: ليس معنى اللزوم ههنا امتناع الانفكاك في الذهن أو الخارج بل تلاصق واتصال

ينتقل بسببه من أحدهما إلى الآخر في الجملة وفي بعض الأحيان. وهذا متحقق في كل امرين

بينهما علاقة وارتباط.

(والاستعارة) وهي مجاز تكون علاقته المشابهة أي قصد أن الإطلاق بسبب المشابهة

فإذا اطلق المشفر على شفة الإنسان فإن قصد تشبيهها بمشفر الإبل في الغلط فهو استعارة

وإن أريد أنه من إطلاق المقيد على المطلق كإطلاق المرسن على الأنف من غير قصد إلى

التشبيه فمجاز مرسل فاللفظ الواحد بالنسبة إلى المعنى الواحد قد يكون استعارة وقد يكون

مجازا مرسلا والاستعارة.

(قد تقييد بالتحقيقية) لتمييز عن التخيلية والمكنى عنها.

(لتحقق معناها) أي: ما عني بها واستعملت هي فيه.

(حسا أو عقلا) بأن يكون اللفظ قد نقل إلى أمر معلوم يمكن أن ينص عليه ويشار إليه

إشارة حسية أو عقلية فالحسى.

(كقوله لدى أسد شاكي السلاح) أي: تام السلاح.

(مقذف أي رجال شجاع) أي: قذف به كثيرا إلى الوقائع. وقيل قذف باللحم ورمى به فصار له جسامه ونباله فالأسد ههنا مستعار للرجل الشجاع وهو أمر متحقق حسا. (وقوله) أي: والعقلي كقوله تعالى.

(﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] أي الدين الحق) وهو ملة الإسلام وهذا أمر متحقق عقلا. قال المصنف رحمه الله فالاستعارة ما تضمن تشبيه معناه بها وضع له. والمراد بمعناه ما عني باللفظ واستعمل اللفظ فيه. فعلى هذا يخرج من تفسير الاستعارة نحو زيد أسد ورأيت زيدا أسدا ومررت بزيد أسد مما يكون اللفظ مستعملا فيها وضع له وأن تضمن تشبيه شيء به وذلك لأنه إذا كان معناه عين المعنى الموضوع له لم يصح تشبيه معناه بالمعنى الموضوع له لاستحالة تشبيه الشيء بنفسه على أن ما في قولنا ما تضمن عبارة عن المجاز بقرينة تقسيم المجاز إلى الاستعارة وغيرها وأسد في الأمثلة المذكورة ليس بمجاز لكونه مستعملا فيها وضع له.

وفيه بحث؛ لأننا لا نسلم أنه مستعمل فيها وضع له بل في معنى الشجاع فيكون مجازا أو استعارة كما في رأيت أسدا يرمى بقرينة حمله على زيد. ولا دليل لهم على أن هذا على حذف أداة التشبيه وأن التقدير زيد كأسد، واستدلواهم على ذلك بأنه قد أوقع الأسد على زيد. ومعلوم أن الإنسان لا يكون أسدا فوجب المصير إلى التشبيه بحذف ادائه قصدا إلى المبالغة فاسد لأن المصير إلى ذلك إنما يجب إذا كان أسد مستعملا في معناه الحقيقي وأما إذا كان مجازا عن الرجل الشجاع فحمله على زيد صحيح. ويدل على ما ذكرنا أن المشبه به في مثل هذا المقام كثيرا ما يتعلق به الجار والمجرور كقوله: "أسد علي وفي الحروب نعمة" أي مجتري، صائل على وكقوله والطير اغربه على أي باكية وقد استوفينا ذلك في الشرح، واعلم أنهم قد اختلفوا في أن الاستعارة مجاز لغوي أو عقلي فالجمهور على أنها مجاز لغوي بمعنى أنها لفظ استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة.

(ودليل أنها) أي: الاستعارة.

(مجاز لغوي كونها موضوعة للمشبه به لا للمشبه ولا للأعم منهما) أي: من المشبه والمشبه به فاسد في قولنا رأيت أسداً يرمي موضوع للسبع المخصوص لا للرجل الشجاع ولا لمعنى أعم من السبع والرجل الشجاع كالحَيوان المجترى، مثلاً ليكون إطلاقه عليهما حقيقة كإطلاق الحيوان على الأسد والرجل الشجاع وهذا معلوم بالنقل عن أئمة اللغة قطعاً فإطلاقه على المشبه وهو الرجل الشجاع إطلاق على غير ما وضع له مع قرينة مانعة عن إرادة ما وضع له فيكون مجازاً لغوياً.

وفي هذا الكلام دلالة على لفظ العام إذا أطلق على الخاص لا باعتبار خصوصه بل باعتبار عمومته فهو ليس من المجاز في شيء كما إذا لقيت زيدا فقلت لقيت رجلاً أو إنساناً أو حيواناً بل هو حقيقة إذ لم يستعمل اللفظ إلا في معناه الموضوع له.
(وقيل إنها) أي: الاستعارة.

(مجاز عقلي بمعنى أن التصرف في أمر عقلي لا لغوي لأنها لما لم تطلق على المشبه إلا بعد ادعاء دخوله) أي: دخول المشبه.

(في جنس المشبه به) بأن جعل الرجل الشجاع فرداً من أفراد الأسد.

(كان استعمالها) أي: الاستعارة في المشبه استعمالاً.

(فيما وضعت له) وإنما قلنا إنها لم تطلق على المشبه إلا بعد ادعاء دخوله في جنس المشبه به لأنها لو لم تكن كذلك لما كانت استعارة لأن مجرد نقل الاسم لو كانت استعارة لكانت الأعلام المنقولة استعارة ولما كانت الاستعارة أبلغ من الحقيقة إذ لا مبالغة في إطلاق الاسم المجرد عارياً من معناه.

ولما صح أن يقال لمن قال رأيت أسداً وأراد به زيدا أنه جعله أسداً كما لا يقال لمن سعى ولده أسداً أنه جعله أسداً إذ لا يقال جعله أميراً إلا وقد أثبت فيه صفة الإمارة، وإذا كان نقل اسم المشبه به إلى المشبه تبعاً لتقل معناه إليه بمعنى أنه أثبت له معنى الأسد الحقيقي ادعاء ثم أطلق عليه اسم الأسد كان الأسد مستعملاً فيما وضع له فلا يكون مجازاً لغوياً بل

عقلياً بمعنى أن العقل جعل الرجل الشجاع من جنس الأسد وجعل ما ليس في الواقع واقعا مجاز عقلي.

(ولهذا) أي: ولأن إطلاق اسم المشبه به على المشبه إنها يكون بعد ادعاء دخوله في جنس المشبه به.

(صح التعجب في قوله: قامت تظللني) أي: توقع الظل عليّ.

(من الشمس نفس أعز عليّ من نفسي)

قامت تظلني ومن عجب شمس)

أي غلام كالشمس في الحسن والبهاء.

(تظللني من الشمس)^(١) فلولا أنه ادعى لذلك الغلام معنى الشمس الحقيقي وجعله

شمساً على الحقيقة لما كان لهذا التعجب معنى إذ لا تعجب في أن يظل إنسان حسن الوجه إنساناً آخر.

(١) اليتان لابن العميد، وهما من الكامل، قالمها في غلام حسن قام على رأسه يظلمه من الشمس، وقال ابن النجار في تاريخه: قرأت على إسماعيل بن سعد الله أنبأنا بكر بن علي التاجر، قال: أنشدنا رزق الله بن عبد الوهاب التميمي الواعظ في ولده أبي العباس، لأنه كان يقوم إذا جاءت عليه الشمس ويظلمه فقال:

قامت تظللني من الشمس نفس أعزُّ على من نفسي

قامت تظللني ومن عجب .. شمس تظللني من الشمس

لما رأيت الشمس بارزة ... سررت عين الشمسي بالشمس

ثم استعنت على التي اختلست .. من الفؤاد بآية الكرسي

وقال ياقوت في معجم الأدباء: كان أبو إسحاق الصابي واقفاً بين يدي عضد الدولة وعلى رأسه غلام تركي جميل، فكان إذا رأى الشمس عليه حجبتها عنه، فقال للصابي: هل قلت شيئاً يا إبراهيم؟ فقال:

وقفت لتحجبي عن الشمس .. نفس أعزُّ عليّ من نفسي

ظلت تظللني ومن عجب .. شمس تُغيبي عن الشمس

فسر بذلك.

والشاهد فيها: أن إطلاق المشبه به على المشبه إنها يكون بعد ادعاء دخوله في جنس المشبه به، وإذا كان كذلك فيكون استعماله الاستعارة في المشبه استعمالاً فيها وضعت له، فهنا لولا أنه ادعى له معنى الشمس الحقيقي وجعله شمساً لما كان لهذا التعجب معنى، إذ لا تعجب في أن إنساناً حسناً يظل إنساناً آخر.

(والنهي عنه) أي: ولهذا صح النهي عن التعجب في قوله:

(لا تعجبوا من بلى غلالته) هي شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع أيضا.

(قد زر أزراره على القمر)^(١) تقول: زمرت القميص عليه أزره إذا شددت أزراره عليه

فلو لا أنه جعله قمرا حقيقيا لما كان للنهي عن التعجب معنى، لأن الكتان إنما يسرع إليه البلى بسبب ملابسة القمر الحقيقي، لا بملابسة إنسان كالقمر في الحسن لا يقال القمر في البيت ليس باستعارة لأن المشبه مذكور، وهو الضمير في غلالته وأزراره لأننا نقول لا نسلم أن الذكر على هذا الوجه يناق الاستعارة المذكورة كما في قولنا سيف زيد في يد أسد فإن تعريف الاستعارة صادق على ذلك.

(ورد) هذا الدليل.

(بأن الادعاء) أي: ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به.

(لا يقتضي كونها) أي: الاستعارة.

(١) البيت لأبي الحسن بن طباطبا العلوي، من المنسرح، وقبله:

يا من حكى الماء فرط رقيقته ... وقلبه في قساوة الحجر
يا ليت حظي كحظ ثوبك من .. جسمك يا واحداً من البشر

وبعد البيت، ورأيت بلفظ:

قد زُر كَتَانُهَا عَلَى الْقَمَرِ

ولعله أبلغ في المراد، والغلالة بكسر الغين المعجمة شعار يلبس تحت الثوب.

والشاهد فيه: ما في البيت الذي قلناه، لأنه لو لم يجعله قمراً حقيقاً لما كان للنهي عن التعجب معنى، لأن الكتان إنما يسرع إليه البلى بسبب ملازمته للقمر الحقيقي، لا بسبب ملابسة إنسان كالقمر حسناً، ورد كون الاستعارة مجازاً عقلياً: بأن ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به لا يقتضي كونها مستعملة فيها وضعت له، للعلم الضروري بأنها مستعملة في الرجل الشجاع مثلاً، والموضع له هو السبب المخصوص، وأما التعجب والنهي عنه في البيت والذي قبله فللبناء على تناسي التشبيه، قضاء لحق المبالغة، ودلالة على أن المشبه بحيث لا يتميز عن المشبه به أصلاً، حتى أن كل ما يترتب على المشبه به من التعجب والنهي عنه يترتب على المشبه أيضاً.

(مستعملة فيما وضعت له) للعلم الضروري بأن أسدا في قولنا رأيت أسدا يرمى مستعمل في الرجل الشجاع والموضوع له هو السبع المخصوص. وتحقيق ذلك أن ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به مبنى على أنه جعل أفراد الأسد بطريق التأويل قسمين: أحدهما المتعارف وهو الذي له غاية الجرأة ونهاية القوة في مثل تلك اللجنة المخصوصة والثاني غير المتعارف وهو الذي له تلك الجرأة لكن لا في تلك اللجنة المخصوصة. والهيكل المخصوص ولفظ الأسد إنما هو موضوع للمتعارف فاستعماله في غير المتعارف استعمال في غير ما وضع له والقرينة مانعة عن إرادة المعنى المتعارف ليتعين المعنى الغير المتعارف. وبهذا يندفع ما يقال إن الاصرار على دعوى الأسدية لرجل الشجاع يناقى نصب القرينة المانعة عن إرادة السبع المخصوص.

(وأما التعجب والنهي عنه) كما في البيتين المذكورين.

(فلقبنا على تناسي التشبيه قضاء لحق المبالغة) ودلالة على أن المشبه بحيث لا يتميز عن المشبه به أصلا حتى أن كل ما يترتب على المشبه به من التعجب والنهي عن التعجب يترتب على المشبه أيضا.

(والاستعارة تفارق الكذب بوجهين بالبناء على التأويل) في دعوى دخول المشبه في جنس المشبه به بأن يجعل أفراد المشبه به قسمين متعارفا وغير متعارف كما مر ولا تأويل في الكذب.

(ونصب) أي: وينصب.

(القرينة على إرادة خلاف الظاهر) في الاستعارة لما عرفت أنه لا بد للمعجاز من قرينة مانعة عن إرادة المعنى الحقيقي الموضوع له بخلاف الكذب فإن قائله لا ينصب فيه قرينة على إرادة خلاف الظاهر بل يبذل المجهود في ترويج ظاهره.

(ولا تكون) أي: الاستعارة.

٣٤٦ مختصر المعاني للتفتازاني

(علما) لما سبق من انها تقتضي ادخال المشبه في جنس المشبه به بجعل أفراده قسمين متعارفا وغير متعارف ولا يمكن ذلك في العلم.

(للتافاته الجنسية) لأنه يقتضي التشخص ومنع الاشتراك والجنسية يقتضي العموم وتناول الأفراد.

(إلا إذا تضمن العلم.

(نوع وصفية) بواسطة اشتهاه بوصف من الأوصاف.

(كحاتم) المتضمن للتصاف بالوجود وكذا ومادر بالبخل وسحبان بالفصاحة وباقل بالفهامة.

فحيثذ يجوز أن يشبه شخص بحاتم في الجود ويتأول في حاتم فيجعل كأنه موضوع للجواد سواء كان ذلك الرجل المعهود أو غيره كما مر في الأسد. فهذا التأويل يتناول حاتم الفرد المتعارف والمعهود والفرد الغير المتعارف ويكون إطلاقه على المعهود أعني حاتما الطائي حقيقة وعلى غيره ممن يتصف بالجود استعارة نحو رأيت اليوم حاتما.

(وقريتها) يعني أن الاستعارة لكونها مجاز لا بد لها من قرينة مانعة عن إرادة المعنى الموضوع له وقريتها.

(ما أمر واحد كما في قولك رأيت أسدا يرمى أو أكثر) أي: امران أو أمور يكون كل واحد منها قرينة.

(كقوله: وأن تعافوا) أي: تكرموا.

(العدل والايانا، فإن في إيماننا نيرانا) أي: سيوفا تلمع كشعل النيران فتعلق قوله تعافوا بكل واحد من العدل والايان قرينة على أن المراد بالنيران السيوف لدلالته على أن جواب هذا الشرط تحاربون وتلجأون إلى الطاعة بالسيوف.

(أو معان ملتزمة) مربوطة بعضها ببعض يكون الجميع قرينة لا كل واحد. وبهذا ظهر فساد قول من زعم أن قوله أو أكثر شامل لقوله أو معان فلا يصح جعله مقابلا له وقسيما.

(كقوله: وصاعقة من نصله) أي: من نصل سيف الممدوح.

(تنكفى بها) من انكفاء أي انقلب والباء للتعدية والمعنى رب نار من حد سيفه يقلبها.

(على أرؤس الأقران خمس سحائب) أي: أنامله الخمس التي هي في الجود وعموم

العطايا سحائب، أي: تصبها على أكفائه في الحرب فيهلكهم بها. ولما استعار السحائب

لأنامل الممدوح ذكر أن هناك صاعقة وبين أنها من نصل سيفه، ثم قال على أرؤس الأقران،

ثم قال خمس فذكر العدد الذي هو عدد الأنامل فظهر من جميع ذلك أنه أراد بالسحائب

الأنامل.

(وهي) أي: الاستعارة.

(باعتبار الطرفين) المستعار منه والمستعار له.

(قسمان لأن اجتماعهما) أي: اجتماع الطرفين.

(في شيء إما ممكن نحو احيناه) في قوله تعالى.

(﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَخْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] أي: ضالا فهديناه) استعار الإحياء من

معناه الحقيقي وهو جعل الشيء حيا للهداية التي هي الدلالة على طريق يوصل إلى المطلوب.

والإحياء والهداية مما يمكن اجتماعهما في شيء واحد.

وهذا أولى من قول المصنف: أن الحياة والهداية مما يمكن اجتماعهما في شيء واحد لأن

المستعار منه هو الإحياء لا الحياة. وإنما قال نحو احيناه لأن الطرفين في استعارة الميت

للضال مما لا يمكن اجتماعهما في شيء إذ الميت لا يوصف بالضلال.

(ولتسم) الاستعارة التي يمكن اجتماع طرفيها في شيء.

(وفاقية) لما بين الطرفين من الاتفاق.

(وإما ممتنع) عطف على إما ممكن.

(كاستعارة اسم الممدوم للموجود لعدم غنائه) هو بالفتح النفع أي لانتفاء النفع في

ذلك الموجود كما في الممدوم.

ولا شك أن اجتماع الوجود والعدم في شيء ممتنع وكذلك استعارة اسم الموجود لمن عدم أو فقد لكن بقيت آثاره الجميلة التي تحمى ذكره وتديم في الناس اسمه.

(ولتسم) الاستعارة التي لا يمكن اجتماع طرفيها في شيء.

(عنادية) لتعاند الطرفين وامتناع اجتماعهما.

(ومنها) أي: من العنادية الاستعارة.

(التهكمية والتعليحية وهما ما استعمل في ضده) أي: الاستعارة.

التي استعملت في ضد معناها الحقيقي.

(أو نقيضه لما مر) أي: لتنزيل التضاد أو التناقص منزلة التناسب بواسطة تلميح أو تهكم

على ما سبق تحقيقه في باب التشبيه.

(نحو: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]) أي: أنذرهم. استعيرت البشارة التي

هي الأخبار بما يظهر سرورا في المخبر له للإنذار الذي هو ضده بادخال الإنذار في جنس

البشارة على سبيل التهكم والاستهزاء وكقولك: رأيت أسدا وأنت تريد جبانا على سبيل

التلميح والظرافة. ولا يخفى امتناع اجتماع التبشير والإنذار من جهة واحدة وكذا الشجاعة

والجبن.

(و) الاستعارة.

(باعتبار الجامع) أي: ما قصد اشتراك الطرفين فيه.

(قسمان لأنه) أي: الجامع.

(ما داخل في مفهوم الطرفين) المستعار له والمستعار منه.

(نحو) قوله عليه الصلاة والسلام خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه.

(كلما سمع هيمة طار إليها) أو رجل في شعبة في غنيمة يعبد الله حتى يأتيه الموت.

قال جار الله: الهيمة الصيحة التي تفزع منها وأصلها من هاع يهيع إذا جبن والشعبة

رأس الجبل والمعنى خير الناس رجل أخذ بعنان فرسه واستعد للجهاد في سبيل الله أو رجل

اعتزل الناس وسكن في رؤس بعض الجبال في غنم له قليل يرعاها ويكتفى بها في أمر معاشه ويعبد الله حتى يأتيه الموت. استعار الطيران للعدو والجامع داخل في مفهومهما.

(فإن الجامع بين العدو والطيران هو قطع المسافة بسرعة وهو داخل فيهما) أي: في مفهوم العدو والطيران إلا أنه في الطيران أقوى منه في العدو. والأظهر أن الطيران هو قطع المسافة بالجنح والسرعة لازمة له في الأكثر لا داخله في مفهومه فالأولى أن يمثل باستعارة التقطيع الموضوع لازالة الاتصال بين الاجسام المتترقة بعضها ببعض لتفريق الجماعة وابعاد بعضها عن بعض في قوله تعالى وقطعناهم في الأرض أعماماً.

والجامع إزالة الاجتماع الداخلة في مفهومهما وهي في القطع أشد، والفرق بين هذا وبين إطلاق المرسلين على الأنف مع أن في كل من المرسن والتقطيع خصوص، وصف ليس في الأنف وتفريق الجماعة هو أن خصوص الوصف الكائن في التقطيع مرعي، وملحوظ في استعارته لتفريق الجماعة بخلاف خصوص الوصف في المرسن.

والحاصل: أن التشبيه ههنا منظور بخلافة ثمة.

فإن قلت: قد تقرر في غير هذا الفن أن جزء الماهية لا يختلف بالشدة والضعف فيكيف يكون جامعا والجامع يجب أن يكون في المستعار منه أقوى.

قلت: امتناع الاختلاف إنما هو في الماهية الحقيقية والمفهوم لا يجب أن يكون ماهية حقيقية، بل قد يكون أمرا مركبا من أمور بعضها قابل للشدة والضعف فيصح كون الجامع داخلا في مفهوم الطرفين مع كونه في أحد المفهومين أشد وأقوى ألا ترى أن السواد جزء من مفهوم الأسود أعني المركب من السواد، والمحل مع اختلافه بالشدة والضعف.

(ولما غير داخل) عطف على إما داخل.

(كما مر) من استعارة الأسد للرجل الشجاع والشمس للوجه المتهلل ونحو ذلك لظهور أن الشجاعة عارض للأسد لا داخل في مفهومه، وكذا التهلل للشمس.

(وأيضا) للاستعارة تقسيم آخر باعتبار الجامع وهو أنها.

(إما عامية وهي المبتذلة لظهور الجامع فيها نحو رأيت أسدا يرمي، أو خاصة وهي الغربية) التي لا يطلع عليها إلا الخاصة الذين أوتوا ذهنًا به ارتفعوا عن طبقة العامة.

(والغربة قد تكون في نفس الشبه) بأن يكون تشبيها فيه نوع غربة.

(كما في قوله) في وصف الفرس بأنه مؤدب وأنه إذا نزل صاحبه عنه وألقى عنائه في

قربوس سرجه وقف مكانه إلى أن يعود إليه.

(وإذا احتبى قربوسه) أي: مقدم سرجه.

(بعنانه) علك الشكيم إلى انصراف الزائر^(١)

الشكيم والشكيمة: هي الحديدية المعارضة في فهم الفرس. وأراد بالزائر نفسه شبه هيئة وقوع العنان في موقعه من قربوس السرج ممتدا إلى جانبي فم الفرس بهيئة وقوع الثوب في موقعه من ركبتَي المحتبى ممتدا إلى جانبي ظهره ثم استعار الاحتباء، وهو أن يجمع الرجل ظهره وساقيه بثوب أو غيره لوقوع العنان في قربوس السرج فجاءت الاستعارة غريبة لغربة التشبيه.

(وقد تحصل) أي: الغربة.

(بتصرف في) الاستعارة.

(١) قاله يزيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان، من قصيدة من الكامل يصف فرساً له بأنه مؤدب، وأنه إذا نزل عنه وألقى عنائه في قربوس سرجه وقف مكانه إلى أن يعود إليه، ونحوه:

عَلَّكَ الشُّكِيمَ إِلَى أَنْصِرَافِ الزَّائِرِ

والقربوس - بفتح الراء، ولا تسكن إلا في ضرورة الشعر - وهو حنو السرج، وهما قربوسان، والعنان بكسر العين سير اللجام الذي تمسك به الدابة، والشكيم، والشكيمة: الحديدية المعارضة في فم الفرس فيها الفأس، وأراد بالزائر نفسه بدليل ما قبله، وهو:

عَوَدَتْهُ فِيمَا أُرْوُ حَبَائِي .. إِنْهَالَهُ وَكَذَكَ كُلَّ مُحَاطِرِ

والشاهد فيه: الاستعارة الخاصة، وهي: الغربة، والغربة قد تكون في نفس الشبه كما في البيت، فإنه شبه هيئة وقوع العنان في موقعه من قربوس السرج ممتداً إلى جانبي فم الفرس بهيئة وقوع الثوب موقعه من ركبة المحتبى، ممتداً إلى جانبي ظهره وساقيه بثوب أو غيره كوقوع العنان في قربوس السرج فجاءت الاستعارة غريبة كغربة المشبه.

(العامية كما في قوله:)

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا (وسالت بأعناق المطي الأباطح)^(١)

جمع أبطح وهو مسيل الماء فيه دقاق الحصى استعار سيلان السيول الواقعة في الأباطح لسير الإبل سيرا حثيثا في غاية السرعة المشتملة على لين وسلاسة والشبه فيها ظاهر عامي لكن قد تصرف فيه بما أفاد اللطف والغرابة.

(١) قائله كثير عزة، من قصيدة من الطويل، وصدرة:

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا

وقبله:

ولما قَضَيْنَا مِنْ مَنَى كُلِّ حَاجَةٍ وَمَسَحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحٌ
وَشُدَّتْ عَلَى حُدْبِ الْمَهَارَى رِحَالَنَا .. وَلَمْ يَنْظُرِ الْغَادِي الَّذِي هُوَ رَائِعٌ
وقيل: الأبيات لابن الطثرية. وذكر الشريف الرضي في كتابه غرر الفرائد قال: أنشدني ابن الأعرابي للمضرب، وهو عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى رحمهم الله تعالى:

وما زِلْتُ أَرْجُو نَفْعَ سَلْمَى وَوُدَّهَا ... وَتَبَعْتُ حَتَّى أَيْضَ مِنْي الْمَسَائِحُ
وَحَتَّى رَأَيْتُ الشَّخْصَ يَزْدَادُ مِثْلَهُ إِلَيْهِ وَحَتَّى نَصَفُ رَأْسِي وَاضْحُ
عَلَا حَاجِبِي الشَّيْبُ حَتَّى كَانَهُ ظِبَاءَ جَزَتْ مِنْهَا سَنَجٌ وَبَارُحُ
وَهَزَّةٌ أَظْعَانٍ عَلَيْهِنَّ بَهْجَةٌ طَلَبْتُ وَرَيْعَانُ الصَّبَا بِي جَامِغُ
فلما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالأركان من هو ماسحُ
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطي الأباطحُ
وَشُدَّتْ عَلَى حُدْبِ لِمَهَارَى رِحَالَهَا وَلَمْ يَنْظُرِ الْغَادِي الَّذِي هُوَ رَائِعُ
فَقُلْنَا عَلَى الْخَوْصِ الْمَرَايِلِ وَازْتَمَّتْ .. بَيْنَ الصَّحَارَى وَالصَّفَاحِ الصَّحَاصِغُ

والأباطح: جمع أبطح، وهو مسيل واسع فيه دقاق الحصى.

والمعنى: لما فرغنا من أداء مناسك الحج، ومسحنا أركان البيت الشريف عند طواف الوداع، وشددنا الرحال على المطايا، وارتحلنا ولم ينظر السائرون في الغداة السائرين في الرواح للاستعجال، أخذنا في الأحاديث وأخذت المطايا في سرعة السير.

والشاهد فيه: حصول الغرابة في الاستعارة العامية بتصرف فيها، فإنه استعار سيلان السيول الواقعة في الأباطح لسير الإبل سيرا عتيقا حثيثا في غاية السرعة المشتملة على لين وسلاسة، والشبه فيها ظاهر عامي، لكنه تصرف فيه بما أفاد اللطف والغرابة حين أسند الفعل وهو سالت إلى الأباطح، دون المطي أو أعناقها، حتى أفاد أنه امتلأت الأباطح من الإبل، وأدخل الأعناق في السير لأن السرعة والبطء في سر الإبل يظهران غالبا في الأعناق، ويتبين أمرهما في الهوادي، ومناثر الأجزاء يستند إليها في الحركة ويتبعها في الثقل والخفة.

(إذ أسند الفعل) أعني سألت.

(إلى الأباطح دون المطى) وأعناقها حتى أفاد أنه امتلأت الأباطح من الإبل كما في قوله تعالى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤].

(أو أدخل الأعناق في السير) لأن السرعة والبطؤ في سير الإبل يظهر أن غالبا في الاعناق ويتبين أمرهما في الهوادي وسائر الأجزاء تستند إليها في الحركة وتتبعها في الثقل والخفة.

(و) الاستعارة.

(باعتبار الثلاثة) المستعار منه والمستعار له والجامع.

(سنة أقسام) لأن المستعار منه والمستعار له إما حسيان أو عقليان أو المستعار منه حسي والمستعار له عقلي، أو بالعكس تصير أربعة، والجامع في الثلاثة الأخيرة عقلي لا غير لما سبق في التشبيه لكنه في القسم الأول إما حسي أو عقلي أو مختلف فتصير ستة وإلى هذا أشار بقوله: (لأن الطرفين إن كانا حسين فالجامع إما حسي نحو قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ جَنَّاتٍ جَسَدًا لَهُ خُورٌ﴾ [طه: ٨٨]. فإن المستعار منه ولد البقرة والمستعار له الحيوان الذي خلقه الله تعالى من حلل القبط) التي سبكتها نار السامري عند إلقائه في تلك الحلل التربة التي أخذها من موطيء فرس جبريل عليه السلام.

(والجامع الشكل) فإن ذلك الحيوان كان على شكل ولد البقرة.

(والجميع) من المستعار منه والمستعار له والجامع.

(حسي) أي: مدرك بالبصر.

(وإما عقلي نحو: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ [يس: ٣٧] فإن المستعار منه)

معنى السليخ وهو.

(كشط الجلد عن نحو الشاة والمستعار له كشف الضوء عن مكان الليل) وهو موضع

إلقاء ظله.

(وهما حسيان واجتماع ما يعقل من ترتب أمر على آخر) أي: حصوله عقيب حصوله دائماً أو غالباً كترتب ظهور اللحم على الكشط وترتب ظهور الظلمة على كشف الضوء عن مكان الليل والترتب أمر عقلي.

وبيان ذلك: أن الظلمة هي الأصل والنور فرع طار عليها يسترها بضوئه فإذا غربت الشمس فقد سلخ النهار من الليل أي كشط وأزيل كما يكشف عن الشيء الشيء الطارئ عليه له فجعل ظهور الظلمة بعد ذهاب ضوء النهار بمنزلة ظهور المسلوخ بعد سلخ اهابه عنه وحيث صدق قوله تعالى فإذا هم مظلّمون، لأن الواقع عقيب إذهاب الضوء عن مكان الليل هو الإظلام.

وأما على ما ذكر في "المفتاح" من أن المستعار له ظهور النهار من ظلمة الليل ففيه اشكال لأن الواقع بعده إنما هو الابصار دون الاظلام.

وحاول بعضهم التوفيق بين الكلامين بحمل كلام صاحب "المفتاح" على القلب أي ظهور ظلمة الليل من النهار أو بأن المراد من الظهور التمييز أو بأن الظهور بمعنى الزوال كما في قول الحماسي:

وذلك عارٍ يا ابن ربيعة ظاهر

وفي قول أبي ذؤيب:

وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

أي: زائل وذكر العلامة في شرح المفتاح أن السلخ قد يكون بمعنى النزع مثل سلخت الإهاب عن الشاة.

وقد يكون بمعنى الإخراج نحو: سلخت الشاة عن الإهاب فذهب صاحب المفتاح إلى الثاني وصرح قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ [يس: ٣٧] بالفاء لأن التراخي وعدمه مما يختلف باختلاف الأمور والعادات وزمان النهار وإن توسط بين إخراج النهار من الليل وبين دخول الظلام لكن لعظم شأن دخول الظلام بعد اضاءة النهار وكونه مما ينبغي أن

يحصل إلا في أضعاف ذلك الزمان من الليل عد الزمان قريبا وجعل الليل كأنه يفاجئهم عقيب إخراج النهار من الليل بلا مهلة.

وعلى هذا حسن إذا المفاجأة كما يقال: أخرج النهار من الليل ففاجأه دخول الليل. ولو جعلنا السلخ بمعنى النزع وقلنا نزع ضوء الشمس عن الهواء ففجأه الظلام لم يستقم أو لم يحسن كما إذا قلنا كسرت الكوز ففاجاه الانكسار فلا يجوز ذلك.

(وأما مختلف) بعضه حسي وبعضه عقلي.

(كقولك: " رأيت شمسا " وأنت تريد إنسانا كالشمس في حسن الطلعة) وهي حسي.

(ونباهة الشأن) وهي عقلية.

(والا) عطف على قوله: وإن كانا حسيين، أي وإن لم يكن الطرفان حسيين.

(فهما) أي: الطرفان.

(إما عقليان نحو قوله تعالى: ﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدًا﴾ [يس: ٥٢]. فإن المستعار منه الرقاد) أي: النوم على أن يكون المرقد مصدرا ميميا وتكون الاستعارة أصلية أو على أنه بمعنى المكان إلا أنه اعتبر التشبيه في المصدر لأن المقصود بالنظر في اسم المكان وسائر المشتقات إنما هو في المعنى القائم بالذات لا نفس الذات واعتبار التشبيه في المقصود الأهم أولى وستسمع لهذا زياده تحقيق في الاستعارة التبعية.

(والمستعار له الموت والجامع عدم ظهور الفعل والجميع عقلي). وقيل عدم ظهور الأفعال في المستعار له أعني الموت أقوى. ومن شرط الجامع أن يكون المستعار منه أقوى فالحق أن الجامع هو البعث الذي هو في النوم اظهر واشهر وأقوى لكونه مما لا شبهة فيه لأحد وقرينة الاستعارة هي كون هذا الكلام كلام الموتى مع قوله هذا ما وعد الرحمن. وصدق المرسلون.

(ولما مختلفان) أي: أحد الطرفين حسي والآخر عقلي.

(والحسي هو المستعار منه نحو قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [التحل: ٩٤]، فإن المستعار منه كسر الزجاج، وهو حسي والمستعار له التبليغ والجامع التأثير وهما عقليان) والمعنى ابن الأمر إبانة أي لا تمنحي كما لا يلثم صدع الزجاجه.
(وإما عكس ذلك) أي: الطرفان مختلفان والحسي هو المستعار له.
(نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١]، فإن المستعار له كثرة الماء وهو حسي والمستعار منه التكثير والجامع الاستعلاء المفرط وهما عقليان و) الاستعارة.

(باعتبار اللفظ) المستعار.

(قسمان لأنه) أي: اللفظ المستعار.

(إن كان اسم جنس) حقيقة أو تأويلا كما في الأعلام المشتهرة بنوع وصفية.

(فاصلية) أي: فالاستعارة أصلية.

(كأسد) إذا استعير للرجل الشجاع.

(وقتل) إذا استعير للضرب الشديد الأول اسم عين والثاني اسم معنى.

(وإلا فتبعية) أي: وأن لم يكن اللفظ المستعار اسم جنس فالاستعارة تبعية.

(كالفعل وما يشق منه) مثل اسمى الفاعل والمفعول والصفة المشبهة وغير ذلك.

(والحرف) وإنما كانت تبعية لأن الاستعارة تعتمد التشبيه والتشبيه يقتضي كون المشبه

موصوفا بوجه الشبه أو بكونه مشاركا للمشبه به في وجه الشبه.

وإنما يصلح للموصوفية الحقائق أي الأمور المتقررة الثابتة كقولك جسم أبيض وبياض

صاف دون معاني الأفعال والصفات المشتقة منها لكونها متجددة غير متقررة بواسطة دخول

الزمان في مفهوم الأفعال وعروضه للصفات دون الحروف وهو ظاهر كذا ذكره.

وفيه بحث: لأن هذا الدليل بعد استقامته لا يتناول اسم الزمان والمكان والآلة لأنها تصلح للموصوفية وهم أيضا صرحوا بأن المراد بالمشتقات هو الصفات دون اسم الزمان والمكان والآلة.

فيجب أن تكون الاستعارة في اسم الزمان ونحو أصلية بأن يقدر التشبيه في نفسه لا في مصدره وليس كذلك للقطع بأننا إذا قلنا هذا مقتل فلان للموضع الذي ضرب فيه ضربا شديدا أو مرقد فلان لقبره فإن المعنى على تشبيه الضرب بالقتل والموت بالرقاد وأن الاستعارة في المصدر لا في نفس المكان.

بل التحقيق أن الاستعارة في الأفعال وجميع المشتقات التي يكون القصد بها إلى المعاني القائمة بالذوات تبعية لأن المصدر الدال على المعنى القائم بالذات هو المقصود الأهم الجدير بأن يعتبر فيه التشبيه وإلا لذكرت الألفاظ الدالة على نفس الذوات دون ما يقوم بها من الصفات.

(فالتشبيه في الأولين) أي: في الفعل وما يشتق منه.

(المعنى المصدر وفي الثالث) أي: الحرف.

(لمتعلق معناه) أي: لما تعلق به معنى الحرف. قال صاحب المفتاح: المراد بمتعلقات معاني الحروف ما يعبر بها عنها عند تفسير معانيها مثل قولنا من معناها ابتداء الغاية وفي معناها الظرفية، وكما معناها الغرض فهذه ليست معاني الحروف وإلا لما كانت حروفا بل أسماء لأن الاسمية والحرفية إنما هي باعتبار المعنى.

وإنما هي متعلقات لمعانيها أي إذا أفادت هذه الحروف معاني ترجع تلك المعاني إلى هذه بنوع استلزام.

فقول المصنف في تمثيل متعلق معنى الحروف:

(كالمجرور في قولنا زيد في نعمة) ليس بصحيح. وإذا كان التشبيه لمعنى المصدر ولمتعلق

معنى الحروف.

(فيقدر) التشبيه.

(في نطقت الحال والحال ناطقة بكذا للدلالة بالنطق) أي: يجعل دلالة الحال مشبها ونطق الناطق مشبها به ووجه الشبه ايضاح المعنى وإيصاله إلى الذهن ثم يستعار للدلالة لفظ النطق ثم يشتق من النطق المستعار الفعل والصفة فتكون الاستعارة في المصدر أصلية وفي الفعل والصفة تبعية وأن اطلق النطق وعلى الدلالة لا باعتبار التشبيه بل باعتبار أن الدلالة لازمة له يكون مجازا مرسلا. وقد عرفت أنه لا امتناع في أن يكون اللفظ الواحد بالنسبة إلى المعنى الواحد استعارة ومجازا مرسلا باعتبار العلاقتين.

(و) يقدر التشبيه.

(في لام التعليل نحو قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ﴾) أي: موسى عليه السلام.
﴿أَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ هُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨] للعداوة) أي: يقدر التشبيه للعداوة.

(والحزن) الحاصلين.

(بعد الالتقاط بعلمته) أي: علة الالتقاط.

(الغائية) كالمحبة والتبني في الترتب على الالتقاط والحصول بعده ثم استعمل في العداوة والحزن ما كان حقه أن يستعمل في العلة الغائية فتكون الاستعارة فيها تبعا للاستعارة في المجرور.

وهذا الطريق مأخوذ من كلام صاحب الكشف ومبني على أن متعلق معنى اللام هو المجرور على ما سبق، لكنه غير مستقيم على مذهب المصنف في الاستعارة المصروفة لأن المتروك يجب أن يكون هو المشبه سواء كانت الاستعارة أصلية أو تبعية. وعلى هذا الطريق المشبه أعني العداوة والحزن مذكور لا متروك.

بل تحقيق استعارة التبعية ههنا أنه شبه ترتب العداوة والحزن على الالتقاط بترتب علمته الغائية عليه ثم استعمل في المشبه اللام الموضوع للمشبه به أعني ترتب علة الالتقاط الغائية

على فجرت الاستعارة أولاً في العلية والفرضية وتبعيتها في اللام كما مر في نطق الحال
فصار حكم اللام حكم الأسد حيث استعيرت لما يشبه العلية وصار متعلق معنى اللام هو
العلية والفرضية لا المجرور على ما ذكره المصنف سهواً. وفي هذا المقام زيادة تحقيق أوردناها
في الشرح.

(ومدار قرينتها) أي: قرينة الاستعارة التبعية.

(في الأولين) أي: في الفعل وما يشتق منه.

(على الفاعل نحو: نطق الحال) بكذا فإن النطق الحقيقي لا يسند إلى الحال.

(أو المفعول نحو: جمع الحق لنا في إمام.

(قتل البخل وأحيا السباحا) "فإن القتل والإحياء الحقيقيين لا يتعلقان بالبخل والجود.

(ونحو نقرهم لهذميات نقد بها) "ما كان خاط عليهم كل زراد. اللهزم من الأسنة

القاطع فاراد بلهذميات طعنات منسوبة إلى الأسنة القاطعة أو أراد نفس الأسنة والنسبة

(١) هو لابن المعتز من قصيدته السابقة في التشبيه وصدره:

جمع الحق لنا في إمام

وبعده قوله:

إن عفا لم يُلغِ لله حقاً أو سَطًا لم يخش منه جناحا

ألف الهيجاء طفلاً وكهلاً .. بحسبُ السيفِ عليه وشاحا

والشاهد فيه: مدار قرينة الاستعارة التبعية على المفعول فإن القتل والإحياء الحقيقيين لا يتعلقان بالبخل
والجود.

(٢) قائله القطامي، ولفظه:

نقرهم لهذميات نُقْدُ بها .. ما كان خاطَ عليهم كلُّ زَرَادٍ

وهو من قصيدة من البسيط يمدح بها زفر بن الحارث الكلابي أولها:

ما اعتادَ حُبُّ سُلَيْمَى غير مُعتادٍ .. ولا تَقْصَى بواقي ذينها الطَّأدي

بيضاء مَحْطُوطَةٌ المَتْنِ بهِ كَنَّةٌ رِيًّا الرُّوَادِفُ لم تمغل بأولادٍ

ما للكَواعِبِ ودَّعْنَ الحَيَاةَ كما .. ودَّعْتَنِي وَاتَّخَذْنَ الشَّيْبَ مِعَادِي

أَبْصَارُهُنَّ إِلَى الشَّبَابِ مَائِلَةٌ وقد أَرَاهُنَّ عَنِي غَيْرَ صَدَادٍ

إذ باطلي لم تَقْشَعُ جَاهِلِيَّتُهُ عَنِي ولم يتركِ الخَلْلَانُ تَقْوَادِي

للمبالغة كأحمرى، والقدر القطع وزرد الدرع وسردها نسجها فالمفعول الثاني أعني لهذميات قرينة على أن تقرّيم استعارة.

(أو المجرور نحو: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الانشقاق: ٢٤]) فإن ذكر العذاب قرينة على أن بشر استعارة تبعية تهكمية. وإنما قال ومدار قرينتها على كذا لأن القرينة لا تنحصر فيما ذكر بل قد تكون حالية كقولك: قتلت زيدا إذا ضربته ضربا شديدا.

(و) الاستعارة.

(باعتبار آخر) غير اعتبار الطرفين والجامع.

واللفظ:

(ثلاثة أقسام) لأنها إما أن تقترب بشيء يلائم المستعار له والمستعار منه أو تقترب بها يلائم المستعار له أو تقترب بها يلائم المستعار منه. الأول.

(مطلقة وهي ما لم تقترب بصفة ولا تفرع) أي: تفرع كلام مما يلائم المستعار له والمستعار منه نحو: عندي أسد.

(والمراد) بالصفة.

(المعنوية) التي هي معنى قائم بالغير.

(لا النعت) النحوي الذي هو أحد التوابع.

كَيْفَ الْحَيِّ مِنْ ذِي الْبَقَّةِ اخْتَمَلُوا .. مُسْتَحْفِينَ فَوَادًا مَا لَهُ فَادِي
باتوا وكانت حَيَاتِي فِي اجْتِمَاعِهِمْ ... فِي تَفَرُّقِهِمْ قَتْلِي وَإِقْصَادِي
يَقْتُلُنَا بِحَدِيثٍ لَيْسَ يَعْلَمُهُ مِنْ يَتَّقِينَ وَلَا مَكُونُهُ بَادِي
فَهْنٌ يَنْبَدُنْ مِنْ قَوْلٍ يَصْبَنُ بِهِ .. مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْعُلَّةِ الصَّادِي

وهي طويلة.

واللهذم: القاطع من الأسنة، وأراد بلهذميات طعنات منسوبة إلى الأسنة القاطعة، أو أراد نفس الأسنة، والتشبيه للمبالغة، والقدر: القطع، والزراد: صانع الدروع.

والشاهد فيه: أن مدار قرينة الاستعارة التبعية في الفعل وما يشتق منه على الفاعل أو المفعول كما هنا، فإن المفعول الثاني - وهو اللهذميات - قرينة على أن تقرّيم استعارة.

(و) الثاني.

مجردة: وهي ما قرن بما يلائم المستعار له كقوله: غمر الرءاء) أي: كثير العطاء استعار الرءاء للعطاء لأنه يصون عرض صاحبه كما يصون الرءاء ما يلقي عليه.
ثم وصفه بالغمر الذي يناسب العطاء دون الرءاء تجريدا للاستعارة والقرينة سياق الكلام أعني قوله.

(إذا تبسم ضاحكا) أي: شارعا في الضحك آخذا فيه. وغمامه:

غلقت بضحكته رقاب المال^(١)

أي إذا تبسم غلقت رقاب امواله في ايدي السائلين. يقال غلق الرهن في يد المرتهن إذا لم يقدر على أنفكاكه.
(و) الثالث.

(مرشحة وهي ما قرن بما يلائم المستعار منه نحو أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم) استعير الاشتراء للاستبدال والاختيار. ثم فرع عليها ما يلائم الاشتراء من الربح والتجارة.
(وقد يجتمعان) أي: التجريد والترشيح.

(١) هو من الكامل. وهو من قصيدة لكثير عزة، وأراد بغمر الرءاء كثير العطاء والشاهد فيه: الاستعارة المجردة، وهي ما قرنت بملائم المستعار له، فإنه استعار الرءاء للعطاء، لأنه يصون عرض صاحبه كما يصون الرءاء ما يلقي عليه، ثم وصفه بالغمر الذي يلائم العطاء دون الرءاء تجريداً للاستعارة، والقرينة سياق الكلام، وهو قوله: "إذا تبسم ضاحكاً" أي شارعاً في الضحك آخذاً فيه، غلقت لضحكته رقاب المال، يقال "غلق الرهن في يد المرتهن" إذا لم يقدر على أنفكاكه، وهو يريد في البيت أن مدوحه إذا تبسم غلقت رقاب امواله في أيدي السائلين.
ومن استعارة الرءاء قوله من الوافر:

يَنَازِعُنِي رِدَائِي عَبْدُ عَمْرٍو .. رُوَيْدُكَ يَا أَخَا عَمْرٍو بَنِي
بَنِي الشَّطْرِ الَّذِي مَلَكَتْ يَمِينِي .. قَدْ دُونَكَ فَاغْتَجَرْتَهُ مِنْ بَشَطْرِ

فإنه استعار الرءاء للسيف، وأثبت له الاعتجار وهو من صفة الرءاء.

(كقوله: لدي أسد شاكي السلاح) هذا تجريد لأنه وصف بما يلائم المستعار له أعني الرجل الشجاع.

(مقذف له لبد أظفاره لم تقلم)^(١) هذا ترشيح لأن هذا الوصف مما يلائم المستعار منه أعني الأسد الحقيقي. واللبد جمع لبدة وهي ما تلبد من شعر الأسد على منكبيه والتقليم مبالغة القلم وهو القطع.

(والترشيح أبلغ) من الإطلاق والتجريد ومن جمع التجريد والترشيح.
(لاشتماله على تحقيق المبالغة) في التشبيه لأن في الاستعارة مبالغة في التشبيه فترشيحها بما يلائم المستعار منه تحقيق ذلك وتقوية له.

(ومبناه) أي: مبنى الترشيح.

(على تناسي التشبيه) وادعاء أن المستعار له نفس المستعار منه لا شيء شبيه به.

(حتى أنه يبني على علو القدر) الذي يستعار له علو المكان.

(ما يبني على علو المكان كقوله:

ويصعد حتى يظن الجهول بأن له حاجة في الساء^(٢)

(١) تقدم قريباً أن قائله زهير بن أبي سلمى، من قصيدة من الطويل واللبد بالكسر شعر زبرة الأسد، وكنيته أبو لبد، والتقليم: مبالغة القلم وهو قطع الأظفار.

والشاهد فيه: اجتماع التجريد والترشيح في الاستعارة، فالتجريد قد عرف قبله، والترشيح هو: ما قرن بملامة المستعار منه، فقوله هنا لدى أسد شاكي السلاح، تجريد، لأنه وصف يلائم المستعار له وهو الرجل الشجاع، وباقي البيت ترشيح لأنه وصف يلائم المستعار منه، وهو الأسد الحقيقي.

ومعنى البيت أخذه زهير من قول أوس بن حجر حيث قال من الطويل:

لَعَمْرُكَ إِنَّا وَالْأَحَالِفَ هُوَلَا .. لَفِي حَقِيقَةِ أَظْفَارِهَا لَمْ تُقَلِّمْ

(٢) البيت لأبي تمام الطائي، من قصيدة من المتقارب يرثي بها خالد بن يزيد الشيباني ويذكر أباه، وأولها:

نَعْيَاءُ إِلَى كُلِّ حَيٍّ نَعَاءٌ ... فَتَى الْعَرَبِ اخْتَطَّ رَيْعُ الْفَنَاءِ

أَصْبَنَّا جَمِيعاً بِسَهْمِ النَّضَالِ .. فَهَلَا أَصْبَنَّا بِسَهْمِ الْغَلَاءِ

أَلَا أَيُّهَا الْمَوْتُ فَجَعَلْتَنَا بِيَاءِ الْحَيَاةِ وَمَاءِ الْحَيَاءِ

فَمَاذَا حَيَّوَتْ بِهِ حَاضِرًا وَمَاذَا نَحَبَاتٍ لِأَهْلِ الْخَبَاءِ

استعار الصعود لعلو القدر والارتقاء في مدارج الكمال ثم بنى عليه ما بينى على علو المكان والارتقاء إلى السماء من ظن الجهول أن له حاجة في السماء.

وفي لفظ الجهول زيادة مبالغة في المدح لما فيه من الإشارة إلى أن هذا إنما يظنه الجهول وأما العاقل فيعرف أنه لا حاجة له في السماء لا تضافه بسائر الكمالات.

وهذا المعنى مما خفي على بعضهم فتوهم أن في البيت تقصيرا في وصف علوه حيث أثبت هذا الظن للكمال الجهل بمعرفة الأشياء.

(ونحو) أي: مثل البناء على علو القدر ما بينى على علو المكان لمتناسي التشبيه.

(ما مر من التعجب) في قوله:

قامت تظللني ومن عجب شمس تظللني من الشمس

(والنهي عنه) أي: عن التعجب في قوله:

لا تعجبوا من بلى غلالته قد زر أزراره على القمر

=

نعاء نعاء شقيق الندى إليه نعيًا قليل الجداء

وكانا زمانًا شريكي عنان .. رضيعي ليان خليلي صفاء

إلى أن قال يخاطب ولده:

أبا جعفر ليُعزَّكَ الزَّما نُ عزَّا ويخُسُّكَ طول البقاء

فما مُزُّنُكَ المُرَّحَى بالجَهَّام ولا رِيحُنا منك بالجَزِيَّاء

فَلَا رَجَعْتَ فيكَ تلك الظنون .. حيازَى ولا انْسَدَّ شِعْبُ الرجاء

وقد نُكِيَ الثُّغْرَ فابعت له .. صُدُورَ القَنَا في ابْتِغَاء الشُّفاء

فَقَدْ ماتَ جَدُّكَ جد الملوك .. ونجمُ أَيْكَ حَدِيثُ الضياء

ولم يَرُضْ قَبَضَتُهُ للحسام ولا خَمَلُ عاتقه لِلْوَأاء

فما زال يقرعُ فَلَكَ العُلا مع النجم مرثدياً بالعِماء

وبعده البيت، وهي قصيدة طويلة، وهذا البيت في مدح أبيه وذكر علوه.

والشاهد فيه: أن مبنى الترشيح على تناسي التشبيه، حتى أن المرشح بينى على علو القدر الذي يستعار له علو المكان ما بينى على علو المكان والارتقاء إلى السماء، فلولا أن قصده أن يتناسى التشبيه ويصر على أنكاره فيجعله صاعداً في السماء من حيث المسافة المكانية لما كان لهذا الكلام وجه.

إذ لو لم يقصد تناسي التشبيه وانكاره لما كان للتعجب والنهي عنه جهة على ما سبق، ثم أشار إلى زيادة تقرير لهذا الكلام فقال.

(وإذا جاز البناء على الفرع) أي: المشبه به.

(من الاعتراف بالأصل) أي: المشبه. وذلك لأن الأصل في التشبيه وإن كان هو المشبه به من جهة أنه أقوى وأعرف إلا أن المشبه هو الأصل من جهة أن الغرض يعود إليه وأنه المقصود في الكلام بالنفي والإثبات.

(كما في قوله:

هي الشمس مسكنها في السماء فعز)

أمر من عزاء حمله على العزاء وهو الصبر.

(الفؤاد عزاء جميلا فلن تستطيع)

أنت (إليها) أي: إلى الشمس الصعود ولن تستطيع الشمس.

(إليك النزولا)^(١) والعامل في إليها وإليك هو المصدر بعد هما إن جوزنا تقديم الظرف

على المصدر وإلا فمحذوف يفسره الظاهر.

(١) البيتان للعباس بن الأحنف، من المتقارب.

والشاهد فيهما: جواز البناء على الفرع - وهو المشبه به - مع جحد الأصل وهو المشبه، لأنه هنا طوى ذكر الأصل، وجعل الكلام خلواً منه، ويسمى هذا المجاز المفرد، ومنه قول الفرزدق من الطويل:

أبى أحمد الغيثين صعصعة الذي .. متى تبخل الجوزاء والدلو يُمطر

وقل عدي بن الرقاع يصف حمارين وحشين من الكامل:

يتعاوران من الغبار ملاءة .. بيضاء محكمة إذا نسجاها

تطوى إذا ورذا مكاناً محزوناً .. وإذا السناكب أسهلت نشرها

وقول سعيد الكاتب التستري النصراني من مجزوء الخفيف:

قلبت زوري فأرسلت .. أنا آتيك سحرة

قلت فالليل كان ... أخفى وأدنى مسره

فأجابت بحجة ... رادت القلب حسرة

أنا شمس وإنما تطلع الشمس بكرة.

فقله: هي الشمس تشبيه لا استعارة وفي التشبيه اعتراف بالمشبه ومع ذلك فقد بنى الكلام على المشبه به أعني الشمس وهو واضح. فقله وإذا جاز البناء شرط جوابه قوله.

(فمع جرده) أي: جحد الأصل كما في الاستعارة البناء على الفرع.

(أولى) بالجواز لأنه قد طوى فيه ذكر المشبه أصلا وجعل الكلام خلوا عنه ونقل الحديث إلى المشبه به. وقد وضع في بعض اشعار العجم النهي عن التعجب من التصريح بأداة التشبيه. وحاصله لا تعجبوا من قصر ذوائبه فإنها كالليل، ووجهه كالربيع والليل في الربيع مائل إلى القصر. وفي هذا المعنى من الغرابة والملاحة بحيث لا يخفى.

(وأما المجاز).

(المركب فهو اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي) أي: بالمعنى الذي يدل عليه ذلك اللفظ بالمطابقة.

(تشبيه التمثيل) وهو ما يكون وجهه منتزعا من متعدد واحترز بهذا على الاستعارة في المفرد.

(للمبالغة) في التشبيه.

(كما يقال للمتردد في أمر إني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى) شبه صورة تردده في ذلك الأمر بصورة تردد من قام ليذهب فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلا وتارة لا يريد فيؤخر أخرى. فاستعمل في الصورة الأولى الكلام الدال بالمطابقة على الصورة الثانية ووجه الشبه وهو الاقدام تارة والاحجام أخرى منتزع من عدة أمور كما ترى.

(وهذا) المجاز المركب.

(يسمى التمثيل) لكون وجهه منتزعا من متعدد.

(على سبيل الاستعارة) لأنه قد ذكر فيه المشبه به وإريد المشبه كما هو شأن الاستعارة.

(وقد يسمى التمثيل مطلقا) من غير تقييد بقولنا على سبيل الاستعارة ويمتاز عن

التشبيه بأن يقال له تشبيه تمثيل أو تشبيه تمثيلي.

وفي تخصيص المجاز المركب بالاستعارة نظر لأنه كما أن المفردات موضوعة بحسب الوضع الشخصي فالمركبات موضوعة بحسب النوع فإذا استعمل المركب في غير ما وضع له فلا بد من أن يكون ذلك بعلاقة فإن كانت هي المشابهة فاستعارة وإلا فغير استعارة وهو كثير في الكلام كالجمل الخيرية التي لم تستعمل في الأخبار.

(ومنى فشا استعماله) أي: للمجاز المركب.

(كذلك) أي: على سبيل الاستعارة.

(يسمى مثلاً ولهذا) أي: ولكون المثل تمثيلاً فشا استعماله على سبيل الاستعارة.

(لا تغير الأمثال) لأن الاستعارة يجب أن يكون لفظ المشبه به المستعمل في المشبه. فلو

غير المثل لما كان لفظ المشبه به بعينه فلا يكون استعارة فلا يكون مثلاً.

ولهذا لا يلتفت في الأمثال إلى مضاربها تذكيراً وتأنيثاً وأفراداً وتثنية وجمعاً بل إنما ينظر

إلى مواردّها كما يقال للرجل بالصيف ضعيت اللبن بكسر تاء الخطاب لأنه في الأصل

للامرأة.

فصل في بيان

الاستعارة بالكناية والاستعارة التخيلية

ولما كانتا عند المصنف أمرين معنويين غير داخليين في تعريف المجاز أوردتهما على حدة ليستوفي المعاني التي يطلق عليها لفظ الاستعارة فقال:

(قد يضمّر التشبيه في النفس فلا يصح بشيء من أركانه سوى المشبه) وأما وجوب ذكر المشبه به فإنما هو في التشبيه المصطلح عليه، وقد عرفت أنه غير الاستعارة بالكناية. (ويدل عليه) أي: على ذلك التشبيه المضمّر في النفس.

(بأن يثبت للمشبه أمر يختص بالمشبه به) من غير أن يكون هناك أمر متحقق حساً أو عقلاً يطلق عليه اسم ذلك الأمر.

(فيسمى التشبيه) المضمّر في النفس.

(استعارة بالكناية أو مكنياً عنها) إما الكناية فلأنه لم يصح به بل إنها دل عليه بذكر خواصه ولوازمه وأما الاستعارة فمجرد تسمية خالية عن المناسبة. (و) يسمى.

(إثبات ذلك الأمر) المختص بالمشبه به.

(للمشبه استعارة تخيلية) لأنه قد استعير للمشبه ذلك الأمر الذي يختص المشبه به وبه يكون كمال المشبه به أو قوامه في وجه الشبه ليخيل أن المشبه من جنس المشبه به. (كما في قول الهذلي: وإذا المنية انشبت) أي: علفت.

(أظفارها)^(١) ألفت كل نيمة لا تنفع. التيممة الخرزة التي تجعل معاذة أي تعويذاً أي إذا علق الموت مخله في شيء ليذهب به بطلت عنده الحيل.

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي، من قصيدة من الكامل، قالها وقد هلك له خمس بنين في عام واحد، وكانوا فيمن هاجر إلى مصر، فراثهم بهذه القصيدة، وأولها:

أمن المتون ورَبِّها تتوجّع .. والدهر ليس بمُعْتَبٍ مَنْ يَجْزَعُ

(شبه) الهذلي في نفسه.

(المنية بالسبع في اغتيال النفوس بالقهر والغلبة من غير تفرقة بين نفاع وضرار) ولا رقة

لمرحوم ولا بقيا على ذى فضيلة.

(فأثبت لها) أي: للمنية.

(الأظفار التي لا يكمل ذلك) الاغتيال.

(فيه) أي: في السبع.

قالت أمانة ما لجسمك شاحباً .. منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع
أم ما لجسمك لا يلائم مضجعاً .. إلا أقض عليك ذاك المضجع
فاجتبتها أما لجسمي أنه أودى بئني من البلاد فودعوا
أودى بئني فأعقبوني حسرة عند الرقاد وعبرة لا تُقلع
فالعين بعدهم كأن حدائقها كُجِلت بشوك فيه عورٌ تدمع
فغَبَرْتُ بعدهم بعيش ناصب وإخال أني لاحقٌ مستنقع
سبقوا هوى وأعنفوا هواهم ... فتخَرَمُوا ولكل جنب مضرع
ولقد حرصتُ بأن أدافع عنهم فإذا المنية أقبلت لا تُدفع

ويعده البيت، ويعده:

وتجلدي للشامتين أريهم ... أني لريب الدهر لا أتضعع
حتى كاني للحوادث مَرَوَّةٌ ... بصفا المشرق كل يوم تُفرع
والدهر لا يَبْقَى على حَدَثَانِهِ .. جَوْنُ السَّراةِ له جدائد أريع

يروى أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما استأذن على معاوية في مرض موته ليعوده، فادهن واكتحل، وأمر أن يعقد ويسند، وقال: اتذّنوا، وليسلم قائماً ولينصرف، فلما سلم عليه وولى، أنشد معاوية قول الهذلي في هذه القصيدة: وتجلدي للشامتين.. البيت. فأجابه ابن عباس على الفور: وإذا المنية أنشبت.. البيت. ثم خرج من داره حتى سمع الناعية عليه.

والشاهد فيه: الاستعارة بالكناية، والاستعارة التخيلية، فهو هنا شبه في نفسه المنية بالسبع في اغتيال النفوس بالقهر والغلبة من غير تفرقة بين نفاع وضرار ولا رقة لمرحوم، فأثبت لها الأظفار التي لا يكمل الاغتيال في السبع بدونها تحقيقاً للمبالغة في التشبيه، فتشبه المنية بالسبع استعارة بالكناية، وإثبات الأظفار لها استعارة تخيلية.

وأبو ذؤيب اسمه: خويلد بن خالد بن محرث بن زبيد بن مخزوم، ينتهي نسبه لنزار، وهو أحد المخضرمين ممن أدرك الجاهلية والإسلام، ولم تثبت له رؤية.

(بدونها) تحقيقا للمبالغة في التشبيه. فتشبيه المنية بالسبع استعارة بالكناية وإثبات الأظفار لها استعارة تخيلية.

(وكما في قول الآخر:

ولئن نطقت بشكر برك مفصحا فلسان حالي بالشكاية أنطق^(١)

شبه الحال بإنسان متكلم في الدلالة على المقصود) وهو استعارة بالكناية.

(فأثبت لها) أي: للحال.

(اللسان الذي به قوامها) أي: قوام الدلالة.

(فيه) أي: في الإنسان المتكلم. وهذا الإثبات استعارة تخيلية، فعلى هذا كل من لفظي الأظفار والمنية حقيقة مستعملة في معناها الموضوع له وليس في الكلام مجاز لغوي. والاستعارة بالكناية والاستعارة التخيلية فعلان من أفعال المتكلم متلازمان إذ التخيلية يجب أن تكون قرينة للمكنية البتة والمكنية يجب أن تكون قرينتها تخيلية البتة فمثل قولنا: (أظفار المنية المشبهة بالسبع أهلك فلانا) يكون ترشيحا للتشبيه كما أن أطولكن في قوله عليه السلام أسرعن لحوقا بي أطولكن يدا أي نعمة ترشيح للمجاز هذا، ولكن تفسير الاستعارة بالكناية بما ذكره المصنف شيء لا مستند له في كلام السلف ولا هو مبني على مناسبة لغوية ومعناها المأخوذ من كلام السلف هو: أن لا يصرح بذكر المستعار بل بذكر رديفه ولازمه الدال عليه فالمقصود بقولنا أظفار المنية استعارة السبع للمنية كاستعارة الأسد للرجل الشجاع.

إلا أنا لم نصرح بذكر المستعار أعني السبع بل اقتصرنا على ذكر لازمه وهو الأظفار لينتقل منه إلى المقصود كما هو شأن الكناية فالمستعار هو لفظ السبع الغير المصرح به والمستعار منه هو الحيوان المفترس والمستعار له هو المنية.

(١) البيت من الكامل، ولا أعرف قائله.

والشاهد فيه: ما في البيت قبله، فإنه شبه الحال بإنسان متكلم في الدلالة على المقصود، وهذا هو الاستعارة بالكناية، فأثبت لها اللسان الذي له قوام الدلالة في الإنسان المتكلم، وهذه الاستعارة التخيلية.

قال صاحب الكشف: إن من أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا إليه بذكر شيء من رواده فينبهوا بذلك الرمز على مكانه نحو: شجاع يفترس افتراسه. ففيه تنبيه على أن الشجاع أسد. هذا كلامه وهو صريح في أن المستعار هو اسم المشبه به المتروك صريحا المرموز إليه بذكر لوازمه، وسيجيء الكلام على ما ذكره السكاكي.

(وكذا قول زهير: صحا) أي: سلا مجازا من الصحو خلاف السكر.

(القلب عن سلمى وأقصر باطله)

يقال: أقصر عن الشيء إذا اقلع عنه أي تركه وامتنع عنه أي امتنع باطله عنه وتركه بحاله.

(وعرى أفراس الصبا ورواحله)^(١)

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى، وهو أول قصيدة من الطويل، وبعده:
وأقصرْتُ عما تعلمين وسُدْتُ .. عليّ سوى قصد السبيل معاوِدُهُ
إلى أن يقول فيها:

فقلنا له أبصر وسُدَّ طريقُهُ وما هو فيه عن وصاتي شاغلُهُ
وقلت تعلم أن في الصيد غِرَّةٌ وإن لا تضيعه فإنك قاتلُهُ
فاتبع آثار الشياهِ وليدُنَا كشقوب غيث يحفش الأكمَ وابلُهُ
نظرت إليه نظرة فرأيتُهُ على كل حال مرة وهُوَ حاملُهُ

وهي طويلة.

يقال: أقصر عن الشيء، بمعنى انتهى أو عجز عنه.

والشاهد فيه: ما في البيت قبله أيضاً، فإنه أراد أن يبين أنه ترك ما كان يرتكبه من المحبة زمن الجهل والغى، وأعرض عن معاودته فطلبت آلائه، فشبه في نفسه الصبا بجهة المسير كالبحر والتجارة قضى منها الوطر فأهملت آلائها.

ووجه الشبه: الاشتغال التام به وركوب المهامه والمسالك الصعبة غير مبال بمهلكة ولا متحرز عن معركة. وهذا التشبيه المضمّر في النفس استعارة بالكناية أثبت له بعض ما يختص بتلك الجهة - وهي الأفراس والرواحل التي بها قوام السير والسفر - فإثبات الأفراس والرواحل استعارة تخيلية، والصبا على هذا من الصبوة بمعنى الميل إلى الجهل والفتوة، ويحتمل أنه أراد بالأفراس والرواحل دواعي النفس وشهواتها

أراد) زهير.

(أن يبين أنه ترك ما كان يرتكبه زمن المحبة من الجهل والغبي، وأعرض عن معاودته فبطلت آلاته) الضمير في معاودته وآلاته لما كان يرتكبه.

(فشبه) زهير في نفسه.

(الصبا بجهة من جهات المسير كالحج والتجارة قضى منها) أي: من تلك الجهة.

(الوطر فأهملت آلتها) ووجه الشبه الاشتغال التام وركوب المسالك الصعبة فيه غير

مبال بمهلكة ولا محترز عن معركة، وهذا التشبيه المضمّر في النفس استعارة بالكناية.

(فأثبت له) أي: للصبا بعض ما يختص تلك الجهة أعني.

(الأفراس والرواحل) التي بها قوام جهة المسير والسفر. فائبات الأفراس والرواحل

استعارة.

(فالصبا) على هذا التقدير.

(من الصبوة بمعنى الميل إلى الجهل والفتوة) يقال صبا يصبو صبوا أي مال إلى الجهل

والفتوة كذا في الصحاح لامن الصباء بالفتح والمد يقال صبى صباء مثل سمع سماعاً أي

لعب مع الصبيان.

(ويحتمل أنه) أي: زهير.

(أراد) بالأفراس والرواحل.

(دواعي النفوس وبشواتها والقوى الحاصلة لها في استيفاء اللذات أو أراد بها الأسباب

التي قلما تتخذ في اتباع الغي إلا أوان الصبا) وعنفوان الشباب مثل المال والمثال والاحوان

والأعوان.

=

والقوى الحاصلة لها في استيفاء اللذات، أو أراد بها الأسباب التي قلما تتخذ في اتباع الغي إلا أوان الصبا وعنفوان الشباب فتكون استعارة الأفراس والرواحل لتحقيق معناها عقلاً إذا أريد بها الدواعي وحساً إذا أريد بها اتباع أسباب الغي.

(فتكون الاستعارة) أي: استعارة الأفراس والرواحل.

(تحقيقية) لتحقق معناها عقلا إذا أريد بهما الدواعي وحسا إذا أريد بهما أسباب اتباع

الغي من المال والمنال مثل المصنف أمثلة:

الأول: ما تكون التخيلية إثبات ما به كمال المشبه به.

والثاني: ما تكون إثبات ما به قوام المشبه به.

والثالث: ما يحتمل التخيلية والتحقيقية.

(فصل)

في مباحث من الحقيقة والمجاز

والاستعارة بالكناية والاستعارة التخيلية وقعت في المفتاح مخالفة لما ذكره المصنف والكلام عليها.

(عرف السكاكي الحقيقة اللغوية) أي: غير العقلية.

(بالكلمة المستعملة فيما وضعت هي له من غير تأويل في الوضع واحترز بالقيد الأخير) وهو قوله من غير تأويل في الوضع.

(عن الاستعارة على أصح القولين) وهو القول بأن الاستعارة مجاز لغوي لكونها مستعملة في غير الموضوع له الحقيقي فيجب الاحتراز عنها، وأما على القول بأنها مجاز عقلي واللفظ مستعمل في معناه اللغوي فلا يصح الاحتراز عنها.

(فإنها) أي: إنما وقع الاحتراز بهذا القيد عن الاستعارة لأنها.

(مستعملة فيما وضعت له بتأويل) وهو ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به بجعل أفراده قسمين متعارفا وغير متعارف.

(وعرف) السكاكي.

(المجاز اللغوي بالكلمة) في غير ما هي موضوعه له بالتحقيق استعمالا في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في ذلك النوع.

وقوله بالنسبة متعلق بالغير واللام في الغير للعهد أي المستعملة في معنى غير المعنى الذي الكلمة موضوعه له في اللغة أو الشرع غيرا بالنسبة إلى نوع حقيقة تلك الكلمة حتى لو كان نوع حقيقتها لغويا يكون الكلمة قد استعملت في غير معناها اللغوي فيكون مجازا لغويا.

وعلى هذا القياس ولما كان هذا القيد بمنزلة قولنا في اصطلاح به التخاطب مع كون هذا أوضح وأدل على المقصود أقام المصنف مقام أخذا بالحاصل من كلام السكاكي فقال:

(في غير ما وضعت له بالتحقيق في اصطلاح به التخاطب مع قرينة مانعة عن إرادته)
أي: إرادة معناها في ذلك الاصطلاح.

(وأنتي) السكاكي.

(بقيد التحقيق) حيث قال موضوعه له بالتحقيق.

(لتدخل) في تعريف المجاز.

(الاستعارة) التي هي مجاز لغوي.

(على ما مر) من أنها مستعملة فيما وضعت له بالتأويل لا بالتأويل لا بالتحقيق، فلو لم يقيد الوضع بالتحقيق لم تدخل هي في التعريف لأنها ليست مستعملة في غير ما وضعت له بالتأويل.

وظاهر عبارة صاحب المفتاح ههنا فاسد لأنه قال: وقولي بالتحقيق احتراز عن أن لا تخرج الاستعارة وظاهر: أن الاحتراز إنما هو عن خروج الاستعارة لا عن عدم خروجها فيجب أن تكون لا زائدة، أو يكون المعنى احترازاً لئلا تخرج الاستعارة.
(ورد) ما ذكره السكاكي.

(بأن الوضع) وما يشتق منه كالموضوعة مثلاً.

(إذا أطلق لا يتناول الوضع بتأويل). لأن السكاكي نفسه قد فسر الوضع بتعيين اللفظ بازاء المعنى بنفسه وقال: وقولي بنفسه احتراز عن المجاز المعين بإزاء معناه بقرينة ولا شك أن دلالة الأسد على الرجل الشجاع إنما هو بالقرينة فحيث لا حاجة إلى تقييد ذلك الوضع في تعريف الحقيقة بعدم التأويل وفي تعريف المجاز بالتحقيق. اللهم إلا أن يقصد زيادة الإيضاح لا تتميم الحد.

ويمكن الجواب بأن السكاكي لم يقصد أن يطلق الوضع بالمعنى الذي ذكره يتناول الوضع بالتأويل بل مراده أنه قد عرض للفظ الوضع اشتراك بين المعنى المذكور وبين الوضع

بالتأويل كما في الاستعارة فقيده بالتحقيق ليكون قرينة على أن المراد بالوضع معناه المذكور لا المعنى الذي يستعمل فيه أحيانا وهو الوضع بالتأويل.

وبهذا يخرج الجواب عن سؤال آخر وهو أن يقال لو سلم تناول الوضع للوضع بالتأويل فلا تخرج الاستعارة أيضا لأنه يصدق عليها أنها مستعملة في غير ما وضعت له في الجملة أعني الوضع بالتحقيق إذ غاية ما في الباب أن الوضع يتناول الوضع بالتحقيق والتأويل لكن لا جهة لتخصيصه بالوضع بالتأويل فقط حتى تخرج الاستعارة البتة.
(و) رد أيضا ما ذكره.

(بأن التقييد باصطلاح به التخاطب) أو ما يؤدي معناه.

(كما لا بد منه في تعريف المجاز) ليدخل فيه نحو لفظ الصلاة إذا استعمله الشارع في الدعاء مجازا كذلك.

(لا بد منه في تعريف الحقيقة) أيضا ليخرج عنه نحو هذا اللفظ لأنه مستعمل فيما وضع له في الجملة وأن لم يكن ما وضع له في هذا الاصطلاح.

ويمكن الجواب: بأن قيد الحقيقة مراد في تعريف الأمور التي تختلف باختلاف الاعتبار والاضافات.

ولا يخفى أن الحقيقة والمجاز كذلك لأن الكلمة الواحدة بالنسبة إلى المعنى الواحد قد تكون حقيقة وقد تكون مجازا بحسب وضعين مختلفين، فالمراد أن الحقيقة هي الكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له من حيث إنها موضوعة له لا سيما أن تعليق الحكم بالوصف مفيد لهذا المعنى كما يقال الجواد لا ينبغي سائله أي من حيث إنه جواد.

وحينئذ يخرج عن التعريف مثل لفظ الصلاة المستعمل في عرف الشرع في الدعاء لأن استعماله في الدعاء ليس من حيث إنه موضوع الدعاء بل من حيث أن الدعاء جزء من الموضوع له، وقد يجاب بأن قيد اصطلاح به التخاطب مراد في تعريف الحقيقة لكنه اكتفى بذكره في تعريف المجاز لكون البحث عن الحقيقة غير مقصود بالذات في هذا الفن وبيان

اللام في الوضع للعهد أي الواضع الذي وقع به التخاطب فلا حاجة إلى هذا القيد وفي كليهما نظر.

واعترض أيضا على تعريف المجاز بأنه يتناول الغلط لأن الفرس في خذ هذا الفرس مشيرا إلى كتاب بين يديه مستعمل في غير ما وضع له والاشارة إلى الكتاب قرينة على أنه لم يرد بالفرس معناه الحقيقي.

(وقسم) السكاكي.

(المجاز اللغوي) الراجع إلى معنى الكلمة المتضمن للفائدة.

(إلى الاستعارة وغيرها) بأنه أن تضمن المبالغة في التشبيه فاستعارة وإلا فغير استعارة.

(وعرف) السكاكي.

(الاستعارة بأن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به) أي: بالطرف المذكور.

(الآخر) أي: الطرف المتروك.

(مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به) كما تقول في الحمام أسد وأنت تريد به الرجل الشجاع مدعيا أنه من جنس الأسد فتثبت له ما يختص السبع المشبه به وهو اسم جنسه وكما تقول انشبت المنية أظفارها.

وأنت تريد بالمنية السبع بادعاء السبعية لها فتثبت لها ما يختص السبع المشبه به وهو الأظفار ويسمى المشبه به سواء كان هو المذكور أو المتروك مستعارا منه ويسمى اسم المشبه به مستعارا ويسمى المشبه بالمشبه به مستعارا له.

(وقسمها) أي: الاستعارة.

(إلى المصرح بها والمكنى عنها وعن المصريح بها أن يكون) الطرف.

(المذكور) من طرفي التشبيه.

(هو المشبه به وجعل منها) أي: من الاستعارة المصريح بها.

(تحقيقية وتخيلية) وإنما لم يقل قسمها إليهما؛ لأن المتبادر إلى الفهم من التحقيقية والتخيلية ما يكون على الجزم وهو قد ذكر قسما آخر سماه المحتملة للتحقيق والتخيل كما ذكر في بيت زهير.

(وُفسر التحقيقية بما مر) أي: بما يكون المشبه المتروك متحققا حسا أو عقلا.
(وعد التمثيل) على سبيل الاستعارة كما في قولك: إني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى.
(منها) أي: من التحقيقية حيث قال في قسم الاستعارة المصريح بها التحقيقية مع القطع ومن الأمثلة استعارة وصف إحدى صورتين منتزعتين من أمور لوصف صورة أخرى.
(ورد) ذلك (بأنه) أي: التمثيل.

(مستلزم للتركيب المتنافي للأفراد) فلا يصح عده من الاستعارة التي هي من أقسام المجاز المفرد لأن تنافي اللوازم يدل على تنافي الملزومات وإلا لزم اجتماع المتنافيين ضرورة وجود اللازم عند وجود الملزوم.

والجواب: أنه عد التمثيل قسما من مطلق الاستعارة التصريحية التحقيقية لا من الاستعارة التي هي مجاز مفرد وقسمة المجاز المفرد إلى الاستعارة وغيرها لا توجب كون كل استعارة مجازا مفردا كقولنا: الأبيض إما حيوان أو غيره، والحيوان قد يكون أبيض وقد لا يكون على أن لفظ المفتاح صريح في أن المجاز الذي جعله منقسما إلى أقسام ليس هو المجاز المفرد المفسر بالكلمة المستعملة في غير ما وضعت له؛ لأنه قال بعد تعريف المجاز: إن المجاز عند السلف قسمان لغوي وعقلي، واللغوي قسمان راجع إلى معنى الكلمة وراجع إلى حكم الكلمة والراجع إلى المعنى قسمان خال عن الفائدة ومتضمن لها والمتضمن للفائدة قسمان استعارة وغير استعارة.

وظاهر أن المجاز العقلي والراجع إلى حكم الكلمة خارجان عن المجاز بالمعنى المذكور فيجب أن يريد بالراجع إلى معنى الكلمة أعم من المفرد والمركب ليصح الحصر في القسمين.

وأجيب بوجه آخر:

الأول: أن المراد بالكلمة اللفظ الشامل للمفرد والمركب نحو كلمة الله.

والثاني: أنا لا نسلم أن التمثيل يستلزم التركيب بل هو استعارة مبنية على التشبيه

التمثيلي وهو قد يكون طرفاه مفردين كما في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ الآية [البقرة: ١٧].

والثالث: أن إضافة الكلمة إلى شيء أو تقييدها واقترانها بألف شيء لا يخرجها عن أن

تكون كلمة فالاستعارة في مثل إنى أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى هو التقديم المضاف إلى الرجل المقترن بتأخيره أخرى والمستعار له هو التردد فهو كلمة في غير ما وضعت له. وفي الكل نظر أوردناه في الشرح.

(وفسير) السكاكي الاستعارة.

(التخييلية بما لا تحقق لمعناه حسا ولا عقلا بل هو) أي: معناه.

(صورة وهمية محضة) لا يشعر بها شيء من التحقق العقلي أو الحسي.

(كلفظ الأظفار في قول الهذلي).

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل غيمسة لا تنفع

(فإنه لما شبه المنية بالسبع في الاغتيال أخذ الوهم في تصويرها) أي: المنية.

(بصورته) أي: السبع.

(واختراع لوازمه لها) أي: لوازم السبع للمنية وعلى الخصوص ما يكون قوام اغتيال

السبع للنفوس به.

(فاخترع لها) أي: للمنية صورة.

(مثل صورة الأظفار) المحققة.

(ثم أطلق عليه) أي: على ذلك المثل أعني الصورة التي هي مثل صورة الأظفار.

(لفظ الأظفار) فيكون استعارة تصريحية لأنه قد اطلق اسم المشبه به وهو الأظفار المحققة على المشبه، وهو صورة وهمية شبيهة بالسبع فصرح بالتشبيه لتكون الاستعارة في الأظفار فقط من غير استعارة بالكناية في المنية. وقال المصنف: إنه بعيد جدا لا يوجد له مثال في الكلام.

(وفيه) أي: في تفسير التخيلية بما ذكره.

- (تعسف) أي: أخذ على غير الطريق لما فيه من كثرة الاعتبارات التي لا تدل عليها دليل ولا تمس إليها حاجة، وقد يقال: إن التعسف فيه هو إنه لو كان الأمر كما زعم لوجب أن تسمى هذه الاستعارة توهية لا تخيلية.

وهذا في غاية السقوط؛ لأنه يكفى في التسمية أدنى مناسبة على أنهم يسمون حكم الوهم تخيلا ذكر في الشعاء أن القوة المسماة بالوهم هي الرئيسة الحاكمة في الحيوان حكما غير عقلي ولكن حكما تخيليا.

(ويخالف) تفسيره للتخيلية بما ذكره.

(تفسير غيره لها) أي: غير السكاكي للتخيلية.

(بجعل الشيء للشيء) كجعل اليد للشمال وجعل الأظفار للمنية.

قال الشيخ عبد القاهر: أنه لا خلاف في أن اليد استعارة ثم أنك لا تستطيع أن تزعم أن لفظ اليد قد نقل عن شيء إلى شيء إذ ليس المعنى على أنه شبه شيئا باليد بل المعنى على أنه أراد أن يثبت للشمال يدا، ول بعضهم في هذا المقام كلمات واهية بينا فسادها في الشرح.

نعم نتيجته أن يقال: إن صاحب المفتاح في هذا الفن خصوصا في مثل هذه الاعتبارات ليس بصدد التقليد لغيره حتى يعترض عليه بأن ما ذكره هو مخالف لما ذكره غيره.

(ويقضي) ما ذكره السكاكي في التخيلية.

(أن يكون الترشيح) استعارة.

(تخيلية للزوم مثل ما ذكره) السكاكي في التخيلية من إثبات صورة وهمية.

(فيه) أي: في الترشيح لأن في كل من التخيلية والترشيح إثبات بعض ما يخص المشبه به للمشبه فكما أثبت للمنية التي هي المشبه ما يخص السبع الذي هو المشبه به من الأظفار كذلك أثبت لاختيار الضلالة على الهدى الذي هو المشبه ما يخص المشبه به الذي هو الاشتراء الحقيقي من الربح والتجارة.

فكما اعتبر هنالك صورة وهمية شبيهة بالأظفار فليعتبر ههنا أيضا أمر وهمي شبيه بالتجارة وآخر شبيه بالربح ليكون استعمال الربح والتجارة بالنسبة إليهما استعارتين تخيليتين إذ لا فرق بينهما، إلا بأن التعبير عن المشبه الذي أثبت له ما يخص المشبه به كالمنية مثلا في التخيلية بلفظ الموضوع له كلفظ المنية، وفي الترشيح بغير لفظه كلفظ الاشتراء المعبر به عن الاختيار والاستبدال الذي هو المشبه مع أن لفظ الاشتراء ليس بموضوع له.

وهذا الفرق لا يوجب اعتبار المعنى المتوهم في التخيلية وعدم اعتباره في الترشيح فاعتباره في أحدهما دون الآخر تحكم.

والجواب: أن الأمر الذي هو من خواص المشبه به لما قرن في التخيلية بالمشبه كالمنية مثلا جعلناه مجازا عن أمر متوهم يمكن إثباته للمشبه، وفي الترشيح لما قرن بلفظ المشبه به لم يحتاج إلى ذلك لأن المشبه به جعل كأنه هو هذا المعنى مقارنا للوازمه وخواصه حتى أن المشبه به في قولنا رأيت أسدا يفترس أقرانه وهو الأسد الموصوف بالافتراس الحقيقي من غير احتياج إلى توهم صورة، واعتبار مجاز في الافتراس، بخلاف ما إذا قلنا رأيت شجاعا يفترس أقرانه فانا نحتاج إلى ذلك ليصح اثباته للشجاع فليتأمل ففى الكلام دقة ما.

(وعنى بالمكنى عنها) أي: أراد السكاكي بالاستعارة المكنى عنها.

(أن يكون) الطرف.

(المذكور) من طرفي التشبيه.

(هو المشبه) ويراد به المشبه به.

(على أن المراد بالمنية) في مثل انشبت المنية أظفارها هو.

(السبع بادعاء السبعية لها) وانكار أن يكون شيئا غير السبع.

(بقريته إضافة الأظفار) التي هي من خواص السبع.

(إليها) أي: إلى المنية فقد ذكر المشبه وهو المنية وأراد به المشبه به وهو السبع فالاستعارة

بالكناية لا تنفك عن التخيلية بمعنى أنه لا توجد استعارة بالكناية بدون الاستعارة

التخيلية لأن في إضافة خواص المشبه به إلى المشبه استعاره تخيلية.

(ورد) ما ذكره من تفسير الاستعارة المكنى عنها.

(بأن لفظ المشبه فيها) أي: في الاستعارة بالكناية كلفظ المنية مثلا.

(مستعمل فيما وضع له تحقيقا) للقطع بأن المراد بالمنية هو الموت لا غير.

(والاستعارة ليست كذلك) لأنه قد فسرهما بأن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به

الطرف الآخر ولما كان ههنا مظنة سؤال، وهو أنه لو أريد بالمنية معناها الحقيقي فما معنى

إضافة الأظفار إليها أشار إلى جوابه بقوله.

(وإضافة نحو الأظفار قرينة التشبيه) المضمرة في النفس يعني تشبيه المنية بالسبع وكان

هذا الاعتراض من أقوى اعتراضات المصنف على السكاكي.

وقد يجاب عنه: بأنه وإن صرح بلفظ المنية إلا أن المراد به السبع إدعاء كما أشار إليه في

المفتاح من أنا نجعل ههنا اسم المنية اسما للسبع مرادفا له بأن ندخل المنية في جنس السبع

للمبالغة في التشبيه بجعل أفراد السبع قسمين متعارفا وغير متعارف، ثم يخيل أن الواضع

كيف يضع اسمين كلفظي المنية والسبع حقيقة واحدة ولا يكونان مترادفين فيتأتى لنا بهذا

الطريق دعوى السبعية للمننية مع التصريح بلفظ المنية.

وفيه نظر؛ لأن ما ذكره لا يقتضي كون المراد بالمنية غير ما وضعت له بالتحقيق حتى

يدخل في تعريف الاستعارة للقطع بأن المراد بها الموت، وهذا اللفظ موضوع له بالتحقيق

وجعله مرادفا للفظ السبع بالتأويل المذكور لا يقتضي أن يكون استعماله في الموت استعارة.

ويمكن الجواب: بأنه قد سبق أن قيد الحيشية مراد في تعريف الحقيقة أي هي الكلمة المستعملة فيها هي موضوع له بالتحقيق.

ولا نسلم أن استعمال لفظ المنية في الموت مثل أظفار المنية استعمال فيها وضع له بالتحقيق من حيث أنه موضوع له بالتحقيق في مثل قولنا دنت منية فلان بل من حيث أن الموت جعل من أفراد السبع الذي لفظ المنية موضوع له بالتأويل.

وهذا الجواب وإن كان مخرجا له عن كونه حقيقة إلا أن تحقيق كونه مجازا أو مرادا به الطرف الآخر غير ظاهر بعد.

(واختار) السكاكي.

(رد) الاستعارة.

(التبعية) وهي ما تكون في الحروف والأفعال وما يشتق منها.

(إلى) الاستعارة.

(المكنى عنها بجعل قرينتها) أي: قرينة التبعية استعارة مكنيا عنها.

(و) جعل الاستعارة.

(التبعية قرينتها) أي: قرينة الاستعارة المكنى عنها.

(على نحو قوله) أي: قول السكاكي.

(في المنية وأظفارها) حيث جعل المنية استعارة بالكناية وإضافة الأظفار إليها قرينتها ففى قولنا نطق الحال بكذا جعل القوم نطق استعارة عن دلت بقرينة الحال، والحال حقيقة وهو يجعل الحال استعارة بالكناية عن المتكلم ونسبة النطق إليها قرينة الاستعارة.

وهكذا في قوله: "نقريهم لهذميات" بجعل اللهذميات استعارة بالكناية عن المطعومات الشهية على سبيل التهكم ونسبة القرى إليها قرينة الاستعارة، وعلى هذا القياس وإنما اختار ذلك إثارا للضبط وتقليلا للأقسام.

(ورد) ما اختاره السكاكي.

(بأنه إن قدر التبعية) كنطقت في نطقت الحال بكذا.

(حقيقة) بأن يراد بها معناها الحقيقي.

(لم تكن) التبعية استعارة.

(تخيلية لأنها) أي: التخيلية.

(مجاز عنده) أي: عند السكاكي لأنه جعلها من أقسام الاستعارة المصريح بها المفسرة بذكر المشبه به، وإرادة المشبه إلا أن المشبه فيها يجب أن يكون مما لا تحقق لمعناه حسا ولا عقلا بل وهما فتكون مستعملة في غير ما وضعت له بالتحقيق فتكون مجازا وإذا لم تكن التبعية تخيلية.

(فلم تكن) الاستعارة.

(المكني عنها مستلزمة للتخيلية) بمعنى أنها لا توجد بدون التخيلية.

وذلك لأن المكني عنها قد وجدت بدون التخيلية في مثل نطقت الحال بكذا على هذا التقدير.

(وذلك) أي: عدم استلزام المكني عنها للتخيلية.

(باطل بالاتفاق) وإنما الخلاف في أن التخيلية هل تستلزم المكني عنها فعند السكاكي لا تستلزم كما في قولنا أظفار المنية الشبيهة بالسبع. وبهذا ظهر فساد ما قيل أن مراد السكاكي بقوله لا تنفك المكني عنها عن التخيلية أن التخيلية مستلزمة للمكني عنها لا على العكس كما فهمه المصنف. نعم يمكن أن ينازع في الاتفاق على استلزام المكني عنها للتخيلية لأن كلام الكشاف مشعر بخلاف ذلك.

وقد صرح في المفتاح أيضا في بحث المجاز العقلي بأن قرينة المكني عنها قد تكون أمرا وهما كأظفار المنية، وقد تكون أمرا محققا كالإنبات في أنبت الربيع البقل والهزم في هزم الأمير الجند.

إلا أن هذا لا يدفع الاعتراض عن السكاكي لأنه قد صرح في المجاز العقلي بأن نطقت في نطق الحال بكذا أمر وهمي جعل قرينة للمكنى عنها.

وأيضاً فلما جوز وجود المكنى عنها بدون التخيلية كما في أنبت الربيع البقل ووجود التخيلية بدونها كما في أظفار المنية الشبيهة بالسبع فلا جهة لقوله: إن المكنى عنها لا تنفك عن التخيلية.

(والا) أي: وأن لم تقدر التبعية التي جعلها السكاكي قرينة المكنى عنها حقيقة بل قدرها مجاز.

(فتكون) التبعية كنطقت الحال مثلاً.

(استعارة) ضرورة أنه مجاز علاقته المشابهة والاستعارة في الفعل لا تكون إلا تبعية فلم يكن ما ذهب إليه السكاكي من رد التبعية إلى المكنى عنها.

(مغنيا عما ذكره غيره) من تقسيم الاستعارة إلى التبعية وغيرها لأنه اضطر آخر الأمر إلى القول بالاستعارة التبعية.

وقد يجاب بأن كل مجاز تكون علاقته المشابهة لا يجب أن يكون استعارة لجواز أن يكون له علاقة أخرى باعتبارها وقع الاستعمال كما بين النطق والدلالة فإنها لازمة للنطق بل إنما يكون استعارة إذا كان الاستعمال باعتبار علاقته المشابهة وقصد المبالغة في التشبيه.

وفيه نظر؛ لأن السكاكي قد صرح بأن نطقت ههنا أمر مقدر وهمي كأظفار المنية المستعارة للصورة الوهمية الشبيهة بالأظفار المحققة ولو كان مجازاً مرسلًا عن الدلالة لكان أمراً محققاً عقلياً على أن هذا لا يجري في جميع الأمثلة.

ولو سلم فحينئذ يعود الاعتراض الأول وهو وجود المكنى عنها بدون التخيلية. ويمكن الجواب بأن المراد بعدم انفكاك الاستعارة بالكناية عن التخيلية أن التخيلية لا توجد بدونها فيما شاع من كلام الفصحاء إذ لا نزاع في عدم شيوع مثل أظفار المنية الشبيهة بالسبع.

٣٨٤..... مختصر المعاني للتفتازاني

وإنما الكلام في الصحة، وأما وجود الاستعارة بالكناية بدون التخيلية فشائع على ما قرره صاحب الكشاف في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧]، وصاحب المفتاح في مثل: أنبت الربيع البقل.

فصار الحاصل من مذهبه أن قرينة الاستعارة بالكناية قد تكون استعارة تخيلية مثل أظفار المنية ونطقت الحال وقد تكون استعارة تحقيقية على ما ذكر في قوله تعالى: يا أرض ابلعي ماءك أن البلع استعارة عن غور الماء في الأرض، والماء استعارة بالكناية عن الغذاء، وقد تكون حقيقة كما في أنبت الربيع.

فصل

في شرائط حسن الاستعارة

(وحسن كل من) الاستعارة.

(التحقيقية والتمثيل) على سبيل الاستعارة.

(برعاية جهات حسن التشبيه) كان يكون وجه الشبه شاملا للطرفين والتشبيه وافيا

بإفادة ما علق به من الغرض ونحو ذلك.

(وأن لا يشم رائحته لفظا) أي: وبأن لا يشم شيء من الحقيقية والتمثيل رائحة

التشبيه من جهة اللفظ لأن ذلك يبطل الغرض من الاستعارة أعني ادعاء دخول المشبه في

جنس المشبه به لما في التشبيه من الدلالة على أن المشبه به أقوى في وجه الشبه.

(ولذلك) أي: ولأن شرط حسنه أن لا يشم رائحة التشبيه لفظا.

(يوصى أن يكون الشبه) أي: ما به المشابهة.

(بين الطرفين جليا) بنفسه أو بواسطة عرف أو اصطلاح خاص.

(لثلاثين) الاستعارة.

(إلغازا) وتعمية أن روعى شرائط الحسن ولم تشم رائحة التشبيه وأن لم يراع فات

الحسن يقال للغز في كلامه إذا عمى مراده ومنه اللغز وجمعه الغاز مثل رطب وارطاب.

(كما لو قيل) في الحقيقية.

(رأيت أسدا وأريد إنسان أبخر) فوجه الشبه بين الطرفين خفي.

(و) في التمثيل.

(رأيت إبلا مائة لا تجد فيها راحلة وأريد الناس) من قوله عليه السلام الناس كإبل

مائة لا تجد فيها راحلة، وفي الفائق الراحلة البعير الذي يرتحله الرجل جملا كان أو ناقة يعني

أن المرضي المنتخب من الناس في عزة وجوده كالنجية المتخبة التي لا توجد في كثير من

الإبل.

(وبهذا ظهر أن التشبيه أعم محلاً) إذ كل ما يتأتى فيه الاستعارة يتأتى فيه التشبيه من غير عكس لجواز أن يكون وجه الشبه غير جلي فتصير الاستعارة الغازا كما في المثالين المذكورين. فإن قيل: قد سبق أن حسن الاستعارة برعاية جهات حسن التشبيه ومن جملتها أن يكون وجه الشبه بعيدا غير مبتذل فاشتراط جلالة في الاستعارة يناقض ذلك.

قلنا: الجلاء والخفاء مما يقبل الشدة والضعف فيجب أن يكون من الجلاء بحيث لا يصير مبتذلا ومن الغرابة بحيث لا يصير إلغازا.

(ويتصل به) أي: بما ذكرنا من أنه إذا خفي التشبيه لم تحسن الاستعارة ويتعين التشبيه. (أنه إذا قوى الشبه بين الطرفين حتى اتحدا كالعلم والنور والشبهة والظلمة لم يحسن التشبيه وتعينت الاستعارة) لئلا يصير كتشبيه الشيء بنفسه. فإذا فهمت مسألة تقول حصل في قلبي نور ولا تقول علم كالنور، وإذا وقعت في شبهة تقول وقعت في ظلمة ولا تقول في شبهة كالظلمة.

(و) الاستعارة.

(المكنى عنها كالتحقيقية) في أن حسنها برعاية جهات حسن التشبيه لأنها تشبيه مضمرة.

(و) الاستعارة.

(التخييلية حسنها بحسب حسن المكنى عنها) لما بينا لأنها لا تكون إلا تابعة للمكنى عنها وليس لها في نفسها تشبيه بل هي حقيقة فحسنها تابع لحسن متبوعها.

(فصل في بيان معنى آخر) يطلق عليه لفظ المجاز على سبيل الاشتراك أو التشابه.

(وقد يطلق المجاز على كلمة تغير حكم إعرابها) أي: حكمها الذي هو الإعراب على

أن الإضافة للبيان أي تغير إعرابها من نوع إلى نوع آخر.

(بحذف لفظ أو زيادة لفظ) فالأول.

(كقوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف: ٨٢] و) الثاني مثل.

(قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١] أي) جاء.

(أمر ربك) لاستحالة المجيء على الله تعالى.

(و) اسأل.

(أهل القرية) للقطع. بأن المقصود ههنا سؤال أهل القرية وأن جعلت القرية مجازاً عن أهلها لم يكن من هذا القبيل.

(و) ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١] لأن المقصود نفي أن يكون شيء مثل الله تعالى لا نفي أن يكون شيء مثل مثله فالحكم الأصلي لربك والقرية هو الجر.

وقد تغير في الأول إلى الرفع وفي الثاني إلى النصب بسبب حذف المضاف والحكم الأصلي في مثله هو النصب لأنه خبر ليس وقد تغير إلى الجر بسبب زيادة الكاف فكما وصفت الكلمة بالمجاز باعتبار نقلها عن معناها الأصلي كذلك وصفت به باعتبار نقلها عن إعرابها الأصلي. وظاهر عبارة المفتاح أن الموصوف بهذا النوع من المجاز هو نفس الإعراب.

وما ذكره المصنف أقرب، والقول بزيادة الكاف في نحو قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١] أخذ بالظاهر ويحتمل أن لا تكون زائدة بل تكون نفياً للمثل بطريق الكناية التي هي أبلغ؛ لأن الله تعالى موجود فإذا نفي مثل مثله لزم نفي مثله ضرورة أنه لو كان له مثل لكان هو أعني الله تعالى مثل مثله فلم يصح نفي مثل مثله كما تقول: ليس لأخي زيد أخ، أي: ليس لزيد أخ نفياً للملزوم بنفي لازمه، والله أعلم.

الكناية

الكناية في اللغة: مصدر كنيت بكذا عن كذا أو كنوت إذا تركت التصريح به.

وفي الاصطلاح:

(لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادته معه) أي: إرادة ذلك المعنى مع لازمه كلفظ طويل النجاد والمراد به طول القامة مع جواز أن يراد حقيقة طول النجاد أيضا.

(فظهر أنه يخالف المجاز من جهة إرادة المعنى) الحقيقي.

(مع إرادة لازمه) كإرادة طول القامة بخلاف المجاز فإنه لا يجوز فيه إرادة المعنى الحقيقي للزوم القرينة المانعة عن إرادة المعنى الحقيقي.

وقوله: من جهة إرادة المعنى ليوافق ما ذكره في تعريف الكناية ولأن الكناية كثيرا ما تخلو عن إرادة المعنى الحقيقي للقطع بصحة قولنا فلان طويل النجاد وجبان الكلب ومهزوم الفصيل وأن لم يكن له نجاد ولا كلب ولا فصيل. ومثل هذا في الكلام أكثر من أن يحصى. وههنا بحث لا بد من التنبيه عليه: وهو أن المراد بجواز إرادة المعنى الحقيقي في الكناية هو أن الكناية من حيث إنها كناية لا تنافي ذلك كما أن المجاز ينافيه.

لكن قد يمتنع ذلك في الكناية بواسطة خصوص المادة كما ذكر صاحب الكشاف في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] أنه من باب الكناية كما في قولهم مثلك لا يبخل لأنهم إذا نفوه عمن يماثله وعمن يكون على أخص أوصاف فقد نفوه عنه كما يقولون بلغت أترابه يريدون بلوغه فقولنا ليس كمثل شئ عبارتان متعاقبتان على معنى واحد وهو نفى المماثلة عن ذاته مع أنه لا فرق بينهما إلا ما تعطيه الكناية من المبالغة.

ولا يخفى ههنا امتناع إرادة الحقيقة وهو نفى المماثلة عمن هو مماثل له وعمن يكون على أخص أوصافه.

(وفرق) بين الكناية والمجاز.

(بأن الانتقال فيها) أي: في الكناية.

(من اللازم) إلى الملزوم كالانتقال من طول النجاد إلى طول القامة.

(وفيه) أي: في المجاز الانتقال.

(من الملزوم) إلى اللازم كالانتقال من الغيث إلى النبت ومن الأسد إلى الشجاعة.

(ورد) هذا الفرق.

(بأن اللازم ما لم يكن ملزوما) بنفسه أو بانضمام قرينة إليه.

(لم ينتقل منه) إلى الملزوم لأن اللازم من حيث إنه لازم يجوز أن يكون أعم ولا دلالة

للعام على الخاص.

(وحيثئذ) أي: وإذا كان اللازم ملزوما.

(يكون الانتقال من الملزوم إلى اللازم) كما في المجاز فلا يتحقق الفرق. والسكاكي أيضا

معترف بأن اللازم ما لم يكن ملزوما امتنع الانتقال منه، وما يقال إن مراده أن اللزوم من

الطرفين من خواص الكناية دون المجاز أو شرط لها دونه فمما لا دليل عليه.

وقد يجاب بأن مراده باللازم ما يكون وجوده على سبيل التبعية كطول النجاد التابع

لطول القامة.

ولهذا جوز كون الكلام أخص كالضاحك بالفعل للانسان فالكناية أن يذكر من

المتلازمين ما هو تابع ورديف ويراد به ما هو متبوع ومردوف والمجاز بالعكس. وفيه نظر

ولا يخفى عليك أن ليس المراد باللزوم ههنا امتناع الانفكاك.

(وهي) أي: الكناية.

(ثلاثة أقسام الأولى:) تأنيثها باعتبار كونها عبارة عن الكناية.

(المطلوب بها غير صفة ولا نسبة فمنها) أي: فمن الأولى.

(ما هي معنى واحد) مثل أن يتفق في صفة من الصفات اختصاص بموصوف معين

عارض فتذكر تلك الصفة ليتوصل بها إلى ذلك الموصوف.

(كقوله:).

الضارين بكل أبيض مخذم (والطاعنين بمجامع الأضغان)^(١)

المخذم القاطع والضغن الحقد ومجامع الأضغان معنى واحد كناية عن القلوب.

(ومنها ما هو مجموع معان) بأن تؤخذ صفة فتضم إلى لازم آخر وآخر لتصير جملتها مختصة بموصوف فيتوصل بذكرها إليه.

(كقولنا كناية عن الإنسان: حي مستوي القامة عريض الأظفار) ويسمى هذا خاصة مركبة.

(وشرطها) أي: وشرط هاتين الكنيتين.

(الاختصاص بالمكنى عنه) ليحصل الانتقال.

وجعل السكاكي الأولى منها أعني ما هي معنى واحد قريبة بمعنى سهولة المأخوذ والانتقال فيها لبساطتها واستغنائها عن ضم لازم إلى آخر وتلفيق بينهما والثانية بعيدة بخلاف ذلك وهذه غير البعيدة بالمعنى الذي سيجيء.

(الثانية) من أقسام الكناية.

(المطلوب بها صفة) من الصفات كالجود والكرم ونحو ذلك وهي ضربان قريبة وبعيدة.

(فإن لم يكن الانتقال) من الكناية إلى المطلوب بواسطة قريبة والقريبة قسمان.

(واضحة) يحصل الانتقال منها بسهولة.

(كقولهم كناية عن طول القامة طويل نجاده وطويل النجاد والأولى) أي: طويل نجاده كناية.

(ساذجة) لا يشوبها شيء من التصريح.

(١) هو من الكامل، ولا أعرف قائله.

والمخذم بالذال المعجمة السيف، والأضغان: جمع ضغن، وهو الحقد. والشاهد فيه: القسم الأول من أقسام الكناية، وهو: أن يكون المطلوب بها غير صفة ولا نسبة، وتكون لمعنى واحد كما هنا، وتكون لمجموع معان، فنقوله: بمجامع الأضغان معنى واحد كناية عن القلوب.

(وفي الثانية) أي: طويل النجاد.

(تصريح ما لنضمن الصفة) أي: طويل.

(الضمير) الراجع إلى الموصوف ضرورة احتياجها إلى مرفوع مسند إليه فيشتمل على نوع تصريح بثبوت الطول له.

والدليل على تضمنه الضمير أنك تقول هند طويلة النجاد والزيدان طويلا النجاد والزيدون طوال النجاد فتؤنث وتثنى وتجمع الصفة البتة لاسنادها إلى ضمير الموصوف بخلاف هند طويل نجادها والزيدان طويل نجادها والزيدون طويل نجادهم. وإنما جعلنا الصفة المضافة كناية مشتملة على نوع تصريح ولم نجعلها تصريحاً للقطع بأن الصفة في المعنى صفة للمضاف إليه واعتبار الضمير رعاية لأمر لفظي وهو امتناع خلو الصفة عن معمول مرفوع بها.

(أو خفية) عطف على واضحة. وخفاؤها بأن يتوقف الانتقال منها على تأمل واعمال روية.

(كقولهم كناية عن الأبله: عريض القفاء) فإن عرض القفاء وعظم الرأس بالافراط مما يستدل به على البلاهة فهو ملزوم لها بحسب الاعتقاد. لكن في الانتقال منه إلى البلاهة نوع خفاء لا يطلع عليه كل أحد. وليس الخفاء بسبب كثرة الوسائط والانتقالات حتى يكون بعيدة.

(وإن كان الانتقال) من الكناية إلى المطلوب بها.

(بواسطة فبعيدة كقولهم: كثير الرماد، كناية عن المضياف فإنه ينتقل من كثرة الرماد إلى

كثرة احراق الحطب تحت القدر ومنها) أي: ومن كثرة الإحراق.

(إلى كثرة الطبايع ومنها إلى كثرة الأكلة) جمع آكل.

(ومنها إلى كثرة الضيفان) بكسر الصاد جمع ضيف.

(ومنها إلى المقصود) وهو المضيف وبحسب قلة الوسائط وكثرتها تختلف الدلالة على المقصود وضوحاً وخفاءً.

(الثالثة) من أقسام الكناية.

(المطلوب بها نسبة) أي: إثبات أمر لآخر أو نفيه عنه وهو المراد بالاختصاص في هذا المقام.

(كقوله: إن الساحة والمرؤة) هي كمال الرجولية.

(والنندي في قبة ضربت على ابن الحشر^(١))

فإنه أراد أن يثبت اختصاص ابن الحشر بهذه الصفات) أي: ثبوتها له.
(فترك التصريح) باختصاصه بها.

(بأن يقول: أنه مختص بها أو نحوه) مجرور عطفاً على أن يقول أو منصوب عطفاً على أنه مختص بها مثل أن يقول ثبتت ساحة ابن الحشر أو حصلت الساحة له، أو ابن الحشر سمح، كذا في المفتاح. وبه يعرف أن ليس المراد بالاختصاص ههنا الحصر.
(إلى الكناية) أي: ترك التصريح ومال إلى الكناية.
(بأن جعلها) أي: تلك الصفات.

(١) البيت لزياد الأعجم، من أبيات من الكامل، قالها في عبد الله بن الحشر، وكان قد وفد عليه، وهو أمير على نيسابور أمر بإنزاله وألففه وبعث إليه بها يحتاجه، فغدا إليه فأنشده البيت، وبعده:
ملك أغر متوجّ ذونائل للمعتفين يمسبنة لم تشج
يا خيّر من صعد المنبر بالتقى .. بعد النبي المصطفى المتحرّج
لما أتيتك راجياً لنوالكم ألقىت باب نوالكم لم يوتج
فأمر له بعشرة آلاف درهم.

والمرؤة: كمال الرجولية.

والشاهد فيه: القسم الثالث من أقسام الكناية، وهو أن يكون المطلوب بها إثبات أمر لآخر أو نفيه عنه، فهو هنا أراد أن يثبت اختصاص مدوحه بهذه الصفات، وترك التصريح باختصاصه بها إلى الكناية بأن جعلها في قبة ضربت عليه، تنبيهاً على أن محلها ذو قبة، وهي تكون فوق الخيمة يتخذها الرؤساء.

(في قبة) تنبيهها على أن محها ذو قبة وهي تكون فوق الخيمة يتخذها الرؤساء.
(مضروبة عليه) أي: على ابن الحشرج فافاد إثبات الصفات المذكورة له لأنه إذا أثبت الأمر في مكان الرجل وحيزه فقد أثبت له.

(ونحوه) أي: مثل البيت المذكور في كون الكناية لنسبة الصفة إلى الموصوف بأن تجعل فيها يحيط به ويشتمل عليه.

(قولهم: المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه) حيث لم يصرح بثبوت المجد والكرم له بل كنى عن ذلك بكونها بين برديه وبين ثوبيه.

فإن قلت: ههنا قسم رابع وهو أن يكون المطلوب بها صفة ونسبة معا كقولنا كثير الرماد في ساحة زيد.

قلت: ليس هذا كناية واحدة بل كناتين أحدهما المطلوب بها نفس الصفة وهي كثرة الرماد كناية عن المضيافة والثانية المطلوب بها نسبة المضيافة إلى زيد وهو جعلها في ساحة ليفيد اثباتها له.

(والموصوف في هذين القسمين) يعني الثاني والثالث.

(قد يكون) مذكورا كما مر.

(و) قد يكون.

(غير مذكور كما يقال في عرض من يؤذي المسلمين: "الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ

لِسَانِهِ وَيَدِهِ" (١)) فإنه كناية عن نفي صفة الإسلام عن المؤذي وهو غير مذكور في الكلام.

وأما القسم الأول وهو ما يكون المطلوب بالكناية نفس الصفة وتكون النسبة مصرحا

بها فلا يخفى أن الموصوف فيها يكون مذكورا لا محالة لفظا أو تقديرا.

(١) أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص (١٠)، وأخرجه مسلم (٤٣)، وأخرجه الترمذي (٢٥٠٤)، وأخرجه النسائي (٤٩٩٦)، وأخرجه أبو داود (٢٤٨١)، وأخرجه أحمد في مسنده (٦٤٧٩)، وأخرجه الدارمي في سنته (٢٧١٦).

وقوله: في عرض من يؤدي معناه في التعريض به يقال نظرت إليه من عرض بالضم أي من جانب وناحية.

قال: (السكاكي: الكناية تنفاوت إلى تعريض وتلويح ورمز وإيحاء وإشارة) وإنها قال: تنفاوت ولم يقال تنقسم لأن التعريض وامثاله مما ذكر ليس من أقسام الكناية فقط بل هو أعم كذا في شرح المفتاح.

وفيه نظر؛ والأقرب أنه إنما قال ذلك لأن هذه الأقسام قد تتداخل ويختلف باختلاف الاعتبار من الوضوح والخفاء وقلة الوسائط وكثرتها.

(والمناسب للعرضة التعريض) أي: الكناية إذا كانت عرضية مسوقة لأجل موصوف غير مذكور كان المناسب أن يطلق عليها اسم التعريض لأنه إمالة الكلام إلى عرض يدل على المقصود يقال عرضت لفلان وبفلان إذا قلت قولاً لغيره وأنت تعنيه فكأنك اشرت به إلى جانب وتريد به جانباً آخر.

(و) المناسب.

(لغيرها) أي: لغير العرضية.

(إن كثرت الوسائط) بين اللازم والملزوم كما في كثير الرماد وجبان الكلب ومهزول الفصيل.

(التلويح) لأن التلويح هو أن تشير إلى غيرك من بعيد.

(و) المناسب لغيرها.

(إن قلت) الوسائط.

(مع خفاء) في الملزوم كعريض القفاء وعريض الوسادة.

(الرمز) لأن الرمز هو أن تشير إلى قريب منك على سبيل الخفية لأن حقيقته الإشارة بالشفة أو الحاجب.

(و) المناسب لغيرها أن قلت الوسائط.

(بلا خفاء) كما في قوله أو ما رأيت المجد القى رحله في آل طلحة ثم لم يتحول.

(الإيماء والاشارة. ثم قال) السكاكي.

(والتعريض قد يكون مجازا كقولك أذيتني فستعرف وأنت تريد) بناء الخطاب.

(إنسانا مع المخاطب دونه) أي: لا تريد المخاطب ليكون اللفظ مستعملا في غير ما

وضع له فقط فيكون مجازا.

(وإن أردتهما) أي: أردت المخاطب وإنسانا آخر معه جميعا.

(كان كناية) لأنك أردت باللفظ المعنى الأصلي وغيره معا والمجاز ينافي لإرادة المعنى

الأصلي.

(ولابد فيهما) أي: في الصورتين.

(من قرينة) دالة على أن المراد في الصورة الأولى هو الإنسان الذي مع المخاطب وحده

ليكون مجازا.

وفي الثانية: كلاهما جميعا ليكون كناية، وتحقيق ذلك أن قولك أذيتني فستعرف كلام

دال على تهديد المخاطب بسبب الإيذاء ويلزم منه تهديد كل من صدر عنه الإيذاء فإن

استعملته وأردت به تهديد المخاطب وغيره من المؤذنين كان كناية وأن أردت به تهديد غير

المخاطب بسبب الإيذاء لعلاقة اشتراكه للمخاطب في الإيذاء إما تحقيقا وإما فرضا وتقديرا

مع قرينة دالة على عدم إرادة المخاطب كان مجازا.

فصل

أطبق البلغاء على أن المجاز والكناية أبلغ من الحقيقة والتصريح.
(لأن الانتقال فيهما من المألوف إلى المألوف فهو كدعوى الشيء بینه) فإن وجود المألوف
يقتضي وجود المألوف لا امتناع انفكاك المألوف عن لازمه:
(و) أطبقوا أيضا على.

(أن الاستعارة أبلغ من التشبيه لأنها نوع من المجاز) وقد علم أن المجاز أبلغ من
الحقيقة. وليس معنى كون المجاز والكناية أبلغ أن شيئا منهما يوجب أن يحصل في الواقع
زيادة في المعنى لا توجد في الحقيقة والتصريح بل المراد أنه يفيد زيادة تأكيد للإثبات.
ويفهم من الاستعارة أن الوصف في المشبه بالغ حد الكمال كما في المشبه به وليس
بقاصر فيه كما يفهم من التشبيه والمعنى لا يتغير حاله في نفسه بأن يعبر عنه بعبارة أبلغ.
وهذا مراد الشيخ عبد القاهر بقوله: ليست مزية قولنا: رأيت أسدا على قولنا: رأيت
رجلا هو والأسد سواء في الشجاعة، أن الأول أفاد زيادة في مساوئه للأسد في الشجاعة لم
يفدها الثاني بل الفضيلة وهي أن الأول أفاد تأكيدا لإثبات تلك المساواة له لم يفده الثاني والله
أعلم.

كمل القسم الثاني والحمد لله على جزيل نواله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله
وأصحابه أجمعين.

الفن الثالث

في البديع

(وهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام) أي: يتصور به معانيها ويعلم أعدادها وتفصيلها بقدر الطاعة. والمراد بالوجوه ما مر في قوله وتبعتها وجوه آخر تورث الكلام حسنا وقبولا. وقوله.

(بعد رعاية المطابقة) أي: مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

(و) رعاية.

(وضوح الدلالة) أي: الخلو عن التعقيد المعنوي إشارة إلى أن هذه الوجوه إنما تعد محسنة للكلام بعد رعاية الأمرين وإلا لكان كتعليق الدرر على اعناق الخنازير والظرف أعني قوله بعد رعاية متعلق بقوله تحسين الكلام.

(وهي) أي: وجوه تحسين الكلام.

(ضربان معنوي) أي: راجع إلى تحسين المعنى أولا وبالذات وأن كان قد يفيد بعضها تحسين اللفظ أيضا.

(ولفظي) أي: راجع إلى تحسين اللفظ كذلك.

(أما المعنوي) قدمه لأن المقصود الأصلي والغرض الأولي هو المعاني والألفاظ توابع وقوالب لها.

(فمنه المطابقة وتسمى الطباق والتضاد أيضا. وهي الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في الجملة) أي: يكون بينهما تقابل وتناف ولو في بعض الصور سواء كان التقابل حقيقيا أو اعتباريا وسواء كان تقابل التضاد أو تقابل الإيجاب والسلب أو تقابل العدم والملكة أو تقابل التضائف أو ما يشبه شيئا من ذلك.

(ويكون) ذلك الجمع.

(بلفظين من نوع) واحد من أنواع الكلمة.

(اسمين نحو: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقِلَهُمْ﴾ [الكهف: ١٨] أو فعلين نحو: ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨] أو حرفين نحو: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. فإن في اللام معنى الانتفاع وفي على معنى التضمر أي لا يتنفع بطاعتها ولا يتضرر بمعصيتها غيرها.

(أو من نوعين نحو: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢]) فإنه قد اعتبر في الإحياء معنى الحياة وفي الإماتة معنى الموت، والموت والحياة مما يتقابلان وقد دل على الأول بالاسم وعلى الثاني بالفعل.
(وهو) أي: الطباقي.

(ضربان طباقي الإيجاب كما مر وطباقي السلب وهو أن يجمع بين فعلي مصدر أحدهما مثبت والآخر منفي أو أحدهما أمر والآخر نهي فالأول).
(نحو قوله تعالى ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٦-٧]) ظاهرا من الحياة الدنيا.
(و) الثاني.

(نحو قوله تعالى ﴿فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَآخِشُوا﴾ [المائدة: ٤٤] ومن الطباقي) ما سباه بعضهم تدييجا من ديج المطر الأرض إذا زينها وفسره بأن يذكر في معنى من المدح أو غيره الوان لقصد الكناية أو التورية واراد بالالوان ما فوق الواحد بقرينة الأمثلة فتدييج الكناية.
(نحو قوله: تردى) من ترديت الثوب أخذته رداء.
(ثياب الموت حمرا فما أتى لها)
أي: لتلك الثياب.

(الليل إلا وهي من سندس خضر)^(١)

(١) البيت لأبي تمام الطائي، من قصيدة من الطويل، يرثي بها أبا نهل محمد بن حيد حين استشهد، وأولها:
كذا فليجل الخطبُ وليفدح الأمرُ .. وليس لعينٍ لم يفض ماؤها عذراً

يعني: أرندي الثياب الملوخة بالدم فلم ينقض يوم قتله ولم يدخل في ليله إلا وقد صارت الثياب من سندس خضر من ثياب الجنة، فقد جمع بين الحمرة والخضرة وقصد بالأول الكناية عن القتل وبالثاني الكناية عن دخول الجنة.

وتدبيح التورية كقول الحريري:

فمذ أغبر العيش الأخضر، وأزور المحبوب الأصفر، أسود يومي الأبيض وأبيض فودي الأسود، حتى رثى لي العدو الأزرق، فيا حبذا الموت الأحمر.

فالمعنى القريب للمحبوب الأصفر هو الإنسان الذي له صفرة والبعيد هو الذهب وهو المراد ههنا فيكون تورية، وجمع الألوان لقصد التورية لا يقتضي أن يكون في كل لون تورية كما توهمه بعضهم.

(ويلحق به) أي: بالطباق شيان أحدهما الجمع بين معنيين بتعلق أحدهما بما يقابل الآخر نوع تعلق مثل السببية واللزوم.

تُوفيتَ الآمالُ بعدَ محمدٍ ... فأصبحَ في شعلٍ عن السَفَرِ السَفَرُ
وما كانَ إلا مالٌ من قَلِّ ماله .. ودُخْرًا لمن أَمسى وليسَ لَهُ دُخْرُ
وما كانَ يدرى مَنْ بَلَاءُ يُسَرُّ كفو .. إذا ما استهلَّتْ أَنَّهُ خُلِقَ العسرُ

يقول فيها:

غداً غدوةً والحمدُ نسجُ ردائه .. فلم ينصرفَ إلا وأكفانه الأجرُ

وبعده البيت، وبعده:

كَانَ بَنِي نَبْهَانَ يَوْمَ وفاته نجومُ سماءٍ خَرَّ من بينها البدرُ
يُعَزَّوْنَ عن ثاوٍ تُعَزَّى بِهِ العلاءُ .. ويكي عليه البأسُ والجودُ والنصرُ
وأني لهم صبرٌ وقد مضى إلى الموتِ حتى استشهدًا هو والصبرُ

ومعنى البيت أنه ارتدى الثياب الملوخة بالدم، فلم ينقض يوم قتله، ولم يدخل في ليلته إلا وقد صارت الثياب خضراً من سندس الجنة.

أقول: ولو قال أبو تمام:

تردَّى ثياب الموتِ حرّاً فما اختفى .. عن العينِ إلا وهي من سندسٍ خضرُ

لكان أبلغ في القصد وأبدع، فإنه جعل غاية تبديلها بالسندس دخوله في الليل، وهذا ليس بمعلوم، فإن الميت إذا غيب بالدفن عن الأعين تبدلت أحواله إلى خير أو شر، والعياذ بالله تعالى، ويشهد لذلك ما ورد أن الميت يجرّد ستره عن الأعين يأتيه ملكان السؤال.

(نحو قوله تعالى: ﴿أَشِدَّاءَ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]. فإن الرحمة وأن لم تكن مقابلة للشدة لكنها مسببة عن اللين) الذي هو ضد الشدة.

(و) الثاني الجمع بين معنيين غير متقابلين عبر عنها بلفظين يتقابل معناهما الحقيقي.

(نحو قوله: لا تعجبي يا سلم من رجل) يعني نفسه ضحك المشيب برأسه) أي: ظهر ظهوراً تاماً.

(فبكي)^(١) ذلك الرجل فظهور الشيب لا يقابل البكاء إلا أنه قد عبر عنه بالضحك الذي معناه الحقيقي مقابل للبكاء.

(ويسمى الثاني: إيهام التضاد) لأن المعنيين قد ذكرا بلفظين يوهمان التضاد نظراً إلى الظاهر.

(ودخل فيه) أي: في الطباق بالتفسير الذي سبق ما يختص باسم المقابلة وأن جعله السكاكي وغيره قسماً برأسه من المحسنات المعنوية.

(وهي أن يؤتى بمعنيين) متوافقين.

(أو أكثر ثم) يؤتى.

(بما يقابل ذلك) المذكور من المعنيين المتوافقين أو المعاني المتوافقة.

(١) البيت لدعل من قصيدة من الكامل أولها:

أَيْنَ الشَّيْبُ وَأَيَّةُ سَلَكَا .. لَا، أَيْنَ يَطْلُبُ؟ ضَلَّ، بَلْ هَلَكَا

وبعده البيت، وبعده:

يَا سَلَمَ مَا بِالشَّيْبِ مَنَقَصَةٌ ... لَا سَوْفَةً يَبْقَى وَلَا مِلْكََا
قَصَرَ الْقَوَايَةَ عَنْ هَوَى قَمَرٍ .. أَجْدُ السَّبِيلِ إِلَيْهِ مُشْتَرَا
يَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ نَوْمَكُمَا .. يَا صَاحِبِي إِذَا دَمِي سُفِكََا
لَا تَأْخُذْ بِظُلَامَتِي أَحَدًا ... قَلْبِي وَطَرْفِي فِي دَمِي أَشْتَرَا

والشاهد في البيت: الجمع بين معنيين غير متقابلين عبر عنها بلفظين يتقابل معناهما الحقيقيان، فإنه هنا لا تقابل بين البكاء وظهور الشيب، لكنه عبر عن ظهوره بالضحك الذي يكون معناه الحقيقي مضاداً لمعنى البكاء، ويسمى إيهام التضاد، لأن المعنيين المذكورين وإن لم يكونا متقابلين حتى يكون التضاد حقيقياً، لكنهما قد ذكرا بلفظين يوهمان التضاد، نظراً إلى الظاهر والحمل على الحقيقة.

(على الترتيب) فيدخل في الطباق لأنه جمع بين معنيين متقابلين في الجملة.
(والمراد بالتوافق خلاف التقابل) حتى لا يشترط أن يكونا متناسبين أو متماثلين فمقابلة
الاثنتين بالاثنتين.

(نحو: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً ﴾ [التوبة: ٨٢]) أتى بالضحك والقلة
المتوافقين ثم بالبكاء والكثرة المتقابلين لهما.
(و) مقابلة الثلاثة بالثلاثة.

(نحو قوله:

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتماعا وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل)^(١)
أتى بالحسن والدين والغنى ثم بما يقابلها من القبح والكفر والإفلاس على الترتيب.
(و) مقابلة الأربعة بالأربعة.

(نحو ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴾ ٥ ﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾ ٦ ﴿ فَسَنِيَرُهُ لِلْمُسرَى ﴾ ٧
وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴾ ٨ ﴿ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴾ ٩ ﴿ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ [الليل: ٥، ١٠])
والتقابل بين الجميع ظاهراً لا بين الالتقاء والاستغناء فينبه بقوله.

(١) البيت من البسيط، ويعزى لأبي دلالة.

يحكى أن أبا جعفر المنصور سال أبا دلالة عن أشعر بيت قالته العرب في المقابلة، فقال: بيت يلعب به
الصبيان، قال: وما هو على ذاك؟ قال: قول الشاعر، وأنشده البيت.
قال ابن أبي الأصبح: لا خلاف في أنه لم يقل قبله مثله، فإنه قابل بين أحسن وأقبح، والدين والكفر، والدنيا
والأفلاس، وهو من مقابلة ثلاثة بثلاثة وكلما كثر عدد المقابلة كانت أبلغ.
وأحسن من بيت أبي دلالة قول المتنبي من الطويل:

فلا الجودُ يفني المَالَ والجَدُّ مَقْبَلٌ .. ولا البخلُ يبقي المَالَ والجَدُّ مَدِيرٌ

وأبو دلالة اسمع زند بن الجون، وأكثر الناس يصحف اسمه، ويقول: زيد بالياء التحتية، وهو خطأ، وإنما
هو بالنون، وهو كوفي أسود، مولى لبني أسد، وكان أبو دلالة عبداً لرجل منهم، يقال له: قضاقرض، فأعتقه
وأدرك آخر أيام بني أمية، ولم يكن له فيها نباهة، ونبح في أيام بني العباس، فانقطع إلى السفاح والمنصور
والمهدي، وكانوا يقدمونه ويفضلونه ويستطيون مجالسته ونوادره، ولم يصل لأحد من الشعراء ما وصل
لأبي دلالة من المنصور خاصة. وكان أبو دلالة فاسد الدين رديء المذهب، مرتكباً للمحارم مجاهراً بذلك.
وكان يعلم هذا منه ويعرف به فيتجافى عنه للطف محله.

(والمراد باستغنى أنه زهد فيما عند الله تعالى كأنه استغنى عنه) أي: اعرض عما عند الله تعالى.

(فلم يتق أو) المراد باستغنى.

(استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة فلم يتق) فيكون الاستغناء مستتبعا لعدم الاتقاء وهو مقابل للاتقاء فيكون هذا من قبيل قوله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم.

(وزاد السكاكي) في تعريف المقابلة قيدا آخر حيث قال هي أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وضديهما.

(وإذا شرط ههنا) أي: فيما بين المتوافقين أو المتوافقات.

(امر شرط ثمة) أي: فيما بين ضديهما أو اضدادها.

(ضده) أي: ضد ذلك الأمر.

(كهاتين الآيتين فإنه لما جعل التيسير مشتركا بين الإعطاء والاتقاء والتصديق جعل

ضده) أي: ضد التيسير وهو التعسير المعبر عنه بقوله فسنيسره للعسرى.

(مشاركا بين أضدادها) وهي البخل والاستغناء والتكذيب، فعلى هذا لا يكون قوله ما

أحسن الدين إلى آخره من المقابلة لأنه اشترط في الدين والدنيا الاجتماع، ولم يشترط في الكفر والإفلاس ضده.

(ومنه) أي: من المعنوي.

(مراعاة النظر ويسمى التناسب والتوفيق) والاتلاف والتلفيق.

(أيضا، وهي جمع أمر وما يناسبه لا بالتضاد) والمناسبة بالتضاد أن يكون كل منهما

متقابلا للآخر، وبهذا القيد يخرج الطباق. وذلك قد يكون بالجمع بين الأمرين.

(نحو: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥]) جمعا بين امرين.

(و) نحو.

(قوله) في صفة الإبل.

(كالقسي) جمع قوس.

(المعطقات) أي: المنحنيات.

(بل الأسهم) جمع سهم.

(مبرية) أي: منحوتة.

(بل الأوتار)^(١) جمع وتر جمع بين ثلاثة أمور.

(ومنها) أي: من مراعاة النظر ما يسميه بعضهم تشابه الاطراف وهو أن يختم الكلام

بما يناسب ابتدائه في المعنى نحو.

(﴿لَا تُذِرْكُمُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُذِرُكَ الْأَبْصَارُ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]) فإن

اللطيف يناسب كونه غير مدرك بالأبصار والخبير يناسب كونه مدركاً بالأبصار لأن المدرك
للشيء يكون خبيراً له عالماً به.

(ويلحق بها) أي: بمراعاة النظر أن تجمع بين معنيين غير متناسين بلفظين يكون لهما

معنيان متناسبان وأن لم يكونا مقصودين ههنا.

(١) البيت للبحري، من قصيدة من الخفيف يمدح بها أبا جعفر بن حميد ويستو به غلاماً:

كَالْقِسِيِّ الْمُعْطَقَاتِ بَلٍ الْأَسْهُمُ مَنِيَّةٌ بَلٍ الْأَوْتَارِ

ومنها قوله:

أَبْكَاءُ فِي الدَّارِ بَعْدَ الدَّارِ وَسَلَوًا بِزَيْنَبٍ عَنْ نَوَارِ
لَا هَنَّاكَ الشَّغْلُ الْجَدِيدُ بِحُزْوِي عَنْ رُسُومِ بَرَامَتِينَ فَقَارِ
مَا ظَنَنْتُ الْأَهْوَاءَ قَبْلَكَ تُمَحِّي .. فِي صُدُورِ الْعُشَّاقِ مَحَوِّ الدِّيَارِ

إلى أن قال منها في وصف النوق:

يَتَرَقَّرْنَ كَالسَّرَابِ وَقَدْ خُضْنَ غَمَاراً مِنَ السَّرَابِ الْجَارِي

وبعد البيت، والقصيدة طويلة

والشاهد في البيت: مراعاة النظر، ويسمى: التناسب، والتوافق، والاتلاف، والمؤاخاة، وهو: جمع أمر وما
يناسبه مع إلغاء التضاد لتخرج المطابقة فهو هنا قصد المناسبة بالأسهم والأوتار لما تقدم من ذكر القسي،
وهذه المناسبة هنا معنوية لا لفظية

(نحو: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ﴾ [الرحمن: ٥-٦] أي: والنبات الذي ينجم أي يظهر من الأرض له ساق له كالبقول.

﴿وَالشَّجَرُ﴾ الذي له ساق.

﴿يَسْجُدَانِ﴾ أي: ينقادان لله تعالى فيما خلقا له، فالنجم بهذا المعنى وأن لم يكونا مناسبا للشمس والقمر لكنه قد يكون بمعنى الكوكب وهو مناسب لهما.

(ويسمى إيهام التناسب) لمثل ما مر في إيهام التضاد.

(ومنه) أي: من المعنوي.

(الإرصاد) وهو في اللغة نصب الرقيب في الطريق.

(ويسميه بعضهم التسهيم) يقال برد مسهم فيه خطوط مستوية.

(وهو أن يجعل قبل العجز من الفقرة) وهي في الشر بمتزلة البيت من النظم، فقوله وهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه فقرة ويقرع الاسماع بزواجر وعظه فقرة أخرى، والفقرة في الأصل حلى يصاغ على شكل فقرة الظهر.

(أو) من (البيت ما يدل عليه) أي: على العجز. وهو آخر كلمة من الفقرة أو البيت.

(إذا عرف الروي) فقوله ما يدل فاعل يجعل وقوله: إذا عرف متعلق بقوله يدل والروى الحرف الذي يبنى عليه أو آخر الأبيات أو الفقرة ويجب تكرره في كل منهما.

وقيد بقوله: إذا عرف الروي لأن من الارصاد ما لا يعرف فيه العجز لعدم معرفة حرف الروي كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِّيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس: ١٩] فلو لم يعرف أن حرف الروي هو النون لربما توهم أن العجز فيما هم فيه اختلفوا أو اختلفوا فيه فالإرصاد في الفقرة:

(نحو: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠] وفي

البيت.

(نحو قوله:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه
وجاوزه إلى ما تستطيع^(١)
ومنه) أي: ومن المعنوي.
(المشاركة، وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه) أي: ذلك الشيء.
(في صحبته) أي: ذلك الغير.
(تحقيقاً أو تقديرًا) أي: وقوعاً محققاً أو مقدراً.

(١) البيت لعمر بن معدى كرب الزبيدي، من قصيدة من الوافر:
إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع
وأولها:

أمن زيمانة الداعي السميع يؤزقني وأصحابي هُجُوعُ
سبأها الصمّة الجشعي غصباً كأنّ بياض غرّتها صديعُ
وحالت دونها فرسان قيسي .. تكشف عن سواعد الدروع

وبعده البيت، وبعده:

وصله بالزمان فكل أمر سبأ لك أو سموت له ولوع

وهي طويلة.

قال المدائني: حدثني رجل من قريش قال: كنا عند فلان القرشي، فجاءه رجلٌ بجارية، فغته من السريع:
بالله يا ظبي بني الحارث .. هل من وفى بالعهد كالنكاث
وغته أيضاً بغناء ابن سريج من المنسرح:

يا طول ليل وبس لم أنم .. وسادي الهُم مبطن سقيي

فأعجبه، واستام مولاها فاشتط عليه فأبى شراءها، وأعجبت الجارية بالفتى، فلما امتنع مولاها من البيع إلا بشطط قال القرشي: فلا حاجة لنا في جاريتك، فلما قامت الجارية للانصراف رفعت صوتها، تقول:
إذا لم تستطع شيئاً فدعه .. البيت

قال: فقال الفتى القرشي: أفأنا لا أستطيع شراءك؟ والله لأشترينك بها بلغت، قالت الجارية: فذلك أردت.
قال القرشي: إني لا أخيبك، وابتاعها من ساعتها.

والشاهد فيه: الإرصاء، ويسميه بعضهم التسهيم، وهو: أن يجعل قبل العجز من الفقرة أو البيت، ما يدل على العجز إذا عرف الروي - وهو الحرف الذي تبنى عليه أواخر الأبيات أو الفقر - ويجب تكراره في كل منها فإنه قد يكون منها ما لا يعرف منه العجز لعدم معرفة حرف الروي.

(فالأول نحو قوله: قالوا أقترح شيئاً) من اقترحت عليه شيئاً إذا سألته إياه من غير روية وطلبتة على سبيل التكليف والتحكم وجعله من اقترح الشيء ابتدعه غير مناسب على ما لا يخفى.

(نجد) مجزوم على أنه جواب الأمر من الاجادة وهي تحسين الشيء.

(لك لطبخه، قلت: اطبخوا لي جبة وقميصاً)^(١) أي: خيطوا وذكر خياطة الجبة بلفظ الطبخ لوقوعها في صحبة طبخ الطعام.

(ونحوه: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]) حيث اطلق النفس على ذات الله تعالى لوقوعه في صحبة نفسي.

(والثاني) وهو ما يكون وقوعه في صحبة الغير تقديرًا.

(نحو) قوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦] إلى قوله:

(﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾)

(وهو) أي: قوله صبغة الله.

(مصدر) لأنه فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ.

(١) البيت من الكامل، وقائله أبو الرقعمق، يروى أنه قال: كان لي إخوان أربعة، وكنت أنادهم أيام الأستاذ كافور الإخشيدي، فجاءني رسولهم في يوم بارد، وليست لي كسوة تحمّني من البرد، فقال: إخوانك يقرأون عليك السلام ويقولون لك: قد اصطبحنا اليوم وذبحنا شاة سميّة فاشتة علينا ما نطبخ لك منها، قال: فكُتبت إليهم من الكامل:

إخواننا قصدوا الصبوح بسحرة فأبى رسولهم إليّ خصوصاً

قالوا اقترح شيئاً نُجِدْ لك طبخه .. قلت اطبخوا لي جبة وقميصاً

قال: فذهب الرسول بالرقعة، فما شعرت حتى عاد ومعه أربع خلع وأربع صرر في كل صرة عشرة دنانير، فلبست إحدى الخلع وصرت إليهم.

والشاهد فيه: المشاكلة، وهي: ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديرًا، وهي هنا قوله اطبخوا فإنه أراد خيطوا فذكر خياطة الجبة والقميص بلفظ الطبخ لوقوعها في صحبة طبخ الطعام.

(مؤكد لآمنّا بالله أي تطهير الله لأن الإيمان يطهر النفوس) فيكون آمنّا مشتقاً على تطهير الله لنفوس المؤمنين ودالاً عليه فيكون صبغة الله بمعنى تطهير الله مؤكداً لمضمون قوله آمنّا بالله ثم أشار إلى وقوع تطهير الله في صحبة ما يعبر عنه بالصبغ تقديرًا بقوله: (والأصل فيه) أي: في هذا المعنى وهو ذكر التطهير بلفظ الصبغ.

(أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون: إنه) أي: الغمس في ذلك الماء.

(تطهير لهم) فإذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال: الآن صار نصرانياً حقاً فأمر المسلمون بأن يقولوا للنصارى قولاً: آمنّا بالله وصبغنا الله بالإيمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيراً لا مثل تطهيرنا.

هذا إذا كان الخطاب في قوله: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ للكافرين، وإن كان الخطاب للمسلمين فالمعنى أن المسلمين أمروا بأن يقولوا صبغنا الله بالإيمان صبغة ولم يصبغ صبغتكُم أيها النصارى.

(فعبر عن الإيمان بالله بصبغة الله للمشاركة) لوقوعه في صحبة صبغة النصارى تقديرًا. (بهذه القرينة) الحالية التي هي سبب النزول من غمس النصارى أولادهم في الماء الأصفر وأن لم يذكره ذلك لفظاً. (ومنه) أي: ومن المعنوي.

(المزاوجة، وهي أن تزواج) أي: توقع المزاوجة على أن الفعل مسند إلى ضمير المصدر أو إلى الظرف أعني قوله.

(بين معنيين في الشرط والجزاء) والمعنى بجعل معنيين واقعان في الشرط والجزاء مزدوجين في أن يرتب على كل منهما معنى رتب على الآخر.

(كقوله: إذا ما نهى الناهي) ومنعنى عن حبها.

(فلج بي الهوى) لزمنى.

(أصاغت إلى الواشي) أي: استمعت إلى المنام الذي يشي حديثه ويزينه وصدقته فيما افترى عليّ.

(فليج بها الهجر)^(١) زواج بين نهي الناهي وإصاقتها إلى الواشي الواقعين في الشرط والجزاء في أن رتب عليهما لجاج شيء.

وقد يتوهم من ظاهر العبارة: أن المزاوجة هي أن نجتمع بين معنيين في الشرط ومعنيين في الجزاء كما جمع في الشرط بين نهي الناهي ولجاج الهوى وفي الجزاء بين إصاقتها إلى الواشي ولجاج الهجر وهو فاسد إذ لا قائل بالمزاوجة في مثل قولنا: إذا جاءني زيد فسلم عليّ أجلسه فانعمت عليه. وما ذكرنا هو المأخوذ من كلام السلف.

(ومنه) أي: من المعنوي.

(العكس) والتبديل.

(وهو أن يقدم جزء من الكلام على جزء آخر).

(ثم يؤخر) ذلك المقدم عن الجزء المؤخر أولاً، والعبارة الصريحة ما ذكره بعضهم وهو أن تقدم في الكلام جزءاً ثم تعكس فتقدم ما أخرت وتؤخر ما قدمت.

(١) البيت للبحري، من قصيدة من الطويل في الفتح بن خاقان، أولها
متى لاح برقٌ أو بدا طللٌ قفرٌ .. جرى مُسْتَهْلٌ لا بطوى ولا نَزْرُ
وما الشوق إلا لوعةٌ بعد لوعةٍ .. وغَزْرٌ من الأماق تبغها غَزْرُ
فلا تذكر أعهْدَ التصابي فإنه تقْضي ولم يشعر به ذلك العصر

إلى أن يقول فيها:

هل العيش إلا أن تساعفنا النوى .. بوَصْلٍ سَعَادٍ أو يساعِدنا الدهرُ

إلى أن يقول فيها:

على أنها ما عندها لمُؤَاصِلٌ .. وصَالٌ ولا عنها لمصطبرٌ صبرٌ

وبعده البيت، وهي طويلة يقول منها في المخلص:

لعمرك ما الدنيا بناقصة الجُتْدَا .. إذا بقى الفَتْحُ بن خاقان والقطرُ

ومعنى أصاغت استمعت، والواشي: المنام الذي يشي حديثه ويزينه.

والشاهد فيه: المزاوجة، وهي: أن يزواج المتكلم بين معنيين في الشرط والجزاء، فهنا زواج بين نهي الناهي وإصاقتها إلى الواشي الواقعين في الشرط والجزاء في أن يترتب عليهما لجاج شيء.

وظاهر عبارة المصنف صادق على نحو: عادات السادات أشرف العادة وهو ليس من العكس.

(ويقع) العكس.

(على وجوه: منها أن يقع بين أحد طرفي جملة وبين ما أضيف إليه ذلك الطرف نحو: عادات السادات سادات العادات) فالعادات أحد طرفي الكلام والسادات مضاف إليه لذلك الطرف. وقد وقع العكس بينهما بأن قدم أولا العادات على السادات ثم السادات على العادات.

(ومنها) أي: من الوجوه.

(أن يقع بين متعلقي فعلين في جملتين نحو: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [الأنعام: ٩٥]) فالحي والميت متعلقان بيخرج وقد قدم أولا الحي على الميت وثانيا الميت على الحي.

(ومنها) أي: من الوجوه.

(أن يقع بين لفظين في طرفي جملتين نحو: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَّهُنَّ﴾ [المتحنة: ١٠]) قدم أولا هن على هم وثانيا هم على هن وهما لفظان وقع أحدهما في جانب المسند إليه والآخر في جانب المسند. ومنه أي: من المعنوي.

(الرجوع، وهو العود إلى الكلام السابق بالنقض) أي: بنقضه وإبطاله.

(لنكتة كقوله:

قف بالديار التي لم يعفها القدم)

أي: لم يبلها تطاول الزمان وتقادم العهد ثم عاد إلى ذلك الكلام ونقضه بقوله.

(بلى وغيرها الأرياح والديم)^(١)

(١) البيت من البسيط، وهو أول قصيدة لزهري بن أبي سلمى، يمدح بها هرم بن سنان، ويَعْدَهُ:

لَا الدَّارُ غَيْرَهَا بَعْدَ الْأَنْبَسِ وَلَا .. بِالْدَّارِ لَوْ كَلَّمْتُ ذَا حَاجَةٍ صَمُمُ

أي: الرياح والأمطار، والنكتة إظهار التحير والتدله كأنه أخبر أولاً بما لا تحقق له ثم أفاق بعض الإفاقة فنقض الكلام السابق قائلاً بلى عفاها القدم وغيرها الارياح والمديم.
(ومنه) أي: ومن المعنوي.

(التورية وتسمى الإيهام أيضاً، وهو أن يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد ويراد به البعيد) اعتياداً على قرينة خفية.

(وهي ضربان) الأولى.

(مجردة وهي) التورية.

(التي لا تجمع شيئاً مما يلائم) المعنى.

(القريب نحو الرحمن على العرش استوى) فإنه أراد باستوى معناه البعيد وهو استولى ولم يقرن به شيء مما يلائم المعنى القريب الذي هو الاستقرار.
(و) الثانية.

(مرشحة) وهي التي تجمع شيئاً مما يلائم المعنى القريب.

دارٌ لأسماء بالغمرين ماثلة .. كالوحي ليس لها من أهلها أرمٌ

يقول منها في مدحه:

إن البخيل ملومٌ حيثُ كان .. ولكن الجوادَ على علاقته هَرِمٌ
هو الجوادُ الذي يعطيك ناثلة .. عفواً وظلمٌ أحياناً فيظلمُ
فإن أناه خليلٌ يومَ مسألة ... يقولُ لا غائبٌ مالي ولا حرمٌ

وهي طويلة.

والأرواح: جمع ريح، ويجمع على أرياح أيضاً، وريح بكسر الراء وفتح الياء. والديم: جمع ديمة، وهي المطر الدائم في سكون.

والشاهد في البيت: الرجوع، وهو العود إلى الكلام السابق، بالنقض والإبطال لنكتة، فهنا دل صدر البيت على أن تطاول الزمان وتقدم العهد لم يعف الديار، ثم عاد إليه ونقضه في عجز البيت بأنه قد غيرتها الرياح والأمطار لنكتة، وهي هنا: إظهار الكآبة والحزن والحيرة والدهش، كأنه خبر أولاً بما لم يتحقق، ثم رجع إليه عقله وأفاق بعض الإفاقة فنقض كلامه السابق.

(نحو: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧]) أراد بالأيدى معناه البعيد وهو القدرة وقد قرن لها ما يلائم المعنى القريب الذي هو الجارية المخصوصة وهو قوله بنيناها إذ البناء يلائم اليد وهذا مبنى على ما اشتهر بين أهل الظاهر من المفسرين. وإلا فالتحقيق أن هذا تمثيل وتصوير لعظمته وتوقيف على كنهه جلالة من غير أن يتمحل للمفردات حقيقة أو مجازاً.

(ومنه) أي: ومن المعنوي.

(الاستخدام وهو أن يراد بلفظ له معنيان أحدهما ثم يراد بضميره) أي: بالضمير العائد إلى ذلك اللفظ.

(معناه الآخر أو يراد باحد ضميريه أحدهما) أي: أحد المعنيين ثم يراد بالآخرى معناه الآخر ويموز في كليهما أن يكونا حقيقيين وأن يكونا مجازيين أو أن يكونا مختلفين.
(فالأول) وهو أن يراد باللفظ أحد المعنيين وضميره معناه الآخر.
(كقوله:

إذا نزل السماء بأرض قوم
رعيناه وإن كانوا غضاباً^(١)

(١) نسب غالب شارحي التلخيص هذا البيت لجرير، وهو من قصيدة من الوافر، أولها:

أقلى اللرم عاذل والعتابا .. وقولي إن أصبت لقد أصابا
أجدك ما تذكر عهد نجد وحيّاً طالما انتظروا الإيابا
بلّ فارقض دمعك غير نزر .. كما عيّنت بالسرب الطبابا
وهاج البرق ليلة أذرعاب ... هوى ما تستطيع له طلابا

وهي طويلة، والسماء: الغيث.

ونسبه المفضل في اختياراته لمعاوية بن مالك بن جعفر معود الحكماء وساقه في قصيدة طويلة أولها:

أجد القلب من سلمى اجتنابا .. وأقصر بعد ما شابث وشابا
وشاب لِدَانُهُ وعدلن عنه كما أنضيت من لُيس ثيابا
فإن يك نبلها طاشت ونبلي ... فقد نرمت بها حقاً صيابا
فتصطاد الرجال إذا رمتهم وأصطاد المخبأة الكمابا

منها:

جمع غضبان أراد بالسما الغيث والضمير الراجع إليه في رعيناه، النبت وكلا المعنيين مجازي.

(والثاني) وهو أن يراد بأحد ضميره أحد المعنيين وبالضمير الآخر معناه الآخر.
(كقوله:

فسقى الغضا والساكنيه وإن هم شبهه بين جوانحي وضلوعي^(١)
أراد بأحد ضميري الغضا أعني المجرور في الساكنيه المكان الذي فيه شجرة الغضا
وبالآخر أعني المنصوب في شبه النار الحاصلة من شجرة الغضا وكلاهما مجازي.
(ومنه) أي: من المعنوي.

(اللف والنشر، وهو ذكر متعدد على التفصيل أو الإجمال ثم) ذكر.

وكنْتُ إِذَا الْعَظِيمَةُ أَفْرَعَتْهُمْ .. نَهَضْتُ وَلَا أَدْبُّ لَهَا دَبَابًا
بِحَمْدِ اللَّهِ ثُمَّ عَطَاءٌ قَوْمٌ يَفْكَوْنَ الْغَنَائِمَ وَالرَّقَابَا
إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضِي قَوْمٌ رَعِينَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابَا
بِكُلِّ مُقْلَصٍ عَبَلٍ شَوَاهُ إِذَا وُضِعَتْ أَعْتَنَهُنَّ ثَابَا

وبدل على أن هذا البيت من هذه القصيدة أنه لم يوجد في قصيدة جرير على اختلاف رواة ديوانه.
والشاهد فيه: الاستخدام، وهو أن يراد بلفظ له معنيان أحدهما ثم يراد بضميره الآخر، أو يراد بأحد
ضميره أحدهما، ثم يراد بالآخر الآخر، فالأول كما في البيت هنا، فإنه أراد بالسما الغيث، وبالضمير
الراجع إليه من رعيناه النبت.

(١) البيت للبحري، وهكذا هو في ديوانه وإن كان في كثير من نسخ التلخيص، بل وفي كثير من كتب هذا
الفن بلفظ بين جوانحي وضلوعي، وهو من قصيدة من الكامل أولها.

كم بالكثيب من اعتراض كثيب .. وقوام غصني في الشياح رطيب
تأبى المنازل أن تحيب ومن جوى ... يوم الديار دعوت غير نجيب

وبعد البيت، وهي طويلة.

والغضا: شجر معروف، وأحدثه غضاة، وأرض غضبانة: كثيرته.

والشاهد فيه: الاستخدام أيضاً، فإنه أراد بأحد الضميرين الراجعين إلى الغضا وهو المجرور في الساكنيه
المكان وهو ارض لبني كلاب وواد بنجد، وبالآخر وهو المنصوب في شبه النار أي أوقدوا في جوانحي نار
الغضا، يعني نار الهوى التي تشبه نار الغضا، وخص الغضا دون غيره لأن جرمه بطيء الانطفاء.

(ما لكل واحد من آحاد هذا المتعدد من غير تعيين ثقة) أي: الذكر بدون التعيين لأجل الوثوق.

(بأن السامع يرده إليه) أي: يرد ما لكل من آحاد هذا المتعدد إلى ما هو له لعلمه بذلك بالقرائن اللفظية أو المعنوية.

(فالأول) وهو أن يكون ذكر المتعدد على التفصيل.

(ضربان لأن النشر إما على ترتيب اللف) بأن يكون الأول من المتعدد في النشر للأول من المتعدد في اللف والثاني للثاني وهكذا إلى الآخر.

(نحو: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ [القصص: ٧٣]) ذكر الليل والنهار على التفصيل ثم ذكر ما لليل وهو السكون فيه وما للنهار وهو الابتغاء من فضل الله فيه على الترتيب.

فإن قيل: عدم التعيين في الآية ممنوع فإن المجرور من فيه عائد إلى الليل لا محالة.

قلنا: نعم ولكن باعتبار احتمال أن يعود إلى كل من الليل والنهار يتحقق عدم التعيين.

(وأما على غير ترتيبه) أي: ترتيب اللف سواء كان معكوس الترتيب.

(كقوله:

كيف أسلو وأنت حقف)

وهو البقاء من الرمل.

(وغصن وغزال لحظا وقدا وردفا)^(١)

فالحظ للغزال، والقدا للغصن والردف للحقف، أو مختلطا كقولك هو شمس وأسد وبحر جودا وبهاء وشجاعة.

(١) البيت من الحفيف، وهو منسوب لابن حيوس، ولم أره في ديوانه، ولعله ابن حيوس الإشيلي.

والحقف بكسر الحاء الرمل العظيم المستدير.

والشاهد فيه: اللف والنشر، وهو: ذكر متعدد على التفصيل أو الإجمال، ثم ذكر ما لكل واحد من آحاد المتعدد من غير تعيين، ثقة بأن السامع يرد ما لكل من آحاد المتعدد إلى ما هو له، ثم الذي على سبيل التفصيل ضربان؛ لأن النشر إما على ترتيب اللف، وإما على غير ترتيبه كما في البيت هنا، وهو ظاهر.

(والثاني) وهو أن يكون ذكر المتعدد على الإجمال.

:- (نحو قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾

[البقرة: ١١١]) فإن الضمير في قالوا لليهود والنصارى فذكر الفريقان على وجه الإجمال بالضمير العائد إليهما ثم ذكر ما لكل منهما.

(أي قالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هودا، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى فلف) بين الفريقين أو القولين إجمالا.

(لعدم الالتباس) والثقة بأن السامع يرد إلى كل فريق أو كل قول مقوله.

(للعلم) بتضليل كل فريق صاحبه واعتقاده أن داخل الجنة هو لاصاحبه. ولا يتصور في هذا الضرب الترتيب وعدمه.

ومن غريب اللف والنشر أن يذكر متعدد أن أو أكثر ثم يذكر في نشر واحد ما يكون لكل من آحاد كل المتعدين كما تقول الراحة والتعب في العدل والظلم قد سد من أبوابها ما كان مفتوحا وفتح من طرقها ما كان مسدودا.
(ومنه) أي: ومن المعنوي.

(الجمع) وهو أن يجمع بين متعدد اثنين أو أكثر.

(في حكم واحد كقوله تعالى: ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [الكهف: ٤٦] ونحو

قاله) أي: قول أبي العتاهية، علمت يا مجاشع بن مسعدة.

(إن الشباب والفراغ والجدّة) أي: الاستغناء.

(مفسدة) أي: داعية إلى الفساد.

(للمرء أي مفسدة^١). ومنه) أي: ومن المعنوي.

(١) البيت لأبي العتاهية، من أرجوزته المزدوجة التي سماها ذات الأمثال يقال: إن له فيها أربعة آلاف مثل، فمنها:

حسبك بما تبغيه القوت .. ما أكثر القوت لمن يموت
الفقر فينا جاوز الكفا .. من اتقى الله رجا وخافا

(التفريق: وهو إيقاع تباين بين أمرين من نوع في المدح أو غيره كقوله:

ما نوال الغمام وقت ربيع كنوال الأمير يوم سخاء

فنوال الأمير بدرة عين)

هي عشرة آلاف درهم.

(ونوال الغمام قطرة ماء)^(١)

أوقع التباين بين النوالين.

(ومنه) أي: ومن المعنوي.

(التقسيم: وهو ذكر متعدد ثم إضافة ما لكل إليه على التعيين) وبهذا القيد يخرج اللف

والنشر وقد أهمله السكاكي فتوهم بعضهم أن التقسيم عنده أعم من اللف والنشر.

أقول: إن ذكر الإضافة مغن عن هذا القيد إذ ليس في اللف والنشر إضافة ما لكل إليه

بل يذكر فيه ما لكل إليه حتى يضيفه السامع إليه ويرده.

(كقوله: أي: قول المتلمس.

هِيَ الْمَقَادِيرُ فَلَمَنِي أَوْ فَذَرْ .. إِنْ كُنْتُ أَخْطَأْتُ فَمَا أَخْطَأَ الْقَدَرُ
لِكُلِّ مَا يُؤْذِي وَإِنْ قَلَّ أَلَمْ مَا أَطْوَلَ اللَّيْلَ عَلَى مَنْ لَمْ يَنْمِ
مَا انْتَفَعَ الْمَرْءُ بِمَثَلِ عَقْلِهِ وَخَيْرُ دُخْرِ الْمَرْءِ حُسْنُ فِعْلِهِ
إِنَّ الْفَسَادَ ضِدُّهُ الصَّلَاحُ وَرُبَّ جَدِّ جَزَةِ الْمَزَاحِ
مَنْ جَعَلَ النَّهَامَ عِبَاءً هَلَكَا مُبْلَغُكَ الشَّرَّ كِبَاغِيهِ لَكَ

ويعده البيت، ويعده:

يُغْنِيكَ عَنْ كُلِّ قَبِيحٍ تَرْكُهُ .. يَرْتَهِنُ الرَّأْيَ الْأَصِيلَ شَكُّهُ

وهي طويلة جداً، وهذا الأنموذج كاف منها والجدّة: الاستغناء، والمفسدة: الخلة الداعية إلى الفساد.

والشاهد فيه: الجمع، وهو الجمع بين متعدد في حكم، وهو ظاهر في البيت

(١) البيتان لرشيد الدين الوطواط الشاعر، من الخفيف.

والنوال: العطاء، والبدرة: كيس فيه ألف دينار، أو عشرة آلاف درهم، أو سبعة آلاف درهم، أو سبعة آلاف

دينار، والعين هنا: المال.

والشاهد فيهما: التفريق، وهو: إيقاع تباين بين أمرين من نوع في المدح أو في غيره.

(ولا يقيم على ضيم) أي: ظلم.

(يراد به) الضمير عائد إلى المستثنى منه المقدر العام.

(إلا الأذلان) في الظاهر فاعل لا يقيم وفي التحقيق يدل أي لا يقيم أحد على ظلم يقصده إلا هذان.

(عير الحي) وهو الحمار.

(والوتد هذا) أي: عير الحي.

(على الخسف) أي: الذل.

(مربوط برمته) هي قطعة جبل بالية.

(وذا) أي: الوتد.

(يشج) أي: يدق ويشق رأسه.

(فلا يرثي) أي: فلا يرق ولا يرحم.

(له أحد)^(١) ذكر العير والوتد ثم أضاف إلى الأول الربط على الخسف وإلى الثاني الشج

على التعيين.

(١) البيتان من البسيط، وقائلهما المتلمس من أبيات، وهي:

ولا يقيم على ضيم يراد به إلا الأذلان عير الحي والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشج فلا يرثي له أحد
إن الهوان حار الأهل يعرفه والحر ينكره والرسلة الأجد
كونوا كسامة إذ ضنك منازلهم إذ قيل جيش وجيش حافظ عند
شد المطية بالانساع فأنحرفت عرض التتوفة حتى مسها النجد
كونوا كبكر كما قد كان أولكم .. ولا تكونوا كعبد القيس إذ قعدوا
يغطون ما سئلوا والبحر محتدهم كما أكب على ذي بطنه الفهد

وبعد البيتان، وبعدهما قوله:

وفي البلاد إذا ما خفت نائرة .. مشهودة عن ولاة سوء تنتقد

والضيم: الظلم، والعير، بفتح المهملة: الحمار، وغلب على الوحشي، والمناسب هنا: الأهلي، والخسف: النقيصة، والإذلال: تحميل الإنسان ما يكره، وحبس الدابة بلا علف، والرمة بضم الراء، وتكسر: قطعة من

وقيل: لا تعيين لأن هذا وذا متساويان في الإشارة إلى القريب فكل منهما يحتمل أن يكون إشارة إلى العير وإلى الوتد فالبيت من اللف والنشر دون التقسيم.
وفيه نظر؛ لأننا لا نسلم التساوي بل في حرف التشبيه إبقاء إلى أن القرب فيه أقل بحيث يحتاج إلى تنبيه ما بخلاف المجرد عنها فهذا للقريب أعني العير، وذا للاقرب أعني الوتد. وأمثال هذه الاعتبارات لا ينبغي أن تهمل في عبارات البلغاء بل ليست البلاغة إلا رعاية أمثال ذلك.

(ومنه) أي: ومن المعنوي.

(الجمع مع التفريق وهو أن يدخل شيان في معنى ويفرق بين جهتي الإدخال كقوله:

فوجهك كالنار في ضوئها وقلبي كالنار في حرها^(١)

أدخل قلبه ووجه الحبيب في كونها كالنار ثم فرق بينهما بأن وجه الشبه في الوجه الضوء واللمعان وفي القلب الحرارة والاحتراق.
(ومنه) أي: ومن المعنوي.

(الجمع مع التقسيم، وهو جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه أو العكس) أي: من تقسيم متعدد ثم جمعة تحت حكم.

(فالأول) أي: الجمع ثم التقسيم.

(كقوله حتى أقام) أي: الممدوح ولتضمن الإقامة معنى التسليط عداها بعلى فقال.

=

حبل، والشج: الكسر والدق، والاستثناء في إلا الأذنان استثناء مفرغ وقد أسند إليه فعل الإقامة في الظاهر، وإن كان مسنداً في الحقيقة إلى العام المحذوف.

والشاهد فيها: التقسيم، وهو ذكر متعدد، ثم إضافة ما لكل إليه على التعيين، فإنه ذكر العير والوتد، ثم أضاف إلى الأول الربط مع الخصف، وإلى الثاني الشج، على التعيين.

(١) البيت لرشيد الدين الوطواط، والشاهد فيه: الجمع مع التفريق، وهو: إدخال شيئين في معنى، والتفريق بين جهتي الإدخال، فهنا أدخل وجه الحبيب وقلبه في كونها النار، ثم فرق بينهما بأن جهة إدخال الوجه من جهة الضوء، وإدخال القلب من جهة الحر والإحراق.

(علي الرضا) جمع رضى وهو ما حول المدينة.

(خرشنة) وهي بلدة من بلاد الروم.

(تشتي به الروم والصلبان) جمع صليب النصرى.

(والبيع) جمع بيعة وهي مدينتهم وحتى متعلق بالفعل في البيت الصلبي أعني بلاد

القباب أي العساكر جمع في هذا البيت شقلاء الروم بالمدح ثم تقسم فقال.

(البيسي ما نكحوا والقتل ما ولدوا) ذكر ما دون من العانة وقلة اللوات بهم كلهم من

غير ذوي العقول والملائمة بقوله:

(والنهب ما جمعوا والثار ما زرعوا والثاني) أي: التقسيم ثم الجمع.

(كقوله:

(١) البيتان لأبي الطيب الخثي من قصيدة من البسيط، يمدح فيها صيف اللؤلؤة ابن حمدان، الوفا:

عَنِّي بِأَكْبَرِ هَذَا النَّاسِ يُخْرِجُ... إِنْ قَاتَلُوا جَمْعُوا أَوْ حَلَّتُوا تَجْمَعُوا
أَهْلُ الْخَفِيَّةِ إِلَّا أَنْ تُجَرِّبَهُمْ... وَفِي التَّجَارِبِ بَعْدَ الْعَمَى مَا يَزِيدُ
وَمَا الْحَيَاةُ وَنَفْسِي بَعْدَ مَا عَلِمْتُ... أَنَّ الْحَيَاةَ كَمَا لَا تُقْتَلُ طَمَحُ
لَيْسَ الْجَهْلُ لَوْ جِئَ صَحَّ مَارْتُهُ... أَنْفُ الْعَزِيزِ يَقْطَعُ الْعَزَّ يُجْتَمِعُ
أَطْرَحُ الْجَدَّ عَنْ يَحْفَى وَأَطْلُبُهُ... وَأَتْرُكُ الْعَيْثَ فِي غَمْدِي وَالتَّجَمُّعُ
وَالْمُتَرَفُّ لَا زَالَتْ مُسْرَفُهُ... دَوَانَةُ كُلِّ كَرِيمٍ أَوْ هِيَ الْوَجْعُ
وَفَارِسُ الْجَلِّ مَنْ خَفَّتْ قَوْرُهُ... فِي الْقَرْبِ وَالْقَمِ فِي الْعَطَايَا دَعْمُ
وَأَوْجَدُهُ وَمَا فِي قَلْبِي كَلْفُ... وَأَغْضَيْتُهُ وَمَا فِي الْقَطْرِ قَدْفُ
بِالْجَنِّشِ يَنْتَمِعُ السَّادَتُ كُلُّهُمْ... وَالْجَنِّشُ بِأَيْنِ أَلِي الْعِجَالِ يَحْتَمُ
قَادَ الْمَنَاقِبِ أَفْصَى مُزْمَعًا تَجَلَّ... عَلَى الشُّكْمِ وَالْحَنَى سَتَرَهَا سَرْمُ
لَا يَعْطِي بَلَدَ مُسْرَةٍ عَنْ بَلَدٍ... كَاللَّوْبِ لَيْسَ لَهُ رِيٌّ وَلَا شَبْعُ

وبعد البيتان، والقصيدة طرلة فريدة. والأرياض: جمع رضى، ينتج البلاء، وهو سور السديتة وخرشنة: بلاد الروم وهي التي نسي الآن أماضية، والبيع: جمع بيعة، يكثر البلاء، وهي صعيد التمساح، ولما لم يقل من نكحوا أو من ولدوا ليرافق قوله والنهب ما جمعوا والثار ما زرعوا واللدلالة على إعادتهم ونجدة المبالاة بهم: حتى كاهم لبوا من جنس من يعقل فيخاطبون بخطابيه.

والشاهد لهما: الجمع مع التقسيم، وهو جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه، أو تقسيم متعدد ثم جمعه تحت حكم، فالأول كما في البيتين وهو: الثامن، والثاني كما في البيتين الآخرين: بعدهما

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم (أو حاولوا)

أي: طلبوا.

(النفع في اشياعهم) أي: اتباعهم وانصارهم.

(نفعوا سجية) أو غريزة وخلق.

(وتلك) الخصلة.

(منهم غير محدثة إن الخلائق) جمع خليفة والطبيعة وهي الخلق.

(فاعلم شرها البدع)^(١) جمع بدعة وهي المبتدعات والمحدثات قسم في الأول صفة

الممدوحين إلى ضرر الاعداء ونفع الاولياء ثم جمعها في الثاني تحت كونها سجية.

(١) البيتان لحسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، من قصيدة من البسيط قالها حين قدم وفد تميم على النبي صلى الله عليه وسلم، وفيهم الأقرع بن حابس، والزبرقان بن بدر، وعطارد بن حاجب، وأرادوا المفارقة بخطيهم - وهو عطارد - وشاعرهم - وهو الزبرقان - في خبر طويل، والقصيدة أولها:

إِنَّ الدَّوَابَّ مِنْ فَهْرٍ وَإِخْوَتِهِمْ .. قَدْ بَيَّنَّا سُنَّةَ لِلنَّاسِ تَتَّبِعُ
يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سِرِيرَتُهُ .. تَقْوَى إِلَهَهُ وَبِالْأَمْرِ الَّذِي شَرَعُوا

وبعده البيتان، وبعدهما:

لَا يَرْفَعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفُهُمْ .. عِنْدَ الدِّفَاعِ وَلَا يَوْهُونَ مَا رَقَعُوا
إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَاقُونَ بَعْدَهُمْ فَكُلُّ سَبْقٍ لَدُنِّي سَبْقُهُمْ تَبِعُ
أَعَقَّةَ ذَكَرْتُ فِي الْوُخْيِ عَقَّتُهُمْ لَا يَطْبَعُونَ وَلَا يُزْرَى بِهِمْ طَبِعُ
وَلَا يَضْنُونَ عَنْ جَارٍ بِفَضْلِهِمْ وَلَا يَمْشُهُمْ مِنْ مَطْمَعٍ طَمِعُ
يَسْمُونَ لِلْحَرْبِ تَبْدُو وَهِيَ كَالْحَلَّةِ .. إِذَا الزَّعَانِفُ مِنْ أَظْفَارِهَا خَشَعُوا
لَا يَفْرَحُونَ إِذَا نَالُوا عَدُوَّهُمْ وَإِنْ أَصْبُوا فَلَا خَوْزَ وَلَا جُزْعُ
كَأَنَّهُمْ فِي الْوَعَى وَالْمَوْتُ مَكْتَنَعٌ أَسْوَدَ بَيْشَةٍ فِي أَرْسَاعِهَا فَدَعُ
خُذْ مِنْهُمْ مَا اتَّقُوا عَفْوَاً وَمَا مَنَعُوا فَلَا يَكُنْ هَمُّكَ الْأَمْرَ الَّذِي مَنَعُوا
فَإِنَّ فِي حَزْبِهِمْ فَاتَرُكْ عَدَاوَتَهُمْ سُبًّا يَخَاضُ عَلَيْهِ الصَّابُ وَالسَّلْعُ
أَكْرَمُ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ فَائِدُهُمْ إِذَا تَفَرَّقَتِ الْأَهْوَاءُ وَالشُّبْعُ
أَهْدِي لَهُمْ مِذْحَتِي قَلْبٌ يُوَازِرُهُ فِيمَا أَرَادَ لِسَانٌ حَازِقٌ صَنَعُ
وَأَنَّهُمْ أَفْضَلُ الْأَحْيَاءِ كُلَّهُمْ إِنْ جَدَّ بِالنَّاسِ جِدُّ الْقَوْلِ أَوْ سَمِعُوا

(ومنه) أي: ومن المعنوي.

(الجمع مع التفريق والتقسيم). وتفسيره ظاهر مما سبق فلم يتعرض له.

(كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ [هود: ١٠٥]) يعني يأتي الله أي أمره أو يأتي اليوم أي هو

له والظرف منصوب بإضمار اذكروا بقوله.

(﴿لَا تَكَلِّمْ نَفْسٌ﴾) أي: بما ينتفع من جواب أو شفاعة.

(﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ﴾) أي: من أهل الموقف.

(﴿شَقِيٌّ﴾) مقضى له بالنار.

(﴿وَسَعِيدٌ﴾) مقضى له بالجنة.

(﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَبِالنَّارِ هُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾) أي: إخراج النفس بشدة.

(﴿وَشَهِيْقٌ﴾) رده بشدة.

(﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾) أي: سموات الآخرة وارضها. وهذه

العبارة كناية عن التأييد ونفى الانقطاع.

(﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾) أي: إلا وقت مشيئة الله تعالى.

(﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾) من تخليد البعض الكفار وإخراج البعض كالفاسق.

ولما أنشد حسان رضي الله عنه هذه القصيدة بعد أن خطب ثابت بن شماس خطبته المشهورة، قال الأقرع بن حابس: إن هذا الرجل لمؤتى له، والله لشاعره أشعر من شاعرنا، ولخطيبه أخطب من خطيبنا، ولأصواتهم أرفع من أصواتنا، أعطني يا محمد، فأعطاه، فقال: زدني، فزاده، فقال: اللهم إنَّ سيد العرب، وهم الذين أنزل الله في حقهم "إِنَّ الَّذِينَ ينادونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ".

ومعنى حاولوا راموا وطلبوا، والأشباع: جمع شعبة - بكسر الشين المعجمة - وهي: الأنصار والأتباع، والفرقة: تقع على الواحد والاثنين، والجمع والمذكر والمؤنث، والسجية: الغريزة، وما جُبل عليه الإنسان، والخلائق: جمع خليفة، وهي الطبيعة هنا، والبِدْع: جمع بدعة، وهي الحَدَث في الدين بعد الكمال، والمراد بها هنا مستحدثات الأخلاق لا ما هو كالغرائز فيها. والشاهد فيها: القسم الثاني من الجمع مع التقسيم، فإنَّه قَسَمَ في البيت الأول صفة الممدوحين إلى ضرر الأعداء، ونفع الأولياء، ثم جمعها في البيت الثاني في كونها سجية.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ يُجْدُوذُ﴾ [هود: ١٠٨] أي: غير مقطوع بل ممتد إلى غير النهاية ومعنى الاستثناء في الأول أن بعض الأشقياء لا يخلدون في النار كالعصاة من المؤمنين الذين شقوا بالعصيان.

وفي الثاني: أن بعض السعداء لا يخلدون في الجنة بل يفارقونها ابتداء يعني أيام عذابهم كالفساق من المؤمنين الذي سعدوا بالإيمان والتأييد من مبدأ معين فكما يتقضى باعتبار الانتهاء فكذلك باعتبار الابتداء.

فقد جمع الأنفس بقوله: ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ﴾ [هود: ١٠٥] ثم فرق بينهم بأن بعضهم شقى وبعضهم سعيد بقوله: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ ثم قسم بأن أضاف إلى الأشقياء ما لهم من عذاب النار وإلى السعداء ما لهم من نعيم الجنة بقوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا﴾ إلى آخر الآية. (وقد يطلق التقسيم على أمرين آخرين أحدهما: أن يذكر أحوال الشيء مضافاً إلى كل من تلك الأحوال) ما يليق به كقوله:

سأطلب حقي بالقناء والمشايخ كأنهم من طول ما التسموا مرد^(١)
(ثقال) أي: لشدة وطائهم على الاعداء.
(إذا لا قوا) أي: حاربوا الاعداء.
(خفاف) أي: مسرعين إلى الاجابة.
(إذا دعوا) إلى كفاية مهم ودفاع ملم.
(كثير إذا شدوا) لقيام واحد مقام الجماعة.
(قليل إذا عدوا) ذكر أحوال المشايخ واطاف إلى كل حال ما يناسبها بأن اضاف إلى الثقل حال الملاقة وإلى الخفة حال الدعاء وهكذا إلى الآخر.

(١) البيت للمنتبي، من قصيدة أولها:

أقلُ فعالي بلة أكرهه مجد .. وذا الجد فيه نلت أو لم أنسل جد
سأطلب حقي بالقناء ومشايخ .. كأنهم من طول ما التسموا مُرد.

(والثاني استيفاء أقسام الشيء كقوله تعالى ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ لِمَن يَشَاءُ عَاقِبًا﴾ [الشورى: ٤٩-٥٠]) فإن الإنسان إما أن لا يكون له ولد أو يكون له ولد ذكر أو أنثى أو ذكر وأنثى، وقد استوفى في الآية جميع الأقسام.

(ومنه) أي: ومن المعنوي.

(التجريد وهو أن يتزع من أمر ذي صفة) أمر.

(آخر مثله فيها) أي: مماثل لذلك الأمر ذي الصفة في تلك الصفة.

(مبالغة) أي: لأجل المبالغة وذلك.

(لكمالها) أي: تلك الصفة.

(فيه) أي: في ذلك الأمر حتى كأنه بلغ من الاتصاف بتلك الصفة إلى حيث يصح أن

يتزع منه موصوف آخر بتلك الصفة.

(وهو) أي: التجريد.

(أقسام منها) أي: ما يكون بمن التجريدية.

(نحو قولهم: لي من فلان صديق حميم) أي: قريب يهتم لامره.

(أي بلغ فلان من الصداقة حدا صح معه) أي: مع ذلك الحد.

(أن يستخلص معه) أي: من فلان صديق.

(آخر مثله فيها) أي: في الصداقة.

(ومنها) ما يكون بالباء التجريدية الداخلة على المتزع منه.

(نحو قولهم: لئن سألت فلانا لتسألن به البحر) بالغ في اتصافه بالسباحة حتى أنتزع منه

بحرا في السباحة.

(ومنها) ما يكون بدخول باء المعية في المتزع.

(نحو قوله: وشوهاء) أي: فرس قبيح المنظر لسعة اشتدائها أو لما أصابها من شدائد الحرب.

(تعدوا) أي: تسرع.

(بي إلى صارخ الوغى) أي: مستغيث في الحرب.

(بمستلثم) أي: لا بس لامة وهي الدرع والباء للملابسة والمصاحبة.

(مثل الفتيق) هو الفحل المكرم.

(المرحل)^(١) من رحل البعير أشخصه من مكانه وأرسله أي تعدو بي ومعني من نفسي

مستعد للحرب بالغ في استعداده للحرب حتى أنتزع منه مستعدا آخر.

(ومنها) أي: ما يكون بدخول في في المنتزع منه.

(نحو قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ [فصلت: ٢٨] أي في جهنم وهي دار الخلد)

لكنه انتزع منه دارا أخرى وجعلها معدة في جهنم لأجل الكفار تهويلا لامرها ومبالغة في اتصافها بالشدّة.

(ومنها) ما يكون بدون توسط حرف.

(نحو قوله: فلئن بقيت لأرحلن بغزوة، تحوي) أي: تجمع.

(الغنائم أو يموت) منصوب بإضمار أن، أي: إلا أن يموت.

(كريم) يعني نفسه انتزع من نفسه كريما مبالغة في كرمه، فإن قيل هذا من قبيل

الالتفات من التكلم إلى الغيبة، قلنا لا ينافي التجريد على ما ذكرنا.

(١) البيت من الطويل، ولا يعرف قائله.

وشوهاء: صفة لفرس، وهي الطويلة الرائعة، والمفرطة رحب الشدين والمنخرين، والوغى: الحرب، والمستلثم: لا بس اللامة وهو الدرع، والفتيق: الفحل المكرم لا يؤذي لكرامته على أهله ولا يركب، ويجمع على فُتُق - بضم أوله وثانيه - والمرحل: من رَحَلَ البعير أشخصه عن مكانه وأرسله.

والشاهد فيه: التجريد، وهو أن ينتزع من أمر ذي صفة آخر مثله فيها مبالغة لكما لها فيه، وهنا قال: تعدو بي ومعني من نفسي لا بس درع لكمال استعدادي للحرب، فبالغ في اتصافه بالاستعداد حتى أنتزع منه مستعداً آخر لا بس درع، والله أعلم.

(وقيل تقديره أو يموت مني كريم) فيكون من قبيل لي من فلان صديق حميم ولا يكون قسماً آخر.

(وفيه نظر) لحصول التجريد تمام المعنى بدون هذا التقدير.

(ومنها) ما يكون بطريق الكناية.

(نحو قوله:

يا خير من يركب المطي ولا يشرب كأساً بكف من بخلاً^(١)

أي: تشرب الكأس بكف الجواد انتزع منه جواد يشرب هو بكفه على طريق الكناية؛ لأنه إذا نفى عنه الشرب بكف البخيل فقد ثبت له الشرب بكف كريم ومعلوم أنه يشرب بكفه فهو ذلك الكريم، وقد خفي هذا على بعضهم فزعم أن الخطاب أن كان لنفسه فهو تجريد وإلا فليس من التجريد في شيء بل كناية عن كون الممدوح غير بخيل، وأقول: الكناية لأننا في التجريد على ما قررناه ولو كان الخطاب لنفسه لم يكن قسماً بنفسه بل داخل في قوله: (ومنها مخاطبة الإنسان نفسه) وبيان التجريد في ذلك أنه ينتزع من نفسه شخصاً آخر مثله في الصفة التي سبق لها الكلام ثم يخاطبه.
(كقوله:

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسهذ النطق إن لم يسعد الحال^(٢)

(١) البيت من المنسرح، وقائله الأعشى، من قصيدته السابقة في شواهد المسند.
والشاهد فيه: التجريد بطريق الكناية، فإنه انتزع من الممدوح جواداً يشرب هو الكأس بكفه، على طريق الكناية، لأنه إذا نفى عنه الشرب بكف البخيل فقد أثبت له بكف الكريم، ومعلوم أنه شرب بكفه، فهو ذلك الكريم.

(٢) قائله أبو الطيب المتنبي، وهو أول قصيدة من البسيط يمدح بها فاتكاً وقد حمل إليه هدية. ألف دينار، وكان بمصر مقيماً، وقامه:

فليسهذ النطق إن لم تسعد الحال

وبعده:

واجز الأمير الذي نعيه فاجئة .. بغير قول، ونعمى الناس أقوال

أي: الغنى فكأنه انتزع من نفسه شخصا آخر مثله في فقد الخيل والمال وخاطبه.

(ومنه) أي: ومن المعنوي.

(المبالغة المقبولة) لأن المردودة لا تكون من المحسنات، وفي هذا إشارة إلى الرد على من

زعم أن المبالغة مقبولة مطلقا وعلى من زعم أنها مردودة مطلقا، ثم أنه فسر مطلق المبالغة وبين أقسامها والمقبولة منها والمردودة منها فقال.

(والمبالغة) مطلقا.

(أن يدعي لوصف بلوغه في الشدة أو الضعف حدا مستحيلا أو مستبعدا) وإنما يدعى

ذلك.

(لثلا يظن أنه) أي: ذلك الوصف.

(غير متناه فيه) أي: في الشدة أو الضعف، وتذكير الضمير وأفراده باعتبار عوده إلى

أحد الأمرين.

(وتنحصر المبالغة في التبليغ والإغراق والغلو) لا بمجرد الاستقراء بل بالدليل

القطعي. وذلك.

(لأن المدعى إن كان ممكنا عقلا وعادة فتبليغ كقوله: فعادي) يعني الفراس.

(عداء) هو الموالة بين الصيدين يصرع أحدهما إلى اثر الآخر في طلق واحد.

(بين ثور) يعني الذكر من بقر الوحش.

=

فربما جزت الإحسانَ موليه خريدة من عذارى الحي مكسأل

وإن تكنْ مُحْكِمَاتُ الشَّكْلِ تمنعني .. ظهور جرِّي فلي فيهنْ تَصْهَالُ

وما شَكَرْتُ لأنَّ المَالَ فرحني .. سَيَّانَ عَنْدِي إِكْثَارٌ وإِقْلَالُ

لكن رأيتُ قبيحاً أن يبادَ لنا .. وأنا بقضَاءِ الحقِّ بُخَالُ

وهي طويلة، وأراد بالخال الغنى.

والشاهد فيه: التجريد بمخاطبة الإنسان نفسه، فكأنه انتزع من نفسه شخصا آخر مثله في فقد الخيل والمال

والخال.

(ونعجة) يعني الأنثى منها.

(دراكا) أي: متابعاً.

(فلم ينضح بقاء فيغسل)^(١) مجزوم معطوف على ينضح أي لم يعرق فلم يغسل. ادعى أن

فرسه أدرك ثورا ونعجة في مضمار واحد ولم يعرق، وهذا ممكن عقلاً وعادة.

(وإن كان يمكننا عقلاً لا عادة فإغراق كقوله:

ونكرم جارنا ما دام فينا

ونتعبه)

من الاتباع أي نرسل (الكرامة) على أثره.

(حيث مالا)^(٢) أي: سار وهذا ممكن عقلاً وممتنع عادة.

(١) البيت لامرئ القيس، من قصيدته المشهورة السابقة في شواهد المقدمة وقبل البيت:

فَعَنَ لَنَا يَرْبُ كَانَ نِعَاجُهُ .. عَذَارَى دَوَارٍ فِي مَلَأَ مُدَّيْلٍ
فَأَذْبُرْنَ كَالْجَزَعِ الْمُفْصَلِ بَيْنَهُ .. بِجِيدٍ مُعِمٍّ فِي الْعَشِيرَةِ مُحْوَلٍ
فَالْحَقْنَا بِالْهَادِيَاتِ وَدُونَهُ .. جَوَاحِرُهَا فِي صَرَّةٍ لَمْ تَزِيلِ

ويعده البيت، ويعده:

فَظَلَّ طَهَاءُ اللَّحْمِ مِنْ بَيْنِ مُنْضِجٍ .. صَفِيفَ شَوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُعْجَلٍ
وَرُحْنَا يَكَادُ الطَّرْفُ يَقْصُرُ دُونَهُ .. مَتَى مَا تَرَقَّ الْعَيْنُ فِيهِ تَسْهَلُ
فَبَاتَ عَلَيْهِ سَرْجُهُ وَلِجَامُهُ وَبَاتَ بَعِينِي قَائِمًا غَيْرَ مُرْسَلِ

والمعنى في البيت أنه يصف فرسه بأنه لا يعرق وإن كثر العذو منه، والعداء بالكسر والمد الموالة بين الصيدين يصرع أحدهما على أثر الآخر في طلق واحد، وأراد بالثور الذكر من بقر الوحش، وبالنعجة الأنثى منها، ومعنى دراكاً متابعاً، ويغسل مجزوم معطوف على ينضح، والمعنى لم يعرق فيغسل. والشاهد فيه: المبالغة، ويسمى التبليغ، وهو: ادعاء ممكن عقلاً وعادة، فإنه ادعى أن فرسه أدرك ثوراً وبقرة وحشين في مضمار واحد ولم يعرق، وهذا ممكن عقلاً وعادة. وقد استعمل امرؤ القيس هذا المعنى في شعره كثيراً.

(٢) البيت من الوافر، وهو لعمر بن الأهتم التغلبي. والشاهد فيه الإغراق، وهو: ادعاء عقلاً لا عادة، فإنه ادعى أن جاره لا يميل عنه إلى جانب إلا وهو يرسل الكرامة والعطاء إليه على أثره، وهذا ممكن عقلاً وممتنع عادة، ومن أمثله قول امرئ القيس:

تَوَرَّثْنَا مِنْ أَذْرَعَاتٍ وَأَهْلُهَا .. يَبْثُرُ، أَدْنَى دَارِهَا تَنْظَرُ عَالِي

(وهما) أي: التبليغ والاغراق.

(مقبولان وإلا) أي: وأن لم يكن ممكنا لا عقلا ولا عادة لامتناع أن يكون ممكنا عادة
ممتعا عقلا إذ كل ممكن عادة ممكن عقلا ولا ينعكس.
(فغلو كقوله:

واخفت أهل الشرك حتى أنه)

الضمير للشأن.

(لتخافك النطف التي لم تخلق)^(١)

فإن أذرعاً من الشام، ويشرب مدينة النبي صلى الله عليه وسلم، ورقية النار من بعد هذه المسافة لا يمتنع
عقلاً، ويمتنع عادةً. ومن محاسن ما استشهدوا به على نوع الإغراق قول القائل:
ولو أن ما بي من جوى وصباية .. على جبل لم يدخل النار كافر
يريد أنه لو كان ما به من الحب بجمل لنحل حتى يدخل في سم الخياط، وذلك لا يستحيل عقلاً، إذ القدرة
صالحة لذلك، لكنه ممتنع عادة. وقد تفتن الشعراء في المبالغة في النحول.
(١) البيت لأبي نواس، من قصيدة من الكامل يمدح بها الرشيد، أولها:

خلق الزمان وشيئني لم تخلق ورميت في غرض الزمان بأفوق
تقع السهام وراءه وكأنه أثر الخوالب طالب لم يلحق
وأرى قواي نكادتها ريثه فإذا بطشت بطشت رخوا المرفق
ولقد غدوت بدستبان معلم .. صخب الجلال في الوظيف منسق
حر صنعناه لتحسن كفه ... عمل الرفيقة واستلاب الآخرق

واستمر في وصف البازي إلى أن قال:

هذا أمير المؤمنين انتاشني والنفس بين منحجر ومخني
نفسي فداؤك يوم دابق منها ... لولا عواطف جلج لم أطلق
حرمتم من لحمي عليك محلاً .. وجمعت من شئني إلى متفرق
فاقدف برحلك في جناب خليفة سباني غايات بها لم يسبق

إلى أن قال:

إنني حلفت عليك جهد ألي .. قسماً بكل مقصر ومحلق
لقد اتقيت الله حق تقايت .. وجهدت فيه فوق جهد المتقي

ويعده البيت، ويعده:

فإن خوف النطفة الغير المخلوقة ممتنع عقلاً وعادة والمقبول منه) أي: من الغلو.

(أصناف منها ما أدخل عليه ما يقربه إلى الصحة نحو: (لفظة.

(يكاد في قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور: ٣٥]، ومنها: ما

تضمن نوعاً حسناً من التخيل كقوله: عقدت سنا بكها) أي: حوافر الجياد.

(عليها) يعني فوق رؤسها.

(عثيراً) بكسر العين أي غباراً.

ومن لطائف العلامة في شرح المفتاح: العثير الغبار ولا تفتح فيه العين. وألطف من

ذلك ما سمعت أن بعض البغالين كان يسوق بغلته في سوق بغداد وكان بعض عدول دار

القضاء حاضراً فضرطت البغلة فقال البغال على ما هو دأبهم بحلية العدل بكسر العين يعني

أحد شقى الوقر فقال بعض الظرفاء على الفور: أفتح العين فإن المولى حاضر.

ومن هذا القبيل ما وقع لى في قصيدة علا:

فأصبح يدعوه الورى ملكا ورشما فتحوا عينا غدا ملكا

ومما يناسب هذا المقام أن بعض أصحابي ممن الغالب على لهجتهم إمالة الحركات نحو

الفتحة: أتانى بكتاب فقلت: لمن هو؟ فقال: لمولانا عمر- بفتح العين- فضحك الحاضرون،

فنظر إليّ كالمتعرف عن سبب ضحكهم، المسترشد بطريق الصواب، فرمزت إليه بعض

الجفن وضم العين، فتفطن للمقصود واستظرف الحاضرون ذلك.

(لو تبغني) أي: تلك الجياد:

(عنقا) هو نوع من السير.

(عليه) أي: على ذلك العثير.

وبضاعة الشعراء إن أنفقتها .. نفقت وإن أكسدتها لم تنفق

والشاهد في البيت: الغلو، وهو: ادعاء ما لا يمكن عقلاً وعادة، فإنه ادعى النطفة غير المخلوقة تخاف من سطوته، وهذا ممتنع عقلاً وعادة.

(أمكنا)^(١) أي: العنق ادعى أن تراكم الغبار المرتفع من سنايك الخيل فوق رؤسها بحيث صار أرضاً يمكن سيرها عليه. وهذا ممتنع عقلاً وعادة لكنه تخيل حسن.
(وقد اجتماعاً) أي: إدخال ما يقربه إلى الصحة وتضمن التخيل الحسن.
(في قوله:

يخيل لي أن سمر الشهب في الدجى وشدت بأهدابى إليهن أجفاني^(٢)

(١) البيت لأبي الطيب المتنبي، وهو من قصيدة من الكامل، يمدح بها ابن عمار، أولها:
الحب ما منع الكلام الألسنا وألذ شكوى عاشق ما أعلننا
ليت الحبيب الهاجري هجر الكرى .. من غير جرمٍ واصل صلة الضنى
بنأ فلو حاولتنا لم نذر ما ألواننا ممسا امتقعن ثلونا
وتوقدت أنفاسنا حتى لقد أشفقت فحترق العواذل بيننا
إلى أن قال:

طربت مراكبنا فخلنا أنها لو لا حياة عاقها رقصت بنا
أقبلت تبسم والحياء عوابس .. يتحين بالخلق المضاعف والقنا

وبعده البيت، وبعده:

والأمر أمرك والقلوب خوافق .. في موقف بين المنية والمنى
فعجبت حتى ما عجبت من الظبا .. ورأيت حتى ما رأيت من السنا
وهي طويلة. والسنايك: جمع سبك - بضم أوله وثالثه - وهو طرف الحافر، والعثير - بكسر أوله -
التراب والعجاج، والعنق - محركه - سير مستطرد للإبل والدابة.
والشاهد فيه: الغلو المقبول، وهو: ما تضمن معنى حسناً من التخيل، فإنه ادعى أن الغبار المرتفع من
سنايك الخيل قد اجتمع فوق رؤوسها متراكماً متكاثراً بحيث صار أرضاً يمكن أن تسير عليها تلك الجياد،
وهذا ممتنع عقلاً وعادة، لكنه تخيل حسن.

(٢) البيت للقاضي الأرجاني، من قصيدة من الطويل، يمدح بها شمس الملك عثمان بن نظام الملك، أولها:

أجفان بيض هن أم بيض أجفان .. فوائك لا تبقي على الدنف العاني
صوارم عشاق يقتلن ذا الهوى ومن دونها أيضاً صوارم فرسان
مررت بنعمان فما زلت واجداً إلى الحول نشر المسك من بطن نعمان
سوافر في خضر الملاء سوائر كما ماس في الأوراق أعطاف أغصان
وقد أطلعت ورد الحدود تواضرا ... ومن دونها شوك القنا قم الجاني

إلى أن قال:

أي: يوقع في خيالي أن الشهب محكمة بالمسامير لا تزول عن مكانها، وأن أجفان عيني قد شدت بأهدابها إلى الشهب لطول ذلك الليل وغاية سهري فيه. وهذا تخيل حسن ولفظ بخيل يقربه من الصحة ويزيده حسناً.

(ومنها: ما أخرج مخرج الهزل والخلاعة كقوله:

أسكر بالأمس إن عزمت على الشرب غدا إن ذا من العجب^(١)

ومنه) أي: ومن المعنوي.

(المذهب الكلامي: وهو إيراد حجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام) وهو أن تكون بعد تسليم المقدمات مستلزماً للمطلوب.

=

وقفتُ بها صباحاً أناشدُ معشري .. وأناشدُ أشعاري وأناشدُ إخواني
ولما تَوَسَّمتُ المنازلَ شاقني تذكرُ أيامَ عهدتُ وإخوان
مَضَّتْ ومَضُوا عني فقلتُ تأشفاً .. قفا نبك من ذكرى أناسٍ وأزمانٍ
تأوَّني ذكرُ الأحبة طارِفاً وللَّيلِ في الأفـاقِ وقفةٌ حيرانٍ
وأزقني والمشرقُ مضاجعي منا بـأرقٍ أشرى فـهـيـجَ أحزاني
ثلاثةُ أجفانٍ فـفي طيِّ واحدٍ غـرـارٍ وخـالٍ من غـرـازيـها اثـنـانٍ

وبعده البيت، وبعده:

نظرتُ إلى البرق الخفي كأنه حديثٌ مضاعٍ بينَ سِرٍّ وإعلانٍ
وباتَ له مني وقد طنَّبَ الدُّجَى .. كلَّوْهُ اللَّيالي طرفةً غيرَ وسنانٍ

وهي طويلة. والشاهد في البيت: إدخال شيء على الغلو يقربه إلى الصحة، مع تضمينه نوعاً حسناً من التخيل، فإنه يقول: يوقع في خيالي أن الشُّهْبَ محكمة بالمسامير لا تزول عن مكانها، وأن أجفان عيني قد شُدت بأهدابها إلى الشهب لطول سهري في ذلك الليل وعدم انطباقها والتفتانها، وهذا ممتنع عقلاً وعادة، ولكنه تخيل حسن، ولفظ بخيل عما يقربه إلى الصحة.

(١) البيت من المنسرح، ولا أعلم من قائله.

والشاهد فيه: إخراج الغلو مخرج الهزل والخلاعة، وهو ظاهر، ومنه قول أبي نواس:

فلما سَرَبناها ودَبَّ دُبيبها .. إلى مَوْضِعِ الأسرار قلتُ لها فقي
حُفَاةٌ أن يَسْطو على شعاعها .. فَتَطْلُعُ نَدْماني على سِرِّي الخفي.

(نحو: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]) واللازم وهو فساد السموات والأرض باطل لأن المراد به خروجهما عن النظام الذي هما عليه فكذا الملزوم وهو تعدد الآلهة وهذه الملازمة من المشهورات الصادقة التي يكتفى بها في الخطايبات دون القطعيات المعتبرة في البرهانيات.
(وقوله:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة)

أي: شكا.

(وليس وراء الله للمرء مطلب)

أي: هو أعظم المطالب والحلف به أعلى الاحلاف فكيف يحلف به كاذبا.

(لئن كنت) اللام لتوطئة القسم.

(قد بلغت عنى جناية، لمبلغك) اللام جواب القسم.

(الواشي أغش) من غش إذا خان.

(وأكذب ولكنني كنت امرءا لي جانب. من الأرض فيه أي في ذلك الجانب.

(مسترد) أي: موضع طلب الرزق من راد الكلاء وارتاده.

(ومذهب) أي: موضع ذهاب للحاجات.

(ملوك) أي: في ذلك الجانب ملوك.

(وإخوان إذا ما مدحتهم أحكم في أموالهم) أي: اتصرف فيها كيف شئت.

(وأقرب) عندهم واصير رفيع المرتبة.

(كفعلك) أي: كما تفعله أنت.

(في قوم أراك اصطنعتهم) أي: واحسنت إليهم.

(فلم ترهم في مدحهم لك أذنبوا)^(١) أي: لا تعاتبني على مدح آل جفنة المحسنين إلى والمنعمين على كما لا تعاتب قوما أحسنت إليهم فمدحوك إن مدح أولئك لا يعد ذنباً كذلك مدحي لمن أحسن إليّ.

وهذه الحجة على طريق التمثيل الذي يسميه الفقهاء قياساً. ويمكن رده إلى صورة قياس استثنائي أي لو كان مدحي لآل جفنة ذنباً لكان مدح ذلك القوم لك أيضاً ذنباً واللازم باطل فكذا الملزوم.

(منه) أي: ومن المعنوي.

(حسن التعليل) وهو أن يدعى لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف) أي: بأن ينظر نظراً يشتمل على لطف ودقة.

(غير حقيقي) أي: لا يكون ما اعتبر علة له في الواقع كما إذا قلت قتل فلان إعاديه لدفع ضررهم فإنه ليس في شيء من حسن التعليل، وما قيل من أن هذا الوصف أعني غير حقيقي ليس بمفيد لأن الاعتبار لا يكون إلا غير حقيقي فغلط ومنشأه ما سمع أن أرباب المعقول يطلقون الاعتباري على ما يقابل الحقيقي. ولو كان الأمر كما توهم لوجب أن يكون جميع اعتبارات العقل غير مطابق للواقع.

(١) الأبيات للتأبغة من قصيدته السابقة في أواخر الفن الأول وقبلها:

أَتَانِي وَعَيْدٌ وَالتَّائِبُ يَنْتَنِي سَخَاوُثُهَا وَالْغَائِطُ الْمَتَّصِبُ
فَبْتُ كَأَنَّ الْعَائِدَاتِ فَرَشْتِي .. هَرَأْسًا بِهِ يعلُ فَرَاشِي وَيُقَشَّبُ

والرية: التهمة، والمستراد: موضع يتردد فيه لطلب الرزق ومتجع من راد الكلال، ومعنى أَقْرَبُ يجعلونني حكماً في أموالمهم مقرباً منهم رفيع المنزلة عندهم.

والشاهد فيها: المذهب الكلامي، وهو: إيراد حجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام، وهو: أن تكون المقدمات بعد تسليمها مستلزماً للمطلوب، فهو هنا يقول: لا تلمني ولا تعاتبني على مدح آل جفنة وقد أحسنوا إلي كما لا تلوم قوماً مدحوك وقد أحسنت إليهم، فكما أن مدح أولئك لك لا يعد ذنباً كذلك مدحي لمن أحسن إلي، وهذه الحجة على صورة التمثيل الذي تسميه الفقهاء قياساً، ويمكن رده إلى صورة قياس استثنائي بأن يقال: لو كان مدحي لآل جفنة ذنباً لكان مدح أولئك القوم لك أيضاً ذنباً، لكن اللازم باطل، فكذا الملزوم، وآل جفنة كانوا ملوك الشام، كما أن آل النعمان كانوا ملوك الحيرة.

(وهو أربعة أضرب لأن الصفة) التي ادعى لها علة مناسبة.

(إما ثابتة قصد بيان علتها أو غير ثابتة أريد اثباتها والأولى إما أن لا يظهر لها في العادة

علة) وأن كانت لا تخلو في الواقع عن علة.

(كقوله: لم يحك) أي: لم يشابه.

(نائلك) أي: عطائك.

(السحاب وإنما حمت به) أي: صارت محمولة بسبب نائك وتفوقه عليها.

(فصبيها الرخصاء)^(١) أي: فالمصبوب من السحاب، هو عرق الحمى فنزول المطر من

السحاب صفة ثابتة لا يظهر لها في العادة علة. وقد علله بأنه عرق حماها الحادثة بسبب عطاء الممدوح.

(أو يظهر لها) أي: لتلك الصفة.

(علة غير) العلة.

(المذكورة) لتكون المذكورة غير حقيقية فتكون من حسن التعليل.

(كقوله:

ما به قتل أعاديهِ ولكن بقي
إخلاف ما ترجو الذئاب^(٢))

(١) البيت للمتنبي من قصيدة من الكامل، ذكر أولها: في شواهد التشبيه، ويعدده قوله:

لم تلقَ هذا الوجه شمسُ نهارنا إلاَّ بوجهٍ ليسَ فيه حياءُ

فبأيِّ ما قدم سعيَت إلى العلا أدُمُّ الهلالِ لأخْصِيكَ حذاءُ

ولكَ الزمانُ من الزمانِ وقايَةٌ ولكَ الحامِ من الحامِ فداءُ

لو لم تكن من ذا الورى الذَّمُّ منك هو .. عَقمت بِمولِدِ نسلها حواءُ

والنائل: العطاء، والرخصاء: العرق أثر الحمى.

والشاهد فيه: حسن التعليل لصفة لا يظهر لها في العادة علة، وقد عللها بأن عرق حماها الحادثة بسبب عطاء الممدوح.

(٢) البيت للمتنبي، من قصيدة من الرمل؛ قالها في بدر بن عمار ارتجالاً، وهو على الشراب،

إنما بدرُ ابنِ عمارٍ سحابٌ .. هَطِلَ فيه ثوابٌ وعقابُ

فإن قتل الأعداء في العادة لدفع مضرتهم) وصفوة المملكة عن منازعتهم.

(لا لما ذكره) من أن طبيعة الكرم قد غلبت عليه ومحبة صدق رجاء الراجين بعثته على قتل أعدائه لما علم من أنه إذا توجه إلى الحرب صارت الذئاب ترجوا اتساع الرزق عليها بلحوم من يقتل من الأعداء.

وهذا مع أنه وصف بكمال الجود وصف بكماله الشجاعة حتى ظهر ذلك للحيوانات العجم.

(والثانية) أي: الصفة الغير الثابتة التي أريد اثباتها.

(إما ممكنة كقوله:

يا وإشيا حسنت فينا إساءته

نجى حذارك)

أي: حذارى إياك.

(إنساني) أي: إنسان.

(عيني من الغرق^(١) فإن استحسان إساءة الواشي ممكن لكن لما خالف) أي: الشاعر.

إنها بدرّ رزايا وعطايا ومنايا وطعاناً وضرباً
ما يجيل الطرف إلا أحدثه .. جَهْدَهَا الأيدي وذمته الرقابُ

وبعده البيت، وبعده:

فله هية من لا يرغبي .. وله جود مُرَجَّى لا يهابُ

والشاهد فيه: ظهور علة لصفة غير علتها الحقيقية، فلا يكون من حسن التعليل؛ فإن قتال الأعداء في العادة: إنما يكون لدفع مضرتهم، لا لما ذكره من أن طبيعة الكرم قد غلبت عليه ومحبة تصديق رجاء آملية بعثته على قتل أعدائه، لما علم أنه لما غدا للحرب غدت الذئاب ترجو سعة الرزق من قتلاه وهذا مبالغة في وصفه بالجود، ويتضمن المبالغة في وصفه بالشجاعة على وجه تخيلي: أي تنامي في الشجاعة، حتى ظهر ذلك للحيوانات العجم من الذئاب وغيرها، فإذا غدا للحرب رجحت أن تنال من لحوم أعدائه، ويتضمن أيضاً مدحه بأنه ليس ممن يُسرف في القتل طاعة للغيط والحق، أي ليست قوته الغضبية متصلة برذيلة الإفراط، ويتضمن أيضاً قصور أعدائه عنه، وفرط أمنه منهم، وأنه لا يحتاج إلى قتلهم واستئصالهم.

(١) البيت لمسلم بن الوليد، من قصيدة من البسيط، لم أقف منها إلا على هذه الأبيات:

إني أصد دموعاً لَجَّ سائقها .. مطروفة العين بالمرضى من الحديق

(للناس فيه) إذ لا يستحسنه الناس.

(عقبه) أي: عقب الشاعر استحسان إساءة الواشي.

(بأن حذاره منه) أي: من الواشي.

(نجى إنسانه من الغرق في الدموع) حيث ترك البكاء خوفاً منه.

(أو غير ممكنة كقوله:

لو لم تكن نية الجوزاء خدمته لما رأيت عليها عقد متطق^(١)

من انتطق أي شد النطاق، وحول الجوزاء كواكب يقال لها نطاق الجوزاء فنية الجوزاء

خدمة الممدوح صفة غير ممكنة الممدوح صفة غير ممكنة قصد إثباتها كذا في الإيضاح.

إيه فإن النوى وافت مصيته .. موَّلَّع القلب بين الشوق والقلق
ما كلَّ عاذلة تُضغِي له أذني .. وقد سمعت على الإكراه فانطلق
فما سلوت الهوى جهلاً بلذته .. ولا عصيت إله الحلم عن خرق

والمراد بالإنسان هنا: إنسان العين.

والشاهد فيه: إثبات صفة ممكنة لموصوف، فإن استحسان إساءة الواشي شيء ممكن، لكن لما خالف الناس فيه عَقِبَهُ بأن حذاره منه نجى إنسان عينه من الغرق في الدموع حيث ترك البكاء خوفاً منه.

وقد تشبث القاضي السعيد بن سناء الملك بأذيال مسلم بن الوليد.

(١) البين من البسيط، وهو مترجم من الفارسية. والجوزاء: برج في السماء، والانتطاق: شد المنطقة، ونطاق الجوزاء: كواكب حولها. والشاهد فيه: إثبات صفة غير ممكنة لموصوف، فنية الجوزاء خدمة الممدوح صفة غير ممكنة قصد إثباتها له. ومثله قول التهامي:

لو لم يكن أفعواناً نَغَرُ مبسمها .. ما كان يزداد طيباً ساعة السحر

وقوله أيضاً:

لو لم تكن ريقته حَمَرَةً .. لما تشى غُصْنُهُ وهو صاخ

وقول الأمير مجير الدين بن تميم في مليح وقاد:

لا مُوا على الرَّقَادِ في حُسْنِهِ .. وَحُبُّهُ بِاللَّوْمِ يَزْدَادُ

لو لم يكن في حُسْنِهِ كَوَكْباً .. ما كان أَمْسَى وهو وَقَادُ

والشاهد فيه: التعليل على سبيل الشك، فإنه علَّلَ شاكاً نزول المطر من السحاب بأنها غيَّت تحت تلك الربا حياءً فهي تبكي عليه.

وفيه بحث؛ لأن مفهوم هذا الكلام هو أن نية الجوزاء خدمة المدوح علة لرؤية عقد النطاق عليها أعني لرؤية حالة شبيهة بانتطاق المنتطق كما يقال لو لم تجتني لم أكرمك يعني أن علة الإكرام هي المجيء، وهذه صفة ثابتة قصد تعليلها بنية الخدمة المدوح فيكون من الضرب الأول وهو الصفة الثابتة التي قصد علتها.

وما قيل: من أنه أراد أن الانتطاق صفة ممتنعة الثبوت للجوزاء وقد أثبتها الشاعر وعللها بنية الجوزاء خدمة المدوح فهو مع أنه مخالف بصريح كلام المصنف في الإيضاح ليس بشيء لأن حديث انتطاق الجوزاء أعني الحالة الشبيهة بذلك ثابت بل محسوس.

والأقرب: أن يجعل لو ههنا مثلها في قوله تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا أعني الاستدلال بانتفاء الثاني على أنتفاء الأول فيكون الانتطاق علة لكون نية الجوزاء خدمة المدوح أي دليلاً عليه وعلة للعلم مع أنه وصف غير ممكن.

(والحق به) أي: بحسن التعليل.

(ما بني على الشك) ولم يجعل منه لأن فيه ادعاء وإصراراً والشك ينافيه.

(كقوله: كأن السحاب الغر) جمع الأغر والمراد السحاب الماطرة الغريزة الماء.

(غيب تحتها) أي: تحت الربا.

(حبباً فما ترقا) الأصل ترقاء بالهمزة فخففت أي ما تسكن.

(لهن مدامع)^(١) علل على سبيل الشك نزول المطر من السحاب بأنها غيب حبباً تحت

تلك الربا فهي تبكى عليها.

(١) البيت لأبي تمام الطائي، من قصيدة من الطويل يمدح بها قومه طيئاً:

كَأَنَّ السَّحَابَ الْغُرَّ غَيَّبَتْ تَحْتَهَا .. حَبِيباً فَمَا تَرَقَّا لَهْنَ مَدَامِعُ

أَوْهَا:

أَلَا صَنَعَ الْبَيْنَ الَّذِي هُوَ صَانِعٌ .. فَإِنَّ تَكَّ مَجْزَاعاً فَمَا الْبَيْنُ جَانِعُ
هُوَ الْعَامُ مِنْ أَسْمَاءِ وَالْعَامُ رَابِعٌ .. لَهُ يَلْوَى حَبَّتْ فَهَلْ أَنْتَ رَابِعُ
إِلَّا أَنْ صَدْرِي مِنْ عَزَائِي بَلَقَعُ عَشِيَّةً شَاقَتْنِي الدِّيَارُ الْبَلَاقِعُ

(ومنه) أي: ومن المعنوي.

(التفريع وهو أن يثبت لمتعلق أمر حكم بعد إثباته) أي: إثباته ذلك الحكم.

(لمتعلق له آخر) على وجه يشعر بالتفريع والتعقيب وهو احتراز عن نحو غلام زيد راكب وأبوه راكب.

(كقونه):

أحلامكم لسقام الجهل شافية كما دماؤكم تشفي من الكلب^(١)

هو بفتح اللام شبه جنون يحدث للإنسان من عض الكلب، إذ لا دواء له أنجع من شرب دم ملك، كما قال الحماسي:

بنات مكارم وأساءة كلم دماؤكم من الكلب الشفاء

ففرع على وصفهم بشفاء أحلامهم من داء الجهل، وصفهم بشفاء دمائهم من داء الكلب يعني أنهم ملوك وأشراف وأرباب العقول الراجحة.

=

وبعده البيت، وبعده:

رُبَا شَفَعَتْ رِيحُ الصَّبَا لِرِيَاضِهَا .. إِلَى الْغَيْثِ حَتَّى جَادَهَا وَهِيَ هَامِيْعٌ
فَبَشَّرَ الضُّحَى غَدَاؤًا لَهَا مُضَاحِكٌ .. وَجَنَّبَ النَّدَى لَيْلًا لَهَا مُضَاجِعٌ
كَسَاكَ مِنَ الْأَنْوَارِ أَيْضُ نَاصِعٌ .. وَأَصْفَرَّ فَقَاعٌ وَأَحْمَرُ سَاطِعٌ

لِئِنْ كَانَ أَمْسَى سَمَلٌ وَخَيْتُكَ جَامِعاً .. لَقَدْ كَانَ لِي سَمَلٌ بِأَنْتِ سَكَّ جَامِعٌ

وهي طويلة. والسحاب الغر: جمع أغر، وهي الماطرة الغزيرة الماء، والضمير في تحتها راجع للديار في البيت الذي قبله. والشاهد فيه: التعليل على سبيل الشك، فإنه علل شاكاً نزول المطر من السحاب بأنها غيّت تحت تلك الرياحية فهي تبكي عليه.

(١) البيت للكيميت الشاعر، من قصيدة من البسيط، أولها:

هَلْ لِلشَّبَابِ الَّذِي قَدْ فَاتَ مِنْ طَلَبٍ .. أَمْ لَيْسَ غَابِرُهُ الْمَاضِي بِمُتَغَلِّبٍ

دَعِ الْبُكَاءَ عَلَى مَا فَاتَ مَطْلَبُهُ فَالذَّهْرُ يَأْتِي بِالسَّوَانِ مِنَ الْعَجَبِ

والأحلام: جمع حلم - بالكسر - وهو الأناة والعقل، والكلب: جنون الكلاب المعترى من أكل لحم إنسان، وشبه جنونها المعترى للإنسان من عضها، أو هو داء لا يصبر الإنسان معه عن الأكل ساعة واحدة، ولا دواء له أنجح من شرب دم ملك. قال ابن الأعرابي: كانت العرب تقول: من أصابه الكلب والجنون لا يبرأ منه، إلا أن يسقى من دم ملك، فهو يقول: إن ممدوحه أرباب العقول الراجحة ملوك وأشراف.

(ومنه) أي: ومن المعنوي.

(تأكيد المدح بما يشبه الذم وهو ضربان أفضلهما أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح) لذلك الشيء..

(بتقدير دخولها فيها) دخول صفة المدح في صفة الذم.

(كقوله:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم

بهن فلول)

جمع فل، وهو الكسر في حد السيف.

(من قراع الكتائب)^(١)

(١) البيت للناطقة الذبياني، من قصيدة من الطويل، يمدح بها عمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر حين هرب من النعمان بن المنذر اللخمي من الحيرة، وأولها:

كَلْبَنِي لِمَ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ .. وَلَيْلِ أَفَاسِيهِ بَطِيءُ الْكَـوَائِبِ
تَطَاوَلَ حَتَّى قُلْتُ لَيْسَ بِمُتَقَضٍّ .. وَلَيْسَ الَّذِي يَزْعُمُ النُّجُومَ بِأَيِّ
وَصَدَرَ أَنَاخَ اللَّيْلِ غَارِبَ هَمٍّ .. تَضَاعَفَ فِيهِ أَهْمٌ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
عَلَى لَعْمٍ وَنِعْمَةٍ بَعْدَ نِعْمَةٍ .. لَوْلَا لَدُوهُ لَيْسَتْ بِسُدَّاتِ عَقَارِبِ
حَلَقْتُ يَمِينًا غَيْرَ ذِي مَثْنَوِيَةٍ .. وَلَا عَلِمَ إِلَّا أَحْسَنُ ظَنٍّ بِصَاحِبِ
لَنْ كَانَ لِلْقَبْرِينِ قَبْرٌ بِجَلَّتِي .. وَقَبْرُ بَصِيدَاءِ الَّذِي عَنْدَ حَارِبِ
وَلِلْحَارِثِ الْجَفْنِي سَيِّدٌ قَوْمِهِ .. لَكَيْلَتَمْسَنَ بِالْجَيْشِ دَارَ الْمُحَارِبِ

ومنها:

فَهُمْ يَتَسَاقَوْنَ الْمَنِيَّةَ بَيْنَهُمْ .. بِأَيْدِيهِمْ يَبْضُ رِقَاقُ الْمَضَارِبِ
يَطِيرُ فُضَاضًا بَيْنَهَا كُلُّ قَوْمٍ .. وَيَتَّبِعُهَا مِنْهُمْ قَرَأُشُ الْحَوَاجِبِ

وبعده البيت، وبعده:

تُورَثُنَّ مِنْ أَرْزَامٍ يَوْمَ حَلِيمَةٍ .. إِلَى الْيَوْمِ قَدْ جَرَيْنِ كُلَّ التَّجَارِبِ

إلى أن قال فيها:

لَهُمْ شَيْمَةٌ لَمْ يُعْطِهَا اللَّهُ غَيْرَهُمْ .. مِنَ الْجُودِ وَالْأَحْلَامِ غَيْرِ عَوَازِبِ
تَحَلَّتْهُمْ ذَاتُ الْإِلَهِ وَدِينُهُمْ .. قَوْمٌ فَمَا يَرْجُونَ غَيْرَ الْعَوَاقِبِ
رِقَاقُ النَّعَالِ طِبُّ حِجْزَانِهِمْ .. يَحْيُونَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِيبِ

والفلول: جمع فل، وهو الثلم، وقراع الكتائب: مضاربة الجيوش.

أي مضاربة الجيوش.

(أي: إن كان فلول السيف من القرع عيباً فأثبت شيئاً منه) أي: من العيب.

(على تقدير كونه منه) أي: كون فلول السيف من العيب.

(وهو) أي: هذا التقدير وهو كون الفلول من العيب.

(محال) لأنه كناية عن كمال الشجاعة.

(فهو) أي: إثبات شيء من العيب على هذا التقدير.

(في المعنى تعليق بالمحال) كما يقال: حتى يبيض الفار، وحتى يلج الجمل في سم

الحياط.

(فالتأكيد فيه) أي: في هذا الضرب.

(من جهة أنه كدعوى الشيء بيينة) لأنه علق نقيض المدعى وهو إثبات شيء من العيب

بالمحال والمعلق بالمحال محال فعدم العيب محقق.

(و) من جهة.

(أن الأصل في) مطلق.

(الاستثناء) هو.

(الاتصال) أي: كون المستثنى منه بحيث يدخل فيه المستثنى على تقدير السكوت عنه.

وذلك لما تقرر في موضعه من أن الاستثناء المتقطع مجاز وإذا كان الأصل في الاستثناء

الاتصال.

والشاهد فيه: تأكيد المدح بما يشبه الذم، كأنه قال: ولا عيب في هؤلاء القوم أصلاً إلا هذا العيب، وهو
فلول أسياقهم من المقارعة والمضاربة، وهذا ليس بعيب، بل هو نهاية المدح، فهو تأكيد المدح بما يشبه الذم،
لأن قوله: غير أن سيوفهم يوهم أن ما يأتي بعده ذم، فإذا كان مدحاً فقد تأكد المدح.

ويروى أن عروة بن الزبير رضي الله عنه سأل عبد الملك بن مروان أن يرد عليه سيف أخيه عبد الله بن
الزبير، رضي الله عنهما! فأخرجه إليه في سيوف متتصة، فأخذ عروة رضي الله عنه من بينها، فقال له عبد
الملك: بم عرفته؟ فقال: بقول النابغة، وأنشد البيت.

(فذكر أدواته قبل ذكر ما بعدها) يعني المستثنى.

(بوهم لإخراج شيء) وهو المستثنى.

(بما قبلها) أي: مما قبل الأداة وهو المستثنى منه.

(فإذا وليها) أي: الأداة.

(صفة مدح) وتحول الاستثناء من الاتصال إلى الانقطاع.

(جاء التأكيد لما فيه من المدح على المدح والإشعار بأنه لم يجد فيه صفة ذم حتى يستنيها

فاضطر إلى استثناء صفة مدح) وتحويل الاستثناء إلى الانقطاع.

(و) الضرب.

(الثاني) من تأكيد المدح بما يشبه الذم.

(أن يثبت لشيء أداة الاستثناء) أي: يذكر عقيب إثبات صفة المدح لذلك الشيء أداة

استثناء.

(تليها صفة مدح أخرى له) أي: لذلك الشيء.

(نحو: "أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ، يَدَّ أَكِّي مِنْ قُرَيْشٍ") بيد بمعنى غير وهو أداة الاستثناء.

(وأصل الاستثناء فيه) أي: في هذا الضرب.

(أيضا أن يكون منقطعا) كما أن الاستثناء في الضرب الأول منقطع لعدم دخول

المستثنى في المستثنى منه. وهذا لا يناق كونه الأصل في مطلق الاستثناء هو الاتصال.

(لكنه) أي: الاستثناء المنقطع المنقطع في هذا الضرب.

(لم يقدر متصلا) كما قدر في الضرب الأول إذ ليس هنا صفة ذم منفية عامة يمكن تقدير

دخول صفة المدح فيها. وإذا لم يكن تقدير الاستثناء متصلا في هذا الضرب.

(١) ذكره الملا علي القاري في الأسرار المرفوعة ج ١/ ٥٣، وقال: قَالَ السُّيُوطِيُّ: أَوْرَدَهُ أَصْحَابُ الْغَرَائِبِ، وَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَرَّجَهُ وَلَا إِسْنَادُهُ.

(فلا يفيد التأكيد إلا من الوجه الثاني) وهو أن ذكر أداة الاستثناء قبل ذكر المستثنى يوهم إخراج شيء مما قبلها من حيث أن الأصل في مطلق الاستثناء هو الاتصال فإذا ذكر بعد الأداة صفة مدح أخرى جاء التأكيد ولا يفيد التأكيد من الوجه الأول وهو دعوى الشيء بيينة لأنه مبني على التعليق بالمحال المبني على تقدير الاستثناء متصلاً.

(ولهذا) أي: ولكون التأكيد في هذا الضرب من الوجه الثاني فقط.

(كان) الضرب.

(الأول) المفيد للتأكيد من وجهين.

(أفضل ومنه) أي: ومن تأكيد المدح بما يشبه الذم.

(ضرب آخر) وهو أن يؤتى بمستثنى فيه معنى المدح معمولاً لفعل فيه معنى الذم نحو قوله تعالى.

(﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا﴾ [الأعراف: ١٢٦]) أي: ما تعيب منا إلا أصل

المناقب والمفاخر كلها وهو الإيذان. يقال نقم منه وانتقم إذا عابه وكرهه وهو كالضرب الأول في إفادة التأكيد من وجهين.

(والاستدراك) المفهوم من لفظ لكن.

(في هذا الباب) أي: باب تأكيد المدح بما يشبه الذم.

(كلاستثناء كما في قوله:

هو البدر إلا أنه البحر زاخرا سوى أنه الضرغام لكنه الويل^(١)

(١) البيت لبديع الزمان الهمذاني، من قصيدة من الطويل، يمدح بها خلف بن أحمد السجستاني أولها:

سَاءَ الدُّجَى مَا هَذِهِ الْحَدَقُ النَّجْلُ .. أَصْدَرَ الدُّجَى حَالٍ وَجِدُ الضُّحَى عَطْلُ

وفيها يذكر أباه همذان واستقباله الحجاج للسؤال عن خبره، والبحث عن وطنه ووطره، حيث قال:

يُذَكِّرُنِي قُرْبَ الْعِرَاقِ وَدَيْعَةَ .. لَدَى اللَّهِ لَا يُسْلِيهِ مَالٌ وَلَا أَفْلُ

إِذَا وَرَدَ الْحِجَابُ وَآفَى رِفَاقَهُمْ .. بِقَوَارِقِ دَمْعٍ هُمَا النَّجْلُ وَالسَّجْلُ

يُسَائِلُهُمْ أَيْنَ ابْنُهُ أَيْنَ دَارُهُ .. إِلَى مَآئِي لَمْ يَنْتَهِيَ لَمْ يَعْذْ هَلْ لَهُ شُغْلُ

أَضَاقَتْ لَهُ حَالٌ أَطَالَتْ لَهُ يَدٌ .. أَلْخَرَهُ نَقْصُ أَقْدَمِهِ فَضْلُ

فقوله: إلا وسوى استثناء مثل قوله: "يَدَّ أَيْ مِنْ قُرَيْشٍ".

وقوله: لكنه استدراك يفيد فائدة الاستثناء المنقطع في هذا الضرب لأن إلا في الاستثناء المنقطع بمعنى لكن.

(ومنه) أي: ومن المعنوي.

(تأكيد الذم بما يشبه المدح وهو ضربان أحدهما أن يستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذم له بتقدير دخولها) أي: صفة الذم.
(فيها) أي: في صفة المدح.

(كقولك: فلان لا خير فيه إلا أنه يسئ إلى من أحسن إليه، وثانيهما: أن يثبت للشيء صفة ذم وتعقب بأداة استثناء يليها صفة ذم أخرى له) أي: لذلك الشيء.
(كقولك فلان فاسق إلا أنه جاهل) فالضرب الأول يفيد التأكيد من وجهين، والثاني من وجه واحد.

(وتحقيقها على قياس ما مر) في تأكيد المدح بما يشبه الذم.

يقولونَ وَأَيُّ حَضْرَةِ الْمَلِكِ الَّذِي .. لَهُ الْكَثْفُ الْمَأْمُولُ وَالنَّائِلُ الْجَزُلُ
وَفَاضَتْ عَلَيْهِ وَبِمَةُ خَلْفِيَّةٍ .. بِهَا لِلْعَـسْوَادِي عَنْ وَلَايَتِهَا عَزْلُ
يُذَكِّرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا صَدَقْتُمْو .. لِسُدِّيْ أَجْدُ مَا تَقُولُونَ أَمْ هَزْلُ
سَلَوْنَا لِلْقِيَاكُ الْمَلُوكَ وَإِنَّمَا بِمَثَلِكُ عَنْ أَمْثَالِهِمْ مَثَلْنَا يَسْلُو
وَلَمَّا بَلَوْنَاكُمْ تَلَوْنَا مَدِيحَكُمْ .. فَيَا طَيْبَ مَا نَبْلُو وَيَا صِدْقَ مَا نَثْلُو
فَدَى لَكَ مِنْ أَبْنَاءِ دِهْرِكَ مَنْ غَدَا .. فَلَا قَوْلُهُ عِلْمٌ وَلَا فَعْلُهُ عَدْلُ
أَيَا مَلِكًا أَدْنَى مَنَاقِبِهِ الْعَلَا وَأَيَسَّرُ مَا فِيهِ السَّهَاحَةُ وَالْبَذْلُ

وبعده البيت، وبعده:

نَحَاسِنُ يَبْدِيهَا الْعَيَانُ كَمَا تَرَى .. وَإِنْ نَحْنُ حَدَّثْنَا بِهَا دَفَعَ الْعَقْلُ

وهي طويلة، وقد مضى طرف منها في مراعاة النظر. والضرغام: الأسد، والربل: المطر الشديد الضخم القطر، ومثله الرابل. والشاهد فيه: أن الاستدراك الدال عليه لفظ لكن في باب تأكيد المدح بما يشبه الذم الاستثناء في إفادة المراد، فالأولان استثناءان، وقوله لكنه استدراك يفيد ما يفيد هذا الضرب من الاستثناء لأنه استثناء منقطع وإلا فيه بمعنى لكن.

(ومنه) أي: ومن المعنوي.

(الاستباع: وهو المدح بشيء على وجه يستتبع المدح بشيء آخر كقوله:

نهب من الأعمار ما لو حوته لهنت الدنيا بأنك خالد^(١)

مدحه بالنهاية في الشجاعة) حيث جعل كثرة قتلاه بحيث يخلد لو ورث أعمارهم.

(على وجه استتبع مدح بكونه سببا لصلاح الدنيا ونظامها) إذ لا تهنته لاحد بشيء لا فائدة له فيه.

قال علي بن عيسى الربيعي:

(وفيه) أي: في البيت وجهان آخران من المدح أحدهما.

(أنه نهب الأعمار دون الأموال) كما هو مقتضى علو الهمة وذلك مفهوم من تخصيص الأعمار بالذكر والإعراض عن الأموال، مع أن النهب بها أليق وهم يعتبرون ذلك في المحاورات والخطابيات، وإن لم يعتبره أئمة الأصول.

(١) البيت لأبي الطيب المتنبي، من قصيدة من الطويل، تقدّم ذكر مطلعها، وطرف منها في شواهد المقدمة، ومنها قبل البيت:

أخو غَزَوَاتٍ لا تَغِبُّ سِيوفُهُ .. رَقَابُهُمْ إِلَّا وَسِيحَانُ جَامِدُ
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مِنْ حَمَاقَا مِنَ الظُّبَا .. لَمْ يَشْفَتْهَا وَالثَّدْيُ النَّوَاهِدُ
تَبَكَّى عَلَيْهِنَّ الْبَطَارِيقُ فِي الدُّجَى .. وَهَنَّ لَدَيْنَا مُلَقِّيَاتُ كَوَاسِدُ
بَذَا قَضَّتْ الْأَيَّامَ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا .. مَصَانِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ
وَمِنْ شَرَفِ الْأَقْدَامِ أَنَّكَ فِيهِمْ .. عَلَى الْقَتْلِ مَوْمِقٌ كَأَنَّكَ شَاكِدُ
وَأَنْ دَمَا أَجْرِيتهُ بِكَ فَاخِرٌ .. وَأَنْ فَوَادَا رُغَّتَهُ لَكَ حَامِدُ
وَكُلُّ يَرَى طُرُقَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى .. وَلَكِنْ طَبِيعَ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ قَائِدُ

ويعده البيت، ويعده:

فَأَنْتَ حَسَامُ الْمَلِكِ وَاللَّهُ ضَارِبٌ .. وَأَنْتَ لَوَاءُ الدِّينِ وَاللَّهُ عَاقِدُ

والشاهد فيه الاستباع، وهو: المدح بشيء يستتبع المدح بشيء على وجه آخر، فإن وصفه بالشجاعة على وجه استتبع مدحه بكونه سببا لصلاح الدنيا، حيث جعلها مهنة بخلوده، وفيه وجهان آخران: أحدهما: أنه نهب الأعمار دون الأموال، وهذا ينبغي بعلو الهمة، كما قال الشاعر:

إِنَّ الْأَسْوَدَ أَسْوَدَ الْغَابِ هَمَّتْ .. يَوْمَ الْكَرْبَةِ فِي الْمُسْلُوبِ لَا السَّلْبِ

والثاني: أنه لم يكن ظالما في قتلهم، إذ لو كان كذلك لما كان لأهل الدنيا سرور بخلوده.

(و) الثاني.

(أنه لم يكن ظالماً في قتلهم) وإلا لما كان للدنيا سرور بخلوده.

(ومنه) أي: ومن المعنوي.

(الإدماج) فقال ادمج الشيء في ثوبه إذا لفه فيه.

(وهو: أن يضمن كلام سبق لمعنى) مدحا كان أو غيره.

(معنى آخر) هو منصوب على أنه مفعول ثان ليضمن وقد أسند إلى المفعول الأول.

(فهو) لشموله المدح وغيره.

(أعم من الاستيعاب) لاختصاصه بالمدح.

(كقوله: أقلب فيه) أي: في ذلك الليل.

(أجفاني كأني أعد بها على الدهر الذنوباً^(١))

(١) البيت لأبي الطيب المتنبي من قصيدة من الوافر يمدح بها علي بن محمد بن سيار بن مكرم التميمي، أولها:

ضروبُ الناسِ عشاقُ ضروباً .. فأعـذـرهم أشفهم حياءَ
وما سـكنـي سـوى قـتلِ الأعادي .. فهل من زوزة تشفي القلوباً
إلى أن قال في وصف الليل:

أعزمني طال هذا الليل فانظر .. أمـنـك الصبح يفرق أن يؤوباً
كأن الفجر جب مستراز .. يراعي من دجته رقيباً
كأن نجومه حلبي عليه .. وقد حذيت قوائمه الجيوباً
كأن الجؤ قاسى ما أقامني .. فصار مـوـاده فيه شحوباً
كأن دجاء يجذبها سهادي .. فليس تغيب إلا أن يغيباً

وبعد البيت، وبعده:

وما ليل بأطول من نهار .. يظل بلحظ حسادي مريباً
وما موت بأبغض من حياة .. أرى هم معي فيها نصيباً
عرفت نوائب الحداث حتى .. لو انتسبت كنت لها نقيباً

وهي طويلة.

والشاهد فيه: الإدماج، وهو: أن يضمن كلاماً سبق لمعنى - مدحاً كان أو غيره - معنى آخر، فهنا ضمن وصف الليل بطول الشكاية من الدهر.

فإنه ضمن وصف الليل بالطول لشكاية الدهر ومنه) أي: ومن المعنوي.

(التوجيه) ويسمى محتمل الضدين.

(وهو إيراد الكلام محتملاً لوجهين مختلفين) أي: متباينين متضادين كالمدح والذم مثلاً

ولا يكفى مجرد احتمال معنيين متغايرين.

(كقول من قال:

لأعور ليت عينيه سواء^(١))

يحتمل ثمنى صحة العين العوراء فيكون دعاء له والعكس فيكون دعاء عليه.

قال (السكاكي: ومنه) أي: ومن التوجيه.

(متشابهات القرآن باعتبار) وهو احتماؤها لوجهين مختلفين وتفارقه باعتبار آخر، وهو

عدم استواء الاحتمالين لأن أحد المعنيين في التشابهات قريب والآخر بعيد ولما ذكر السكاكي

(١) قيل: إن قائله بشار بن برد، وهو من الرمل، وقيله:

خاط لي عمرو قباء

وبعده:

قلتُ شعراً ليس يُدري .. أمديح أم هجاء

يروى أنه فصل قباء عند خياط أعور اسمه عمرو أو زيد كما في تحرير التحبير فقال له الخياط على سبيل العيب به: سأتيك به لا تدري أهو قباء أو دواج، فقال له: إن فعلت ذلك لأنظمن فيك بيتاً لا يعلم أحد ممن سمعه أدعوت لك أم عليك، ففعل الخياط، فقال هذا البيت.

ومثله ما حكاه ميمون بن هارون قال: تقدم جعفران الموسوس إلى يوسف الأعور القاضي بسر من رأى في حكومة في شيء كان في يده من وقف له، فدفعه عنه وقضى عليه، فقال له: أراي الله أيها القاضي عينيك سواء، فأمسك عنه، وأمر برده إلى داره، فلما رجع أطعمه ووهب له دراهم، ثم دعا به فقال له: ماذا أردت بدعائك أردت أن يرد الله عليّ من بصري ما ذهب؟ فقال له: والله لئن كنت وهبت لي هذه الدراهم لأستحي منك لأنك المجنون، لا أنا، أخبرني كم من أعور رأيت عمي؟ قال: كثير، قال: فهل رأيت أعور صبح قط؟ قال: لا، قال: فكيف توهمت على الغلط؟ فضحك منه وصرفه.

والشاهد في البيت التوجيه: وهو إيراد الكلام محتملاً لوجهين مختلفين، فهنا يحتمل ثمنى العوراء صحيحة وعكسه.

نفسه من أن أكثر متشابهات القرآن من قبيل التورية والإيهام، ويجوز أن يكون وجه المفارقة هو أن المعنيين في التشابهات لا يجب تضادهما.

(ومنه) أي: ومن المعنوي.

(الهزل الذي يراد به الجدد كقوله:

إذا ما تميمي أذاك مفاخرًا فقل عد عن ذا كيف أكلك للضب^(١)

(ومنه) أي: ومن المعنوي.

(تجاهل العارف وهو كما سماه السكاكي سوق المعلوم مساق غيره لنكتة) وقال: لا

أحب تسميته بالتجاهل لوروده في كلام الله تعالى.

(كالتوبيخ في قول الخارجية: أيا شجر الخابور) هو من ديار بكر.

(مالك مورقا) أي: ناضرا ذا ورق.

(كانك لم تجزع على ابن ظريف^(٢))

(١) البيت لأبي نواس من قصيدة من الطويل، يهجو تميمًا وأسدًا، ويفتخر بقحطان، أولها:

ألا حيّ أطلالاً بسيحانٍ فالعذب .. إلى مَرعٍ فالبر بنر أبي رُعبٍ
تمشى بها عُقرُ الأطباءِ كأنّها .. أخاريدُ من رُومٍ يُقسَمُن في نهبٍ
عليها من السّرحاءِ ظلٌّ كأنّه .. هذا ليلٌ ليل غير مُنصرم النخبِ
تلاعب أبكار الغمام وتسمي .. إلى كلّ زحلوق وخالقة صعبِ
منازل كانت من حذامٍ وفَرَّتْنَا .. وتربيهما هندي فناهيك من تربِ

وبعده البيت، وبعده:

تُفاخِرُ أبناء الملوكِ سفاهةً .. و—ولك تجري فوق ساقك والكعبِ
إذا ابتدرَ النَّاسُ الفعّال فخذ عَصَى .. ودعْدعْ بمعزى يا ابن طالقَةِ الذُّرْبِ

وهي طويلة. والشاهد فيه: الهزل الذي يراد به الجدد، فإن سؤال التميمي عن أكله الضب في معنى الاستهزاء، وإذا تأملته في الحقيقة فهو جدّ، لأن تميمًا يكثر من أكل الضب ويُعَيَّرُون به.

(٢) البيت لليلي بنت طريف الشيباني، ترثي أخاها الوليد بن طريف، من أبيات من الطويل:

بتلّ نياقي رَسْمُ قبرِ كأنه .. على عَلم فوق الجبال منيفِ
تَضَمَّنَ جوداً حاتمياً وناثلاً .. وسورةً مقدام وقلب حصيفِ

ورأيت في تاريخ ابن خلكان هذا البيت على غير هذا الوضع، وهو:

(والله أعلم في الملحق كقول له:

تَقْضَىٰ نَجْدًا مَّخْصِيًّا وَسُودًا .. وَهَمَّةٌ مَقْدَامٌ، وَرَأْيٌ حَصِيفٌ

وَوِعْدَةٌ لِّلْيَقِينِ، وَوَعْدَةٌ:

فَتَنِي لِّلْإِجْتِبَاءِ الرَّأْيِ لِّلْأَمْنِ الثَّقَى .. وَلَا مَالٌ إِلَّا مِنْ قَنَاءٍ وَسُيُوفٍ

وَوَأْخَرُهَا:

عَلَيْهِ سَلَامٌ لِّلشُّرُوفَةِ الْيَقِينِ .. أَرَى الْمَوْتَ وَقَاعًا بِكُلِّ شَرِيفٍ

وَوَكَّلَنِي الْوَلِيدُ بْنُ طَرِيفٍ هَذَا رَأْسَ الْخِيَالِ رَجُلًا شَدِيدًا بِأَسَا وَصُولَةً، وَأَشْجَعَهُمْ. وَكَانَ مِنَ الشَّاشِيَةِ لَا يَأْمَنُ طَرِيفُ وَهْمُهُ، وَاسْتَعْدَدَتْ شُرُوكُهُ، وَوَطَّلَتِ أَلْيَاكُهُ، فَوَجَّهَهُ إِلَى الرَّشِيدِ يَزِيدَ بْنِ مَزِيدٍ الشَّيْبَانِي، فَجَعَلَ يَخَاتِلُهُ وَيَسَاكِرُهُ، وَوَكَّلَتِ الْهَرَامِيَّةُ مَنَعْرُفَةَ عَيْنِ يَزِيدَ بْنِ مَزِيدٍ، فَلَمَقَرَّوَا بِهِ الرَّشِيدَ، وَقَالُوا: إِنَّهُ يَتَجَاوَى عَنْهُ لِلرَّحِمِ، وَإِلَّا فَشُوكَةُ الْوَلِيدِ يَسِيرَةٌ، وَهَوَّيُوا يَتَلَدُّهُ، وَيَنْتَظِرُ مَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِهِ، فَوَجَّهَهُ إِلَى الرَّشِيدِ كِتَابٌ مُّغْضَبٌ يَقُولُ فِيهِ: لَوْ رَوَّجِيَتْ الْكُلُوبُ الْمُظْلَمُ الْقَتْلَ بِأَكْثَرِ مَا تَقْرُومُ بِهِ أَنْتَ، وَلَكِنَّكَ مُدَاهِنٌ مَتَعَصِبٌ، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَقْسِمُ بِاللَّهِ لَنْ أَخْبَرْتُ مَنَاجِيَةَ الْوَلِيدِ الْيُوحِيئِيِّ بِاللَّيْلِ مَنْ يَحْصِلُ رَأْسُكَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَقِيَ الْوَلِيدَ عَشِيَّةَ خَمِيسٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَقَالَ: إِنَّ يَزِيدَ جَبَّهًا عَظِيمًا حَتَّى رَمَى بِبَخَاتِهِ فِي فِيهِ، وَجَعَلَ يُلُوكُهُ وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّمَا شِدَّةُ شَدِيدَةٍ، فَصَبَّحْتُهَا، وَتَوَلَّى الْأَصْحَابِيَّةَ: فَمَا أَكْرَمَ إِلَهِي وَأَوْفَى إِلَهِي! هِيَ الْخَوَارِجُ، فَإِنَّهُمْ إِذَا انْهَزَمُوا لَوْ يَرْجِعُوا، وَكَانَ كَمَا قَالَ، حَطَّلُوا حَطْلَهُ نَفْسُ يَزِيدَ وَمِنْ مَجْهٍ مِنْ عَشِيرَتِهِ وَأَصْحَابِهِ، ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِمْ فَانْكَشَفُوا، وَاتَّبَعَ يَزِيدَ الْوَلِيدَ بْنِ طَرِيفٍ فَلَمَّحَتْهُ بِجِدِّهِ مَسْلُوقَةٍ جَمِيلَةٍ، فَلَاخِزَ رَأْسَهُ، وَكَانَ الْوَلِيدُ خَرَجَ إِلَيْهِمْ حِينَ خَرَجَ، وَهُوَ يَرْتَجِزُ وَيَقُولُ:

أَلَا الْوَلِيدُ طَرِيفُ الْفُطَارِي .. قَسْوَرَةٌ لَا يُضْطَلُّ بِنَارِي

جَبَّوْنَهُمْ أَنْخَرَجَنِي مِنْ دَارِي

فَلَمَّا وَتَقَعَ فِيهِمُ الْمَيْفُ وَأَخْطَرَ رَأْسَ الْوَلِيدِ صَحْبَتَهُمْ أُخْتَهُ لَيْلَى بِنْتُ طَرِيفٍ مُسْتَعْدَةً عَلَى الدَّرْعِ وَالْجَوْشَنِ، فَجَعَلَتْ تَحْصِلُ عَلَى الْمَلَامِينَ، فَقَرَّيَتْ، فَقَالَ يَزِيدُ: دَعُوهَا، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهَا فَضَرَبَ قَطَاةَ فَرْسِهَا، ثُمَّ قَالَ لَهَا: ائْتُرِي، عَرَّبَ اللَّهُ عَطَايَكَ، فَقَدْ فَضَحَتْهُ الشَّيْخَةُ، فَاسْتَحْيَتْ وَانْصَرَفَتْ، وَهِيَ تَقُولُ الْآيَاتِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي سَنَةِ تَمِيمٍ وَوَسْبَعِينَ وَمِائَةً.

وَلَمَّا انْصَرَفَ يَزِيدُ بِالْأَنْفَرِ حُجَّجَ رَأْسُ الْوَلِيدِ الْحَكَّةَ، وَأَظْهَرَ الرَّشِيدَ السَّخْطَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: وَحَقَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَا أَصْبِيغُ، وَاسْتَبَدَّ عَلَى فَوْجِي أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ، فَخَارَ نَحْوُ الْخَبَرِ بِذَلِكَ، فَأَذِنَ لَهُ، فَدَخَلَ، فَلَمَّا رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ضَحِكَ وَوَسَّرَ بِأَقْلِيلٍ يَصْخَبُ: مَرَجَلًا بِالْأَقْلِيلِ، حَتَّى دَخَلَ وَأَجْلَسَ، وَأَكْرَمَ، وَعَرَفَ بِلَاؤُهُ وَنَقَاءَ صَدْرِهِ، وَمَدَحَهُ ائْتَعِبَ بِهِ ذَلِكَ.

وَوَاسَّوْا رَأْسَ أَمِيرِ بَيْنَ رَأْسِ الْأَعْيُنِ وَالْفُؤَادِ بِصَبْدِ إِلَيْهِ.

وَرَأَى شَاهِدًا فِي الْمَيْفِ: نَجْدًا لَيْلَى إِلَى أَوْفَى وَسَائِلِ الْحَكَاكِيِّ: سَوَّقَ الْمَعْلُومَ مَسَاقَ غَيْرِهِ، وَهِيَ هُنَا تَوْبِيخٌ، فَإِنَّمَا تَعْلَمُ أَنَّ الشَّعْرَ لَا يَنْبَغِي عَلَى بَيْنِ حَرْفِيهِ لِكَيْلِهَا تَجَمُّعُهَا وَاسْتَعْمَلَتْ كَانِ الدَّلَالَةَ عَلَى الشُّكِّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

ألمع برق سرى أم ضوء مصباح أم ابتسامتها بالمنظر الضاحي^(١)

أي: أظن.

(أو) المبالغة (في الذم كقوله:

وما أدري وسوف إخال أدري)

أي: أظن وكسر همزة المتكلم فيه هو الأفصح، وبنو أسد تقول إخال بالفتح وهو

القياس.

(أقوم آل حصن أم نساء)^(٢)

(١) البيت للبحري، وهو من أول قصيدة من البسيط، يمدح بها الفتح ابن خاقان، وبعده:

يا بؤس نفس عليها جدّ آسفة .. وشجوّ قلبٍ إليها جدّ مرتاح
يتترّ مثل اهتزاز الغصن أتعبه مرور غيثٍ من الوسميّ ستّاح
ويرجع الليلُ مبيّضاً إذا ابتسمت .. عن أبيضٍ حصير السمطين لماح
وجدت نفسك من نفسي بمنزلة هي المصافاة بين الماء والراح
أنّني عليك بأنّي لم أجذّ أحداً يلحي عليك، وماذا يزعمُ اللاّحي
وليلة القصر والصّهباء قاصرة .. للهر بين أباريقٍ وأقداح
حيثُ خديك بلّ حيثُ من طرب .. وزداً بـوزدٍ، وثفاً بـثفاً
وهي طويلة، ومنها في المخلص:

كم نظرة في جبال الشّام لو نظرت روت غليل فؤادٍ منك ملّتاح
والعيس ترمي بأيديها على عجل .. في مهمو مثل ظهّر الترمس رخّراح
تُهدي إلى الفتح، والنعمى بذاك له .. مدحاً يقصّر عنه كلّ مدّاح

والضاحي: الظاهر. والشاهد في هذا البيت: تجاهل العارف للمبالغة في المدح، فإنّه بالغ في مدح ابتسامها، بحيث لم يفرق بينه وبين لمع البرق وضوء الصباح كما هو ظاهر.

(٢) هو من الوافر، وصدره:

وما أدري وسوف إخال أدري

وقالته زهير بن أبي سلمى، من قصيدة طويلة، قالها في هجاء بيت من كلب من بني عليم، وكان بلغه عنهم شيء، وكان رجل من بني عبد الله لبن غطفان أتى بني عليم، فأكرموه لما نزل بهم، وأحسنوا جواره وواسوه. وكان رجلاً مولعاً بالقمار، فأنهى إلا المقامرة، فقهر مرة فردّوه عليه، ثم قمر أخرى فردّوه عليه،

فيه دلالة على أن القوم هم الرجال خاصة.

(والتدله) أي: وكالتحير والتدهش.

(في الحب في قوله: تالله يا ظبيات القاع) وهو المستوي من الأرض.

(قلن لي ليلاي منكن أم ليلى من البشر)^(١)

ثم قمر الثالثة، فلم يردوه عليه، فترحل عنهم وشكا ما صنع به إلى زهير، والعرب حيثئذ يتقون الشعراء اتقاءً شديداً، فقال القصيدة، وأوها:

عفا من آل فاطمة الجواء .. فيمن القوادم فالحساء

إلى أن قال:

يجزؤون البرود وقد تمشت .. حياء الكأس فيهم والغناء

وبعده البيت، وبعده:

فإن تكن النساء محبات .. فحق لكل محصنة هداء

وكان زهير يقول: ما خرجت قط في ليلة ظلماء إلا خفت أن يصيبني الله عز وجل بعقوبة لهواني قوماً ظلمتهم.

والشاهد في البيت: تجاهل العارف للمبالغة في الذم، وفيه دلالة على أن لفظ القوم لا يطلق إلا على الرجال خاصة.

(١) البيت من قصيدة من الطويل، واختلف في نسبه: فنسب للمجنون، ولذي الرمة، وللعرجي، وللحسين بن عبد الله الغزي، ونسبه البخارزي، في دمية القصر، لبدوي اسمه: كامل الثقفي، والأكثرون على أنه للعرجي، وأول قصيدة كامل الثقفي:

إنسانة الحبي أم أدماء السمير .. يا للنهي رقصها لحن من الوتر

يا ما أميلح غزلاً شذناً لنا ... من هؤلاء بين الضال والسمير

وقال ابن داود في الزهرة: قال بعض الأعراب:

يا سرحة الحبي أين الروح وكيدي .. لهفاً تذوب وبيت الله من حسي

ما أنت عجماء عما قد سئلت قماً .. بسأل المنازل لم تنطق ولم تحير

يا قاتل الله غادات قرعن لها .. حب القلوب بها استودعن من حور

عنت لنا وعيون من براقعها .. مكنونة مقل الغزلان والبقر

وبعده: يا أميلح .. البيت. والقاع: أرض سهلة قد انفرجت عنها الجبال والآكام، وتجمع على قيع وقيع، وأفراع، وأفوع. والبشر: الإنسان، ذكر أكان أو أنثى، واحداً كان أو جمعاً. وقد يثنى، وقد يجمع.

والشاهد في هذا البيت: تجاهل العارف، للتدله في الحب، وهو: التحير والدهش.

وفي إضافة ليل إلى نفسه أولاً، والتصريح باسمها ثانياً استلذاً. وهذه أنموذج من نكات التجاهل وهي أكثر من أن يضبطها القلم.

(ومنه) أي: ومن المعنوي.

(القول بالموجب وهو ضربان: أحدهما أن تقع صفة في كلام الغير كناية عن شيء أثبت له) أي: لذلك الشيء.

(حكم فتبته لغيره) أي: فتثبت أنت في كلامك تلك الصفة لغير ذلك الشيء.

(من غير تعرض لثبوته له) أي: لثبوت ذلك الحكم لذلك الغير.

(أو نفيه عنه نحو قوله تعالى ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التغابن: ٨]) فالأعز صفة وقعت في كلام المنافقين كناية عن فريقهم والأذل كناية عن المؤمنين، وقد أثبت المنافقون لفريقهم إخراج المؤمنين من المدينة، فأثبت الله تعالى في الرد عليهم صفة العزة لغير فريقهم وهو الله تعالى ورسوله والمؤمنون، ولم يتعرض لثبوت ذلك الحكم الذي هو الإخراج للموصوفين بالعزة أعني الله تعالى ورسوله والمؤمنين ولا لنفيه عنهم.

(والثاني: حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده) حال كون خلاف مراده.

(عما يحتمله) ذلك اللفظ.

(بذكر متعلقه) أي: إنها يحمل على خلاف مراده بأن يذكر متعلق ذلك اللفظ.

(كقوله:

قلت ثقلت إذا أتيت مرارا قال ثقلت كاهلي بالأيادي^(١)

(١) البيت من الخفيف، ويَعْدُهُ:

فَلْتُ طَوَّلْتُ قَالَ لَا بِلَ تَطَوَّ... لْتُ وَأَبْرَمْتُ قَالَ حَبْلٌ وَدَادِي

والبيتان منسوبان لابن حجاج، ولم أرهما في ديوانه، ونسبهما سبط ابن الجوزي صاحب مرآة الزمان لمحمد بن إبراهيم الأسدي. والكاهل: الحارك، أو مُقَدَّمُ أَعْلَى الظَّهْرِ عَمَّا يَلِي الْعَتَقَ، وهو الثلث الأعلى وفيه ست

فلفظ ثقلت وقع في كلام الغير بمعنى حملتك المؤنة فحملة على تثقيل عاتقه بالأيادي والمنن) بأن ذكر متعلقه أعني قوله كاهلي بالأيادي.

(ومنه) أي: ومن المعنوي.

(الاطراد وهو أن تأتي بأسماء الممدوح أو غيره) وأسماء.

(آبائه على ترتيب الولادة من غير تكلف) في السبك.

(كقوله:

إن يقتلوك فقد ثلثت عروشهم بعتيبة بن الحارث بن شهاب^(١)

فقر، أو هو ما بين الكتفين وموصل العنق في الصلب، والأيادي: جمع يد، وهي النعمة. وفي معنى البيتين قول ابن الخازن:

لئن سَمِيتَ إِبْرَاماً وثَقَلَا .. زِيَارَاتٍ بِهِنَّ رَفَعْتَ قَدْرِي
فَمَا أَبْرَمْتُ إِلَّا حَبْلَ وَدِّي .. وَمَا أَثْقَلْتُ إِلَّا ظَهَرَ شَكْرِي

وقول ابن البغدادي:

حَجَجْتُ إِلَيْهِ وَالْعُدُولَ بِحُجْنِي عَلَيْهِ فَكَانَ الْعَذْلُ رَنَةً حَادِي
فَأَحْرَمْتُ لَكِنْ مُقْلَتِي سِنَّةَ الْكَرَى .. وَطُفْتُ وَلَكِنْ حَوْلَهُ بُودَادِي

والشاهد فيهما: القول بالموجب، ويسمى أسلوب الحكيم، وهو على ضربين: أحدهما أن تقع صفة في كلام الغير كناية عن شيء أثبت له حكم فثبتت تلك الصفة لغير ذلك الشيء من غير تعرض لثبوته أو نفيه عنه، والثاني: حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه، وهذا هو القسم المستعمل بين الناس ونظمه الشعراء.

(١) البيت من الكامل، وهو لربيعة من بني نصر بن قُعين يرثي ذؤاباً ابنه، ويقال: قائله داود بن ربيعة الأسدي، وبعد البيت:

بَاحِيَهُمْ فَقْدَا إِلَى أَعْدَائِهِ .. وَأَشَدَّهُمْ فَقْدَا عَلَى الْأَصْحَابِ

والثَّل: الهدم، يقال: ثلَّ الله عروشهم، أي هدم ملكهم، ويقال للقوم إذا ذهب عِزُّهم وتضعضع حالهم: قد ثلَّ عرشهم، والمعنى: إن تبجَّحوا بقتلك وصاروا يفخرون به فقد أثرت في عِزِّهم وهدمت أساس مجدهم بقتلك رئيسهم عتيبة بن الحارث، وكان من خبر قتله ما حكاه أبو عبيدة. والشاهد فيه: الاطراد: وهو أن يأتي الشاعر باسم الممدوح أو غيره وأسماء آبائه على ترتيب الولادة من غير تكلف، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام "الكريم ابن الكريم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم".

يقال للقوم: إذا ذهب عزهم وتضعضع حالهم قد ثل عرشهم يعني أن تبجحوا بقتلك وفرحوا به فقد اثرت في عزهم وهدمت اساس مجدهم بقتل رئيسهم.

فإن قيل: هذا من تتابع الإضافات فكيف يعد من المحسنات. قلنا قد تقرر أن تتابع الإضافات إذا سلم من الاستكراه ملح ولطف والبيت من هذا القبيل كقوله عليه السلام: "الْكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنُ الْكَرِيمِ" (١). الحديث، هذا تمام ما ذكر من الضرب المعنوي.

(وأما الضرب.

(اللفظي) من الوجوه المحسنة للكلام.

(فمنه الجناس بين اللفظين وهو تشابههما في اللفظ) أي: في التلطف فيخرج التشابه في المعنى نحو أسد وسبع أو في مجرد عدد الحروف نحو ضرب وعلم أو في مجرد الوزن نحو ضرب وقتل.

(والتام منه) أي: من الجناس.

(أن يتفقا) أي: اللفظان.

(في أنواع الحروف) فكل من الحروف التسعة والعشرين نوع وبهذا يخرج نحو يفرح ويمرح.

(و) في (أعدادها) وبه يخرج نحو الساق والمساق.

(و) في (هيئتها) وبه يخرج نحو البرد والبرد بالفتح والضم فإن هيئة الكلمة هي كيفية حاصلة لها باعتبار الحركات والسكنات فنحو ضرب وقتل على هيئة واحدة مع اختلاف الحروف بخلاف ضرب وضرب مبنيين للفاعل والمفعول فانهما على هيتين مع اتحاد الحروف.

(١) أخرجه البخاري من حديث ابن عمر (٣٣٩٠)، وأخرجه الترمذي (٣١١٦)، وأخرجه أحمد في مسنده (٥٦٧٩)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٥٧٧٦).

(و) في (ترتيبها) أي: تقديم بعض الحروف على بعض وتأخيرها عنه وبه يخرج نحو الفتح والحتف.

(فإن كانا) أي: اللفظان المتفقان في جميع ما ذكره.

(من نوع) واحد من أنواع الكلمة.

(كاسمين) أو فعلين أو فعلين أو حرفين.

(يسمى متماثلاً) جرياً على اصطلاح المتكلمين من أن التماثل هو الاتحاد في النوع.

(نحو: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ [الروم: ٥٥]) أي: القيامة.

(﴿يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾) من ساعات الأيام.

(وان كانا من النوعين) اسم وفعل أو اسم وحرف أو فعل وحرف.

(يسمى مستوفى كقوله:

ما مات من كرم الزمان فإنه يحيى لدى يحيى بن عبد الله^(١)

(١) البيت لأبي تمام من قصيدة من الكامل يمدح بها أبا الغريب يحيى بن عبد الله أولها:

إحْدَى بني عمرو بن عبد مَنَاءٍ بين الكَثِيبِ الفَرْدِ فالأَمْوَاهِ
أَلْقَى النَّصِيفَ فَأَنْتَ خَاذِلَةُ الهَوَى أُمْنِيَةُ الخَالِي وهوُ اللَّاهِي
رَبًّا يُعَارِضُ خَضْرُهَا أَزْدَاقَهَا وَتَطْيِبُ نَكْهَتَهَا بِلاِ اسْتِكْهَاءِ
عَرَضَتْ لَنَا يَوْمَ اللَّوَى فِي خُرْدٍ .. كَالسَّرْبِ حَوْلِي وَلُغْسٍ شَفَاءِ
بِيضٌ يَلُوحُ الحَسَنُ فِي وَجَنَاتِهَا .. وَالْمَلْحُ بَيْنَ نَظَائِرِ أَشْبَاهِ
لَمْ تَجْتَمِعْ أَمْثَالُهَا فِي مَوْطِنٍ .. لَوْلَا صَفَفَاتٌ فِي كِتَابِ الْبَاءِ
وَمَقْنَدٌ لَوَامِي نَهْنَهَتُهُ عَنْ مُغْلِظٍ لِعَمْدُوهُ نَجَّاءِ
وَمَوْئِبٍ لِي كِي أَفْتَقَ وَأَنْتَنِي .. لِأَصْمُ عَنْ يَسَاءٍ وَعَنْ يَسَاءِ
دَعْنِي أَقْمِ أَوْدَ الشَّبَابِ بِوَصْلِهَا .. إِنَّ السَّفَاهَ بِهَا لَغَيْرِ سَفَاهِ
فَإِذَا انْقَضَتْ أَيَّامُ تَشْيِيعِ الصَّبَا .. أَظْهَرْتَ تَوْبَةَ خَاسِعِ أَوَّاهِ
وَمَعَاوِدِ اللَّبِيدِ لَا يَهْتَوِي بِهٖ .. هَافٍ وَلَا يَزْهَاهُ فِيهَا زَاهِ
مُهْدٍ لِأَلْطَافِ النَّسَاءِ إِلَى فَتَى .. كَالْبَسْدِ لَا صَلْفٍ وَلَا تَيَّاهِ
لَأَبِي الغَرِيبِ غَرَائِبًا مِنْ مَدْحَتِي .. فِي غَيْرِ تَعْقِيْدٍ وَلَا اسْتِكْرَاهِ

ويَعْدُهُ الْبَيْتَ، وَيَعْدُهُ:

لأنه كريم يحى من اسم الكرم.
 (وأيضاً) جناس التام تقسيم آخر وهو أنه.
 (إن كان أحد لفظيه مركباً) والآخر مفرداً.
 (سمي جناس التركيب) وحيث.
 (فإن اتفاقاً) أي: اللفظان المفرد والمركب.
 (في الخط خص) هذا النوع من جناس التركيب.
 (باسم التشابه) لاتفاق اللفظين في الكتابة.
 (كقوله: إذا ملك لم يكن ذاهبة) أي: صاحب هبة وعطاء.
 (فدعه) أي: اتركه.
 (فدولته ذاهبة) أي: غير باقية.
 (ولاً) أي: وأن لم يتفق اللفظان المفرد والمركب في الخط.
 (خص) هذا النوع من جناس التركيب.
 (باسم المفروق) لافتراق اللفظين في صورة الكتابة.
 (كقوله:

كلكم قد أخذ الجام ولا جام لنا ما الذي ضر مدير الجام لو جاملنا^(١)

=

كالسيف ليس بزمل شهادة .. يوماً ولا بغضية جباة
 وهي طويلة، والزمل - بضم الزاي وتشديد الميم - الجبان الضعيف، والشهادة - بالكسر - الفاحش
 والثام المفسد بين الناس والقصير والغليظ. والشاهد فيه: الجناس المستوفي، وهو: أن يكون اللفظان المتفقان
 من نوعين كاسم وفعل.
 (١) البيتان من مجزوء الرمل، وهما لأبي الفتح البستي أيضاً. والشاهد فيهما: الجناس المفروق، وهو: المتفق
 لفظاً لا خطأ، كقول المعتمد ابن عباد يحكي قول جارية له في محنته:
 قالت لقد هتأ هتأ .. مولاي أين جاهنا
 قلت لها إهنسا .. صيرنا إلى هتأ

أي: عاملنا بالجميل هذا إذا لم يكن اللفظ المركب مركبا من كلمة وبعض كلمة والأخص باسم المرفوع كقولك اهذا مصاب أم طعم صاب.

(وإن اختلفا) عطف على قوله والتام منه أن يتفقا أو على محذوف أي هذا أن اتفقا فيها ذكر وأن اختلفا أي لفظا المتجانسين.

(في هيئات الحروف فقط) أي: واتفقا في النوع والعدد والترتيب.

(يسمى) التجنيس.

(محرفا) لانحراف احدى الهيئتين عن الهيئة الأخرى والاختلاف قد يكون بالحركة.

(كقولهم: جبة البرد جنة البرد) يعني لفظ البرد والبرد بالضم والفتح.

(ونحوه) في أن الاختلاف في الهيئة فقط قولهم.

(الجاهل إما مفرط ومفرط) لأن الحرف المشدد لما كان يرتفع اللسان عنها دفعة واحدة

كحرف واحد عد حرفا واحدا وجعل التجنيس مما لا اختلاف فيه في الهيئة فقط. ولذا قال.

(والحرف المشدد) في هذا الباب.

(في حكم المخفف) واختلاف الهيئة في مفرط ومفرط باعتبار أن الفاء من أحدهما ساكن

ومن الآخر مفتوح.

(و) قد يكون الاختلاف فيه في الحركة والسكون جميعا.

وقول المطوعي:

أَمِيرٌ كُلُّهُ كَرِيمٌ سَعِدْنَا بِأَخِيذِ الْمَجِيدِ عَنْهُ وَاقْتِيَابِهِ
يُجَاكِي النَّيْلَ حِينَ يَرُومُ نَيْلًا .. وَيَحْكِي بِاسْلَافٍ فِي وَقْتِ بَابِهِ

وقوله أيضاً:

لَا تَعْرِضَنَّ عَلَى الرُّوَاةِ قَصِيدَةً .. مَا لَمْ تَبَالِغْ قَبْلَ فِي تَهْذِيْبِهَا
فَمَتَى عَرَضْتَ الشُّعْرَ غَيْرَ مَهْذَبٍ .. عَدُوهُ مِنْكَ وَسَاوِسَاتُهُ تَهْذِيْبُهَا.

(كقولهم: البدعة شرك الشرك) فإن الشين من الأول مفتوح ومن الثاني مكسور والراء من الأول مفتوح ومن الثاني ساكن.

(وإن اختلفا) أي: لفظا المتجانسين.

(في أعدادها) أي: أعداد الحروف بأن يكون في أحد اللفظين حرف زائد أو أكثر إذا سقط حصل الجناس التام.

(سمى الجناس ناقصا) لنقصان أحد اللفظين عن الآخر.

(وذلك) الاختلاف.

(إما بحرف) واحد.

(في الأول مثل: ﴿وَالْتَفَتِ السَّائِي بِالسَّائِي﴾ ﴿٢٩﴾ إِلَى رَبِّكَ يُؤْمِنُ السَّائِي﴾ [القيامة: ٢٩، ٣٠] بزيادة الميم.

(أو في الوسط نحو: جدي جهدي) بزيادة الهاء وقد سبق أن المشدد بحكم المخفف.
(أو في الآخر كقوله:

يمدون من أيد عواص عواصم)^(١)

(١) هو صدر بيت من الطويل، وتماه:

تصوّل بأسيايف قواض قواضب

وقاتله أبو تمام، من قصيدة يمدح بها أبا دلف العجلي، أولها:

على مثلها من أزيغ وملاعب .. أهينّت مصونات الدموع السواكب

وهي طويلة، وما أحسن قوله في غلصها:

إذا العيسُ قد لاقى أبا دلفٍ فقد .. تقطّع ما بيني وبين النواكب

هنالك تلقى الجود في حيث قُطعت .. تئامه والمجد وافي الذواكب

تكادُ عطاياهُ تحنُّ جنونها .. إذا لم يُعوذها بنعمة طالب

وهذا البيت مما انتقد به على أبي تمام حتّى قال بعضهم: وما باله ينسبها إلى الجنون ويلتمس لها انعوذ والرقى؟

هلا فك إسارها وعجل خلاصها ولم يتظر بها نعمة الطالب ففعل كما قال أبو الطيب المتنبي:

وعطاء مالٍ لو عداه طالب .. أنفقت في أن تلاقي طالبا

ويحكى أن أبا تمام لما أنشد أبا دلف قوله:

بزيادة الميم ولا اعتبار بالتونين وقوله من أيد في موضع مفعول يمدون على زيادة من كما هو مذهب الأخفش، أو على كونها للتبعيض كما في قولهم هز من عطفه وحرف من نشاطه أو على أنه صفة محذوف أي يمدون سواعد من أيد عواص جمع عاصية من عصاه ضربه بالعصا، وعواصم من عصمه حفظه وحماه.
وتمامه:

تصول بأسياف قواض قواضب.

أي يمدون أيديهم ضاربات للأعداء حاميات للأولياء، صائلات على الأقران بسيوف حاكمة بالقتل قاطعة.

(وربما سمي) هذا القسم الذي يكون الزيادة فيه في الآخر.

(مطرفاً وأما بأكثر) من حرف واحد وهو عطف على قوله إما بحرف ولم يذكر من هذا الضرب إلا ما تكون الزيادة في الآخر.
(كقولها) أي: الخنساء.

(إن البكاء هو الشفاء من الجوى)

أي: حرقة القلب.

(بين الجوانح)^(١) بزيادة النون والحاء.

على مثلها من أَرْبَعٍ وملاعبٍ

قال: من أراد يُبَكِّتَهُ: لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

وهذا نوع من البديع يسمى التوليد، فإن هذا القائل وَلَدَ من الكلامين كلاماً يناقض غرض أبي تمام من وجهين: أحدهما: خروج الكلام عن النسيب إلى المهجاء بسبب ما انضم إليه من الدعاء، والثاني خروج الكلام من أن يكون بيتاً من الشعر إلى أن صار قطعة من الشر.

(١) البيت من مجزوء الكامل المرفل، وقائلته الخنساء من قصيدة ترثي بها أخاها صخرأ، أولها:

يا عينُ جودي بالدمو .. مع المستهلَّاتِ السوافخ
فَيْضاً كما فاضتْ غُرو .. بَ الْمُتَرَعَاتِ مِنَ التواضخ

ويعدله البيت، ويعدده:

(وربما سمي هذا) النوع.
 (مذيلا وإن اختلفا) أي: لفظ المتجانسين.
 (في أنواعها) أي: أنواع الحروف.
 (فيشترط أن لا يقع) الاختلاف.
 (بأكثر من حرف) واحد وإلا لبعد بينهما التشابه، ولم يبق التجانس كلفظي نصر ونكل.
 (ثم الحرفان) اللذان وقع بينهما الاختلاف.
 (إن كانا متقاربين في المخرج).
 (سمي) الجنس.
 (مضارعا وهو) ثلاثة أضرب لأن الحرف الأجنبي.
 (إما في الأول نحو: بيني وبينك ليل دامس وطريق طامس، أو في الوسط نحو قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦] أو في الآخر نحو: "الْحَبْلُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيهَا الْخَيْرُ"^(١)). ولا يخفى تقارب الدال والطاء وكذا الهاء والهمزة وكذا اللام والراء.
 (والا) أي: وأن لم يكن الحرفان متقاربين.
 (سمي لاحقا وهو أيضا إما في الأول نحو: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١]) الهمزة الكسر، واللمزة: الطعن، وشاع استعمالهما في الكسر من أعراض الناس والطعن فيها وبناء فعلة يدل على الاعتياد.

وابكي لصخر إذ ثوى .. بين الضريحة والصفائح
 أمسى لدى جدتٍ تُذِي .. عُجْ بترية هوجُ النوافح
 والسيدُ الجَحْجَاحُ واب .. نُ السادة الشمُّ الجماحج
 والشاهد فيه: الجنس المذيل، وهو: ما كان بأكثر من حرف.
 ومنه قول حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه:

وَكُنَّا مَتَى يَغْزُو النَّبِيُّ قَبِيلَهُ .. نَصِلُ جَانِبَهُ بِالْقَتَا وَالْقَتَائِلِ.

(١) أخرجه البخاري من حديث عروة بن الجعد البارقني (٢٨٥٠)، وأخرجه مسلم (١٨٧٥)، وأخرجه النسائي (٣٥٧٤)، وأخرجه الترمذي (١٦٣٦)، وأخرجه ابن ماجه (٢٧٨٨).

(أو في الوسط نحو: ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَيَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر: ٧٥]) وفي عدم تقارب الفاء والميم نظر فإنها شفويتان، وإن أريد بالتقارب أن يكونا بحيث يدغم أحدهما في الآخر فالهاء والهمزة ليستا كذلك.

(أو في الآخر نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ﴾ [النساء: ٨٣] وأن اختلفا) أي: لفظا المتجانسين.

(في ترتيبها) أي: ترتيب الحروف بأن يتحد النوع والعدد والهيئة لكن قدم في أحد اللفظين بعض الحروف وآخر في اللفظ الآخر.

(سمي) هذا النوع.

(تجنيس القلب نحو: حسامه فتح لأوليائه حتف لأعدائه ويسمى قلب كل) لانعكاس ترتيب الحروف كلها.

(ونحو: "اللَّهُمَّ اسْأُرْ عَوْرَاتِنَا، وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا" ، ويسمى قلب بعض) إذ لم يقع الانعكاس إلا بين بعض حروف الكلمة.

(فإذا وقع أحدهما) أي: أحد اللفظين المتجانسين تجانس القلب.

(في أول البيت و) اللف.

(الآخر في آخره سمي) تجنيس القلب حيثئذ.

(مقلوبا مجنحا) لأن اللفظين بمنزلة جناحين للبيت كقوله لاح انوار الهدى من كفه في كل حال.

(وإذا ولي أحد المتجانسين) أي: تجانس سواء كان جناس القلب أو غيره ولذا ذكره باسمه الظاهر دون المضمحل المتجانس.

(الآخر سمي) الجناس.

٤٦٠ تختصر المعاني للتفتازاني

(مزدوجا ومكررا ومرددا نحو: ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلٍ يَنْبَغِي يُقِينِ﴾ [النمل: ٢٢]) هذا من التجنيس اللاحق وامثلة الآخر ظاهرة مما سبق.

(ويلحق بالجناس شيئان أحدهما: أن يجمع اللفظين الاشتقاق) وهو توافق الكلمتين في الحروف الأصول مع الاتفاق في أصل المعنى.

(نحو قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ [الروم: ٤٣]) فإنهما مشتقان من قام يقوم.

(والثاني: أن يجمعهما) أي: اللفظين.

(المشابهة وهي ما يشبه) أي: اتفاق يشبه.

(الاشتقاق) وليس باشتقاق فلفظة ما موصولة أو موصوفة، وزعم بعضهم أنها مصدرية أي اشباه اللفظين الاشتقاق وهو غلط لفظا ومعنى.

أما لفظا فلأنه جعل الضمير المفرد في " يشبه " أي اللفظين وهو لا يصح إلا بتأويل بعيد فلا يصح عند الاستغناء عنه.

وأما معنى فلان اللفظين لا يشبهان الاشتقاق بل توافقهما قد يشبه الاشتقاق بأن يكون في كل منهما جميع ما يكون في آخر من الحروف أو أكثرها ولكن لا يرجعان إلى أصل واحد كما في الاشتقاق.

(نحو قوله تعالى: ﴿إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٨]) فالأول من القول والثاني من القلى. وقد يتوهم أن المراد بما يشبه الاشتقاق هو الاشتقاق الكبير وهذا أيضا غلط لأن الاشتقاق الكبير هو الاتفاق في الحروف الأصول دون الترتيب مثل القمر والرقم والمرق، وقد مثلوا في هذا المقام بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَثَقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [التوبة: ٣٨]، ولا يخفى أن الأرض مع أرضيتم ليس كذلك.

(ومنه) أي: ومن اللفظي.

(رد العجز على الصدر وهو في الشر: أن يجعل أحد اللفظين المكررين) أي: المتفقين في اللفظ والمعنى.

(أو المتجانسين) أو المتشابهين في اللفظ دون المعنى.

(والمحققين بهما) أي: بالمتجانسين الذي يجمعهما الاشتقاق أو شبه الاشتقاق.

(في أول الفقرة) وقد عرفت معناها.

(و) اللفظ (الآخر في آخرها) أي: آخر الفقرة فتكون الأقسام أربعة.

(نحو قوله تعالى: ﴿ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ [الأحزاب: ٣٧]) في المكررين.

(ونحو: سائل اللثيم يرجع ودمعه سائل) في المتجانسين.

(ونحو قوله تعالى: ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [نوح: ١٠]) في الملحقين اشتقاقا.

(ونحو: ﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ ﴾ [الشعراء: ١٦٨]) في الملحقين بشبه الاشتقاق.

(و) هو (في النظم أن يكون أحدهما) أي: أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما اشتقاقا أو شبه الاشتقاق.

(في آخر البيت و) اللفظ.

(الآخر في صدر المصراع الأول أو حشوه أو آخره أو صدر) المصراع.

(الثاني) فتصير الأقسام ستة عشرة حاصلة من ضرب أربعة في أربعة. والمصنف أورد ثلاثة عشر مثالا وأهمل ثلاثا.
(كقوله:

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه وليس إلى داعي الندى بسريع^(١)

فيما يكون المكرر الآخر في صدر المصراع الأول.

(وقوله:

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار^(١)

فيما يكون المكرر الآخر في حشو المصراع الأول. ومعنى البيت استمتع بشميم عرار نجد وهي وردة ناعمة صفراء طيبة الرائحة فانا نعدمه إذا امسينا لخروجنا من ارض نجد ومنابته.

(وقوله:

ومن كان بالبيض الكواعب)

=

حريص على الدنيا مضيق لدينه .. وليس لما في بيته بمضيق

وقائلها الأقيشر الشاعر، وكان شريباً للخمر، متهكاً به، لا يدخل في يده شيء، إلا أنفقه فيه، وكان له ابن عم موسر، فكان يسأله فيعطيه، حتى كثر ذلك، فمنعه وقال له: إلى كم أعطيك مالي وأنت تنفقه في شرب الخمر؟ والله لا أعطيك شيئاً أبداً، فتركه حتى اجتمع قومه في ناديه، وهو فيهم، ثم جاء فوقف عليهم، فشكاه إليهم، فوثب إليه ابن عمه فلفطه، فقالها. والشاهد فيه: رد العجز إلى الصدر، وسماه المتأخرون التصدير، وهو: أن يكون أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما في آخر البيت واللفظ الآخر في صدر المصراع الأول، أو حشوه، أو آخره، أو صدر المصراع الثاني.

(١) البيت للصمة القشيري، من أبيات من الوافر، وهي:

أقول لصاحبي والعيسُ تهوي .. بتا بينَ النيفة، فالضمار

وبعده البيت، وبعده:

ألا يا حبذا نفحاتُ نجدٍ ورَّيَا رَوْضَهُ بَعْدَ الْقَطَارِ

وأهلك إذ يَجُلُّ الحَيُّ نجداً .. وأنتَ على زمانك غيرُ زارٍ

شهورٌ ينقضينَ وما شَعَرْنَا بأنصافٍ لهنَّ ولا سَرارٍ

فأما ليلهنَّ فخيرٌ ليلٍ وأقصرُ ما يكونُ من النَّهارِ

وقيل: الأبيات لجعدة بن معاوية بن حزم العقيلي. ومن ظريف ما يحكى هنا أنَّ علي بن عيسى الرِّبعي النحوي - وكان يرمى بالجنون - مرَّ يوماً بسكران ملقى على قارعة الطريق، فحل الرِّبعي سَرَاويله وجلس على أنف السكران، وجعل يضطرب ويشمه، ويقول:

تمتَّع من شميم عَرَارٍ نجدٍ .. فما بعدَ العشيَّةِ مِنْ عَرَارٍ.

جمع كاعب، وهي الجارية حين تبدو ثديها للنهود.
(مغرما) مولعا.

(فما زلت بالبيض القواضب)

أي: السيوف القواطع.

(مغرما)^(١) فيما يكون المكرر الآخر في آخر المصراع الأول.

(وقوله: وإن لم يكن إلا معرج ساعة) هو خبر كان واسمه ضمير يعود إلى الإمام المدلول عليه في بيت السابق، وهو المعرج على الدار التي لو وجدت بها أهلها ما كان وحشا مقلها.

(قليلًا) صفة مؤكدة لفهم القلة من إضافة التعرّيج إلى الساعة أو صفة مقيدة أي إلا تعريجا قليلا في ساعة.

(١) البيت لأبي تمام، من قصيدة من الطويل، يمدح بها محمد بن يوسف الطائي، أولها:
عسى وطن يذنو بهم ولعلنا وأن تعتب الأيام فيهم فزئما
لهم منزل قد كان بالبيضي كالدّمي .. فصيح المعاني ثم أصبح أعجبا
وردة عيون الناظرين مهانة وقد كان مما يرجع الطّرف مكرما
تبدّل غاشيه بريم مسلم تزدى رداء الحسن طيفاً مسلما
ومن وفي خزل ينمن فرنده ... معاً لم يذكرن الكتاب المنمتا
وبالحلي إن قامت ترنم فوقها حاتم إذا لاقى حتماً ترتما
وبالحذلة السّاق المخدمّة الشّوى .. فلاتص يتلون القسي المخدمّا
لقد أصبح الثّغران سدين بعدما .. رأوا مرّ عان الدّل فذا وتوأمّا
وكنّت لناشيهم أباً ولكهملهم .. أنخاً ولذي التفويس والكبرة أبتما
وبعده البيت، وبعده:

ومن تيمت سمر الحسان وأدمها .. فما زلت بالسمّر العوالي متعياً
وهي طويلة بديعة. والكواعب: جمع كاعب، وهي: الناهضة الثدي. والبيض القواضب: السيوف القواطع.
والشاهد في البيت: مجيء اللفظ الآخر في آخر المصراع الأول.

(فإني نافع لي قليلها)^(١) مرفوع بأنه فاعل نافع، والضمير للساعة والمعنى قليل من التعرّيج في الساعة ينفعني ويشفي غليل وجدي، وهذا فيما يكون المكرر الآخر في صدر المصراع الثاني.

(وقوله: دعاني) أي: أتركاني.

(من ملامكما سفاها) أي: خفة وقلة عقل.

(فداعي الشوق قبلكما دعاني)^(٢)

(١) البيت لذي الرّمة، من قصيدة من الطويل، قالها في صاحبه مية، أولها:
خَلِيلِي عُدًّا حَاجَتِي مِنْ هَوَاكِمَا .. وَمَنْ ذَا يُوَاتِي النَّفْسَ إِلَّا خَلِيلُهَا
أَلَمَّا عَلَى الدَّارِ الَّتِي لَوْ وَجَدْتُمَا بِهَا أَهْلُهَا مَا كَانَ وَخْشًا مَقِيلُهَا
ويعده البيت، ويعده:

لَقَدْ أَشْرَبَتْ قَلْبِي لَمَيِّ مَوَدَّةً .. تَقْضِي اللَّيَالِي وَهَوَّ بَاقِي وَسِيلَهَا
مُهَنِّفَةً الْكَشْحِينَ رُودًا سَبَابُهَا مُبْتَلَةً خَوْذَ نَيْلٍ حُجُولَهَا
وَقَدْ تَيَمَّمْتُ قَلْبِي فَلَيْسَ بِنَازِعٍ وَقَدْ شَفَّهَ هِجْرَانُهَا وَمَطْوَهَا
والتعريج: الإقامة على الشيء. وحبس المطي على المنزل. والمعنى: إن لم يكن إلماكما - أي نزولكما القليل بالدار - إلا تعريج ساعة فإن قليلها ينفعني ويشفي غليل وجدي. والشاهد فيه: مجيء اللفظ الآخر في صدر المصراع الثاني

(٢) البيت للأرجاني، من قصيدة من الوافر، يمدح بها الوزير سعد الملك أولها:
إِذَا لَمْ تَقْدِرَا أَنْ تُسْعِدَانِي .. عَلَى سَجَنِي فَسِيرَا وَاتْرَكَانِي
ويعده البيت، ويعده:

وَأَيْنَ مِنَ الْمَلَامِ لَقَى هُمُومٍ .. يَبِيتُ وَنَفْسُهُ تُلْقَى الْجُحْرَانِ
أَمِيلُ عَنِ السُّلُوكِ فِيهِ بَرٌّ .. وَأَعْلَقُ بِالْفُجْرَامِ وَقَدْ بَلَانِي
وَأَعْجَبُ مِنْ حَنِينِي فِي التَّنَائِي .. وَأَعْجَبُ مِنْ صُدُودِكَ فِي التَّدَائِي
أَلَا اللَّهُ مَا صَنَعَتْ بَعْقَلِي .. عَقَائِلُ ذَلِكَ الْحَيِّ الِيمَانِي
نَوَاعِمُ يَتَّقِبْنَ عَلَى شَقِيْقِي .. يَرْفُ وَيَتَسَمَّنُ بِأَفْحْوَانِي
دَتَوْنَ عَشِيَّةَ التَّوْدِيْعِ مِنْي .. وَلِي عَيْنَانِ بِالْدمِ قَهْرِيَانِي
فَلَمْ يَسْخُنْ إِكْرَامًا جَفَوْنِي .. وَلَكِنْ رَمَنْ تَحْضِيْبُ الْبَنَانِي
وهي طويلة. والسفاه والسفه والسفاهة: خفة الحلم، وتثلث سينه، وقيل: هو نقيضه، أو الجهاج.

من الدعاء وهذا فيما يكون المتجانس الآخر في صدر المصراع الأول.
 (وقوله: وإذا البلبال) جمع بلبل وهو طائر معروف.
 (أفصحت بلغاتها، فانف البلبال) جمع بلبال وهو الحزن.
 (باحساء بلبال)^(١) جمع بلبلة بالضم وهو ابريق فيه الخمر. وهذا فيما يكون المتجانس الآخر أعني البلبال الأول في حشو المصراع الأول لا صدره لأن صدره هو قوله وإذا.
 (وقوله: فمشغوف بآيات المثاني): أي القرآن.
 (ومفتون برنات المثاني)^(٢) أي: بنغمات أوتار المزامير التي ضم طاق منها إلى طاق. وهذا فيما يكون المتجانس الآخر في آخر المصراع الأول.
 (وقوله: أملتهم ثم أملتهم فلاح) أي: ظهر.

=

والشاهد فيه: وقوع أحد اللفظين المتجانسين في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الأول، وهما دعائي الأولى بمعنى اتركاني ودعائي الثانية من الدعاء
 (١) البيت للثعالب، من الكامل، والبلبال الأولى: جمع بلبل، وهو الطائر المعروف، والثانية: جمع بلبال، وهو البرحاء في الصدر، والثالثة: جمع بلبلة، وهي فتاة الكوز التي يصب منها الماء، والاحتساء: الشرب.
 والشاهد فيه: مجيء المتجانس الآخر في حشو المصراع الأول.
 (٢) هو من الوافر، وقائله: أبو عبد الله وأبو محمد القاسم الحريري، من أبيات أولها:
 بها ما شئت من دين ودنيا .. وجيران تَنَافَرُوا في المعاني
 وبعده البيت، وبعده:

ومضطلعٌ بتلخيص المعاني ومطلعٌ إلى تلخيص عاني
 وكم من قارئٍ فيها وقارٍ أضرب بالجبون وبالجبان
 وكم من معلّمٍ للعلم فيها ونادٍ للندى حلو المجاني
 ومغنى ما تزال تُغنى فيه أغاريدُ الغواني والأغاني
 فصيلٌ إن شئت فيها من يصلي .. وإما شئت فادن من الدنان
 ودونك صحبة الأكياس فيها .. أو الكاسات منطلق العنان

والثاني الأول: القرآن أو ما نُتِي منه مرة بعد مرة أو الحمد لله أو من البقرة إلى براءة أو كل سورة دون الطوال ودون المائتين وفوق المفضل، والثاني الثانية من أوتار العود التي بعد الأول واحدها مثني.
 والشاهد فيه: مجيء المتجانس الآخر في آخر المصراع الأول.

(لي أن ليس فيهم فلاح) (١) أي: فوز ونجاة وهذا فيما يكون المتجانس الآخر في صدر المصراع الثاني.

(وقوله ضرائب) جمع ضريبة وهي الطبيعة التي ضربت للرجل وطبع عليها.

(أبدعتها في السباح) فلسنا نرى لك فيها ضربياً (٢)

أي مثلاً وأصله المثل في ضرب القداح. وهذا فيما يكون الملحق الآخر بالمتجانسين اشتقاقاً في صدر المصراع الأول.
(وقوله:

(١) البيت للأرجاني، من السريع، من قصيدة يمدح بها شمس الملك بن نظام الملك، أولها:
صوت حمام الأبيك عند الصباح .. جددت تذكاري عهد الصباح
علمتنا الشجوة فما من رأى .. عجباً يعلمن رجلاً فصاح
ألحان ذات الطوقي في غصنها .. مذكرتي أيام ذات الوشاح
لا أشكر الطائر إن شاقني .. على نوى من سكني وانتزاح
وإنما أشكر لو أنسني .. أعازني أيضاً إليه جناح
إلى أن يقول في مديحها:

يا كعبة للجود مأهولة إذا غدا الوفد إليها وراح
يفيدك قوم حاولوا ضلة تناول المجيد بأيدي شحاح
معاشر أمواهم في حمى .. وعرضهم من لؤمهم مستباح
والقصيدة طويلة. وفلاح الثانية: الفوز، والنجاة، والبقاء في الخير.

والشاهد فيه: مجيء المتجانس الآخر، في صدر المصراع الثاني
(٢) البيت نسبة للبحري غالب شراح التلخيص؛ وليس الأمر كذلك، وإنما هو للسري الرفاء، وقد سرق معناه من بيت البحري، فلذا سبق الوهم إلى نسبته إليه، وبيت البحري لفظه:
بلونا ضرائب من قد نرى .. فما إن رأينا لفتح ضربياً

وهو من قصيدة من المتقارب يمدح بها الفتح بن خاقان، أولها:

لوت بالسلام بنانا خضياً .. ولحظاً يشوق الفؤاد الطروباً

وهي طويلة. وبيت السري الرفاء من قصيدة يمدح بها أبا الفوارس سلامة بن فهد. أولها:

تعنفتي إن أطلت التحيا .. وأسلبت للعين دمعاً سكوباً

والضرائب: جمع ضريبة، وهي الطبيعة التي ضرب الرجل وطبع عليها، والضرب: المثيل.
والشاهد فيه: مجيء الملحق بالمتجانس الآخر في صدر المصراع الأول.

إذ المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه بخزان^(١)
أي إذا لم يحفظ المرء لسانه على نفسه مما يعود ضرره إليه فلا يحفظه على غيره مما لا ضرر
له فيه، وهذا فيها يكون الملحق الآخر اشتقاقاً في حشو المصراع الأول.
(وقوله:

لو اختصرتم من الإحسان زرتكم والعذب

من الماء.

(يهجر للإفراط في الخصر)^(٢)

(١) البيت لامرئ القيس، من قصيدة من الطويل أولها:

فقا بئك من ذكرى حبيب وعرفان ورسم عفت آياته منذ أزمان
أتت حجج بعدي عليها فأضبحت .. كخط زبور في مصاحف رهبان
ذكرت بها الحيّ الجميع فهيتجت عقايل سقم من ضمير وأشجان
فسحّت دموعي في الرداء كأنها كل من شعيب ذات سح وتنتان

وبعده البيت، وبعده:

فأما تريني في رحالة جابر على خرّج كالقرّ تخفق أكفاني
فيا ربّ مكروب كررت وراءه .. وعان فككت القيد عنه فقداني

ومعنى البيت: إذا لم يخزن المرء لسانه على نفسه ولم يحفظه مما يعود ضرره إليه فلا يخزنه على غيره ولا يحفظه
مما لا ضرر له فيه.

والشاهد فيه: مجيء الملحق الآخر في حشو المصراع الأول.

(٢) البيت لأبي العلاء المعري، من قصيدة من البسيط، يمدح بها أبا الرضاء المصيصي أولها:

يا ساهر البرق أيقظ راقد السمر لعل بالجنح أعواناً على السهر
وإن بخلت على الأحياء كلهم فاشق المواطن حياً من بني مطر
ويا أسيرة حجلها أرى سفهاً هل الحلي لمن أعيان النظر
ما يبرزت إلا وطيف منك يضحني .. سرى أمامي وتأوياً على أثري
لو حطّ رحلي فوق النجم رافعه ألفت ثم خيالاً منك متظري
يود أن ظلام الليل دامّ له وزيد فيه سواد القلب والبصر

وبعده البيت، وبعده:

أبعد حول تناجي الشوق ناجية هلاً ونحن على عشر من العشر
كم بات حولك من ريم وجوذة .. يستجديانك حُسن الدلّ والحو

أي: في البرودة يعني أن بعدي عنكم لكثرة إنعامكم عليّ.

وقد توهم بعضهم أن هذا المثال مكرر حيث كان اللفظ الآخر في حشو المصراع الأول كما في البيت الذي قبله ولم يعرف أن اللفظين في البيت السابق مما يجمعهما الاشتقاق، وفي هذا البيت مما يجمعهما شبه الاشتقاق، والمصنف لم يذكر من هذا القسم إلا هذا المثال وأهمّل الثلاثة الباقية وقد أوردتها في الشرح.

(وقوله:

فدع الوعيد فما وعيدك ضائري أطين أجنحة الذباب يضير)^(١)

وهذا فيما يكون الملحق الآخر اشتقاقاً وهو ضائري في آخر المصراع الأول.

(وفي قوله:

وقد كانت البيض القواضب في الوغى)

أي: السيوف القواطع في الحرب.

(بواتر) أي: قواطع يحسن استعمال إياها.

(فهى الآن من بعده بتر)^(٢)

=

والشاهد فيه: مجيء أحد الملحقين في آخر البيت والآخر في حشو المصراع الأول.

(١) البيت من الكامل، ولا أعرف قائله، ونسبه صاحب الدر الفريد لعبد الله ابن محمد بن عينة المهلبى، قال: وكان علي بن محمد بن جعفر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه هذا إلى نصرته حين ظهرت الميضة فلم يجبه، فتوعده علي، فقال عبد الله:

أعلّي إنك جاهل مغرور .. لا ظلمة لك لا ولا لك نور
أبعثت توعدي أن استبطأني .. إني بحزبك ما حييت جديراً

وبعده البيت، وبعبده:

وإذا ارتحلت فإن نصري للأولى .. أبواهم المهدي والمنصور
بُنيث عليه لحومنا ودمائنا .. وعليه قُدر سعيينا المشكور

والضير: الضير. والشاهد فيه: مجيء الملحق الآخر في آخر المصراع الأول.

جمع أبتر، إذ لم يبق من بعده من يستعملها استعماله. وهذا فيما يكون المليحق الآخر اشتقاقاً في صدر المصراع الثاني.

(ومنه) أي: ومن اللفظي.

(السجع قيل: وهو تواطؤ الفاصلتين من الشر على حرف واحد) في الآخر.

(وهو معنى قول السكاكي هو) أي: السجع.

(في الشر كالقافية في الشعر) يعني: أن هذا مقصود كلام السكاكي ومحصوله وإلا

فالسجع على التفسير المذكور بمعنى المصدر أعني توافق الفاصلتين في الحرف الأخير.

وعلى كلام السكاكي هو نفس اللفظ المتواطىء الآخر في أواخر الفقر، ولذا ذكره

السكاكي بلفظ الجمع، وقال: إنها في الشر كالقوافي في الشعر، وذلك لأن القافية لفظ في آخر

البيت، أما الكلمة نفسها أو الحرف الأخير منها أو غير ذلك على تفصيل المذاهب وليست

عبارة عن تواطىء الكلمتين من أواخر الأبيات على حرف واحد.

فالحاصل أن السجع قد يطلق على الكلمة الأخيرة من الفقرة باعتبار توافقها للكلمة

الأخيرة من الفقرة الأخرى، وقد يطلق على نفس توافقها ومرجع المعنيين واحد.

(وهو) أي: السجع ثلاثة أضرب.

(مطرف إن اختلفا) أي: الفاصلتين.

(في الوزن نحو: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٣-١٤])

فإن الوقار والاطوال مختلفان وزنا.

(١) البيت لأبي تمام من قصيدة من الطويل يرثي بها محمد بن حميد، وتقدم ذكر مطلعها في شواهد التذييع ومنها قبل البيت:

فَتَى سَلْبَةُ الْخَيْلِ وَهُوَ جَاهِلُهَا .. وَبَزَتْ نَارُ الْحَرْبِ وَهُوَ لَهَا جَمْرٌ

قضى طاهر الأثواب لم تَبَقْ بقعة .. غداة ثوى إلا أشتت أنها قبرٌ

والبوتر: السيوف القواطع، والبتر: جمع أبتر، وهو المقطوع. والمعنى: لم يبق بعده من يستعملها استعماله.

والشاهد فيه: مجيء الملحق الآخر في صدر المصراع الثاني، والله أعلم.

(وإلا) أي: وإن لم يختلفا في الوزن.

(فإن كان ما في إحدى القرينتين) من الألفاظ.

(أو) كان.

(أكثره) أي: أكثر ما في أحد لقرينتين.

(مثل ما يقابله) من القرينة الأخرى.

(في الوزن والتقفية) أي: التوافق على الحرف الأخير.

(فترصيع نحو: فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه)

فجميع ما في القرينة الثانية يوافق لما يقابله من القرينة الأولى. وأما لفظه فهو فلا يقابله شيء من الثانية، ولو قال بدل الأسماع الاذان كان مثالا لما يكون أكثر ما في الثانية موافقا لما يقابله في الأولى.

(وإلا فهو متواز) أي: وأن لم يكن جميع ما في القرينة ولا أكثر مثل ما يقابله من الأخرى

فهو السجع المتوازي.

(نحو: ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴾ [١٣] ﴿ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴾ [الغاشية: ١٣-١٤])

لاختلاف سرر وأكواب في الوزن والتقفية جميعا.

وقد يختلف الوزن فقط نحو: ﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴾ [١] ﴿ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴾

[المرسلات: ١-٢] وقد تختلف التقفية فقط كقولنا، حصل الناطق والصامت، وهلك

الحاسد والشامت.

(قيل: وأحسن السجع ما تساوت قرائنه نحو: ﴿ فِي سِنْدِرٍ مَخْضُودٍ ﴾ [٢٨] ﴿ وَطَلَحٍ

مَنْضُودٍ ﴾ [٢٩] ﴿ وَظِلٌّ مَمْدُودٍ ﴾ [الواقعة: ٢٧-٣٠] ثم أي: بعد أن لا تتساوى قرائنه

فالأحسن.

(ما طالت قرينته الثانية نحو: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾ [١] ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾

[النجم: ١-٢] أو) قرينته.

(الثالثة نحو: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴾ ﴿ ٣٠ ﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿ [الحاقة: ٣٠-٣١] من
التصليّة.

(ولا يحسن أن يؤتي قرينة) بعد قرينة أخرى.

(أقصر منها) قصرا.

(كثيرا) لأن السجع قد استوفى أمده في الأول بطوله فإذا جاء الثاني أقصر منه كثيرا
يبقى الإنسان عند سماعه كمن يريد الانتهاء إلى غاية فيعثر دونها، وإنما قال كثيرا احترازا عن
نحو قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ ﴿ ١ ﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿ [الفيل: ١-٢].

(والأسجاع مبنية على سكون الأعجاز) أي: أواخر فواصل القرائن إذ لا يتم التواطؤ
والتزاوج في جميع الصور إلا بالوقف والسكون.

(كقولهم: ما أبعد ما فات، وأقرب ما هو آت) أي: إذ لو لم يعتبر السكون لفات السجع
لأن التاء من فات مفتوح ومن آت منون مكسور.

(قيل: ولا يقال في القرآن أسجاع) رعاية للأدب وتعظيما له، إذ السجع في الأصل هدير
الحمام ونحو.

وقيل: لعدم الإذن الشرعي، وفيه نظر إذ لم يقل أحد بتوقف أمثال هذا على إذن الشارع
وإنما الكلام في أسماء الله تعالى.

(بل يقال) للأسجاع في القرآن أعني الكلمة الأخيرة من الفقرة.

(فواصل، وقيل السجع غير مختص بالنثر ومثله من النظم قوله:

تحلى به رشدي وأثرت)

أي: صارت ذات ثروة.

(به يدي وفاض به ثمدي)

هو بالكسر الماء القليل. والمراد ههنا المال القليل.

(وأورى) أي: صار ذا وري.

(به زندي)^(١) فاما أوري بضم الهمزة وكسر الراء على أنه المتكلم المضارع، من أورت الزند أخرجت ناره فغلط وتصحيف ومع ذلك يأباه الطبع.

(ومن السجع على هذا القول) أي: القول بعدم اختصاصه بالشر.

(ما يسمى التشطير، وهو جعل كل من شطري البيت سبعة مخالفة لأختها) أي: للسبعة التي في الشطر الآخر، وقوله سبعة في موضع المصدر أي مسجوعا سبعة لأن الشطر نفسه ليس بسبعة أو هو مجاز تسمية للكل باسم جزئه.

(كقوله: تدبير معتصم بالله منتقم، لله مرتغب في الله) أي: راغب فيما يقربه من رضوانه.

(مرتقب) أي: منتظر ثوابه أو خائف عقابه، فالشطر الأول سبعة مبنية على الميم

والثانية سبعة مبنية على الباء.

(ومنه) أي: ومن اللفظي.

(الموازنة وهي تساوى الفاصلتين) أي: الكلمتين الأخيرتين من الفقرتين أو من

المصراعين.

(١) البيت لأبي تمام أيضاً من قصيدة من الطويل يمدح بها نصر بن منصور ابن بسام الكاتب، أولها:

أطلالَ هَندٍ طالما اعتَضَّتْ من هَندٍ .. أفايَضَتْ حور العين بالعمور والرُّمَدِ
إذا شِئْنَ بالألوان كُنَّ عِصَابَةً .. مِنَ الهَنَسِ والأَذَانِ كُنَّ مِنَ الصُّغَدِ
أعَجَّنَا عَلَيْكَ العَيْسَ بَعْدَ مَعَاجِهَا .. عَلَى البَيْضِ أتراباً عَلَى التَّوَيِّ والوَرْدِ
فلا دَمْعَ أو يَقْفُو عَلَى إثرِهِ دَمٌ .. ولا وَجَدَ مَنَّا لَمْ نَعْيَ عَنْ صِفَةِ الوجودِ

ومنها في وصف الممدوح:

ساحِداً نصرأ ما حَيَّيْتُ وإِنِّي .. لأَعْلَمُ أن قد جَلَّ نصرٌ عن الحمدِ

وبعده البيت، وبعده:

فإن يَكُ أَرِي عَفْوُ شكري على ندى .. أناسٍ فقد أَرَى نَداءَهُ على جَهْدِي

والرشد: الهداية، والثروة: كثرة العدد من الناس والمال، والشمس - بسكون الميم وتحرك - الماء القليل لا مادة له، أو ما يبقى في الجلد، أو ما يظهر في الشتاء ويذهب في الصيف، والرواية في ديوانه بلفظ حري بدل ثمدي ومعنى أوري به زندي صار ذا وَرَيٍّ، وهو عبارة عن الظفر المطلوب. والشاهد فيه: مجيء السجع في النظم.

(في الوزن دون التقفية نحو: ﴿ وَتَهَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴾ ١٥ ﴿ وَزَرَائِي مَبْثُوثَةٌ ﴾ [الغاشية: ١٥، ١٦]) فإن مصفوفة ومبثوثة متساويان في الوزن لا في التقفية إذ الأولى على الفاء والثانية على الثاء لا عبرة بقاء التأنيث في القافية على ما بين في موضع.

وظاهر قوله دون التقفية أنه يجب في الموازنة عدم التساوى في التقفية حتى لا يكون نحو: ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴾ ١٣ ﴿ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴾ [الغاشية: ١٣-١٤] من الموازنة ويكون بين الموازنة والسجع مباينة إلا على رأى ابن الاثير فإنه يشترط في السجع التساوى في الوزن والتقفية ويشترط في الموازنة التساوى في الوزن دون الحرف الأخير فنحو شديد وقريب ليس بسجع وهو أخص من الموازنة وإذا تساوى الفاصلتان في الوزن دون التقفية.

(فإن كان في إحدى القرينتين) من الألفاظ.

(أو أكثره مثل ما يقابله من) القرينة.

(الأخرى في الوزن) سواء كان يماثله في التقفية أو لا.

(خص) هذا النوع من الموازنة.

(باسم المماثلة) وهي لا تختص بالنثر كما توهمه البعض من ظاهر قولهم تساوى الفاصلتين، ولا بالنظم على ما ذهب إليه البعض بل تجرى في القيليتين فلذلك أورد مثالين.

(نحو قوله تعالى: ﴿ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴾ ١١٧ ﴿ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾

[الصافات: ١١٧-١١٨]، وقوله مهيا الوحش) جمع مهاة وهي البقرة الوحشية.

(إلا أن هاتا) أي: هذه النساء.

(أو أنس، قنا الخط إلا أن تلك) لقناة.

(ذوابل)^(١) وهذه النساء نواضر.

(١) البيت لأبي تمام، من قصيدة من الطويل يمدح بها الوزير محمد بن عبد الملك الزيات أولها:

متى أنت عن ذهلية الحي ذاهل ... وقلبك منها مدّة الدهر آهل
تطيل الطلول الدمع في كل موقف .. وتمثل بالصبر الديار الموانل
دوارس لم يجف الربيع ربوعها ولا مرّ في أغفاله وهو غافل

والمثالان: مما يكون أكثر ما في إحدى القريبتين مثل ما يقابله من الأخرى لعدم تماثل آتيناهما وهدينا هما وزنا وكذا هاتا وتلك.

ومثال الجميع قول أبي تمام:

فأحجم لما لم يجد فيك مطمعا وأقدم لما لم يجد عنك مهربا
وقد كثر ذلك في الشعر الفارسي، وأكثر مدائح أبي الفرج الرومي من شعراء العجم
على المماثلة، وقد اقتفى الأنثوري أثره في ذلك.
(ومنه) أي: ومن اللفظي.

(القلب) وهو أن يكون الكلام بحيث لو عكسته بدأت بحرفه الأخير الحرف الأول
كان الحاصل بعينه هو هذا الكلام ويجري في النثر والنظم.
(كقوله:

مودته تدوم لكل هول وهل كل مودته تدوم)^(١)

فقد سحبت فيها السحائب ذيلها .. وقد أخلت بالنور منها الخماثل
تعفين من زاد العفاة إذا انتحى .. على الحي صرْف الأزيمة المتحامل
هم سلف سمر العوالي وسامر .. وفيهم جمال لا يغيض وجامل
ليالي أضللت العزاة وتحذلت .. يعقلك آراء الظباء الخواذل
من الحيف لو أن الخلاجل صيرت .. لها وشحا جالت عليها الخلاجل
وبعده البيت، وبعبده:

هوى كان خلصاً، إن من أحسن الهوى .. هوى جلت في أفئاته وهو خامل
وهي طويلة. ومها الوحش - بفتح الميم - بقره، والخط هنا بفتح الخاء المعجمة وتكسر: مرفاً للسفن
بالبحرين، وإليه تنسب الرماح الخطية لأنها تباع به لا لأنه منبتها.
والشاهد فيه: المماثلة، وهي: أن يكون ما في أحد الفقرتين أو شطري البيت مثل ما يقابله من الآخر في الوزن
دون التقفية، وقد تأتي ألفاظ المماثلة من غير قصد كقول امرئ القيس السابق في التشبيه:
كأن المدام وصوب الغمام .. وريح الخزامي ونشر العطر
(١) البيت للأرجاني من قصيدة من الوافر، يمدح بها نجم الدين أبا عبد الله الفضل بن محمد بن الفضل بن
محمود، أولها:

في مجموع البيت. وقد يكون ذلك في المصراع كقوله:

أرانا الإله هلالاً أرانا

(وفي التنزيل: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣] ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدثر: ٣])

والحرف المشدد في حكم المخفف لأن المعتبر هو الحرف المكتوبة.

وقد يكون ذلك في الفرد نحو سلس ومغايرة القلب بهذا المعنى لتجنيس القلب ظاهر،

فإن المقلوب ههنا يجب أن يكون عين اللفظ الذي ذكر بخلافه ثمة، ويجب ثمة ذكر اللفظين جميعاً بخلافه ههنا.

(ومنه) أي: ومن اللفظي.

(التشريع) ويسمى الترشيح وذا القافيتين أيضاً.

(وهو بناء البيت على قافيتين يصح المعنى عند الوقوف على كل منهما) لأن التشريع هو

أن يبنى الشارع أبيات القصيدة ذات قافيتين على بحرین أو ضربین من بحر واحد فعلى أي القافيتين وقفت كان شعراً مستقيماً.

لأَيٍّ وميض بارقةٍ أَشِيمُ .. ومَرَعَى الفضلِ في زَمَنِ هَشِيمٍ
أَسِيتُ وخَذْلِيلُ الشَّعْرِ مَنِي .. بكفِّ الصَّبحِ من شَيْبِي لَطِيمٍ
وَضَمُّ إِلَيَّ أَفْكَارِي جَنَاحِي فلي في عَشٍّ مُطَرَحِي جُنُومُ
فَعْدَرَأْ إِن تَغَيَّرَ عَهْدُ شِغْرِي وقد يُغْضِي على الزَّلْزَلِ الحَلِيمُ
وما قَصَّرْتُ عن شَأٍ وَلَكِنْ سَقِيمٌ كُلُّ ما نَظَمَ السَّقِيمُ

إلى أن قال:

أَحِبُّ المَرْءَ ظَاهِرُهُ جَمِيلٌ لَصَاحِبِهِ وبَاطِنُهُ سَلِيمٌ
يُؤَوِّلُ دَعْوَتِي وَيَجِيبُ طَوْعاً ... إِذَا ما عَنِّي شَرَفٌ مَرُومُ
وفي الفتيانِ كُلِّ رِبِيضٍ جَاشٍ .. يَرَى حَرْبَ الزَّمانِ ولا يَحِيمُ

والشاهد فيه: القلب، ويسمى المقلوب، والمستوي، وسماه الحريري بما لا يستحيل بالانعكاس، وهو أن يكون عكس البيت شطره كطرده، وغايته: أن يكون رقيق الألفاظ، سهل التركيب، منسجماً في حالتي النظم والشر.

قلنا: القافية إنما هي آخر البيت فالبناء على قافيتين لا يتصور إلا إذا كان البيت بحيث يصح الوزن ويحصل الشعر عند الوقوف على كل منهما، وإلا لم تكن الأولى قافية.

(كقوله: يا خاطب الدنيا) من خطب المرأة.

(الدنية) أي: الخسيسة.

(إنها، شرك الردى) أي: حباله الهلاك.

(وقرارة الأكدار)^(١) أي: مقر الكدورات. فإن وقفت على الردى فالبيت من الضرب

الثامن الطويل الكامل وأن وقفت على الأكدار فهو من الضرب الثاني منه، والقافية عند الخليل من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه مع الحركة التي قبل ذلك الساكن، فالقافية الأولى من هذا البيت هو لفظ الردى مع حركة الكاف من شرك، والقافية الثانية هي من حركة الدال من الأكدار إلى الآخر وقد يكون البناء على أكثر من قافيتين وهو قليل متكلف، ومن لطيف ذى القافيتين نوع يوجد في الشعر الفارسي، وهو أن تكون الألفاظ الباقية بعد القوافي الأولى بحيث إذا جمعت كانت شعرا مستقيماً المعنى.

(ومنه) أي: ومن اللفظي.

(لزوم ما لا يلزم) ويقال له الإلزام والتضمين والتشديد والإعنات أيضاً.

(وهو أن يجيء قبل حرف الروي) وهو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة وتنسب إليه

فيقال قصيدة لامية أو ميمية مثلاً، من رويت الحبل إذا قتلته لأنه يجمع بين الأبيات كما أن القتل يجمع بين قوى الحبل، أو من رويت على البعير إذا شددت عليه الرواء وهو الحبل الذي يجمع به الأحمال.

(١) البيت للحريري من الكامل، وبعده:

دار متى ما أضحككفني يو.... مها أبكت غداً تباً لها من دار

والدنية: الخسيسة، وشرك الردى: حباله الهلاك، وقرارة الأكدار: مقر الهموم والأوصاب المدرة للعيش. والشاهد فيه: التشريع، وسماه ابن أبي الأصبع: التوأم، وهو بناء البيت على قافيتين يصح المعنى عند الوقوف على كل منهما، فهذا البيت وما بعده إذا أنشد على هيئته كان من ثاني الكامل، وإذا أسقطت الجزئين الأخيرين منه كان من ثامنه فبقى صورته:

يا خاطب الدنيا الدنية .. إنها شرك الردى.

(أو ما في معناه) أي: قبل الحرف الذي هو في معنى الروي.
 (من الفاصلة) يعني الحرف الذي وقع في فواصل الفقر موقع حرف الروي في قوافي
 الأبيات. وفاعلي يجيء هو قوله.
 (ما ليس بلازم في السجع) يعني أن يؤتى قبله بشيء لو جعل القوافي أو الفواصل
 أسجاعا لم يحتج إلى الإتيان بذلك الشيء ويتم السجع بدونه.
 فمن زعم أنه كان ينبغي أن يقول ما ليس بلازم في السجع أي القافية ليوافق قوله قبل
 حرف الروي أو ما في معناه فهو لم يعرف معنى هذا الكلام.
 ثم لا يخفى أن المراد بقوله يجيء قبل كذا ما ليس بلازم في السجع أن يكون ذلك في
 بيتين أو أكثر أو فاصلتين أو أكثر، وإلا ففي كل بيت أو فاصلة يجيء قبل حرف الروي أو ما
 في معناه ما ليس بلازم في السجع كقوله:

قِفَا بَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلٍ

قد جاء قبل اللام ميم مفتوحة وهو ليس بالزوم في السجع. وقوله قبل حرف الروي أو
 ما في معناه إشارة إلى أنه يجري في الشر والنظم.

(نحو: ﴿فَأَمَّا النَّيِّمُ فَلَا تَقْهَرْ﴾ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلُ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ٩-١٠] فالراء
 بمنزلة حرف الروي، وجيء الهاء قبلها في الفاصلتين لزوم ما يلزم لصحة السجع بدونها
 نحو فلا تنهر ولا تسخر.
 (وقوله:

سأشكر عمرا إن تراخت مني

(أبادي)

بدل من عمرا.

(أبادي لم تمن وإن هي جلت)

أي لم تقطع أو لم تخلط بمنة وأن عظمت وكثرت.

(فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت)

زلة القدم والنعل كناية عن نزول الشر والمحنة.

(رأى خلتي) أي: فقري.

(من حيث يخفى مكانها) لأنني كنت أسترها عنه بالتجمل.

(فكانت) أي: خلتي.

(قذى عينيه حتى تجلت)^(١) أي: انكشفت وزالت بإصلاحه إياها بأياديه يعني من حسن اهتمامه جعله كالداء الملازم لأشرف أعضائه حتى تلافاه بالأصلاح، فحرف الروي هو التاء وقد جيء قبله بلام مشددة مفتوحة، وهو ليس بلازم في السجع لصحة السجع بدونها نحو: جلت ومدت ومننت وانشقت ونحو ذلك.

(وأصل الحسن في ذلك كله) أي: في جميع ما ذكر من المحسنات اللفظية.

(أن تكون الألفاظ تابعة للمعاني دون العكس) أي: أن لا يكون المعاني توابيع للألفاظ بأن يؤتى بالألفاظ متكلمة مصنوعة فيتبعها المعنى كيف ما كان كما فعله بعض المتأخرين الذين لهم شعف بإيراد المحسنات اللفظية فيجعلون الكلام كأنه غير مسوق لإفادة المعنى ولا يبالون بخفاء الدلالات، وركاكة المعنى فيصير كغمد من ذهب على سيف من خشب. بل الوجه أن تترك المعاني على سجيته فتطلب لانفسها لفظاً تليق بها، وعند هذا تظهر البلاغة والبراعة ويتميز الكامل من القاصر، وحين رتب الحريري مع كمال فضله في ديوان الإنشاء عجز، فقال ابن الخشاب: هو رجل مقاماتي وذلك لأن كتابه حكاية تجري على حسب إرادته ومعانيه تتبع ما اختاره من الألفاظ الموضوعية، فأين هذا من كتاب أمر به في قضية، وما أحسن ما قيل في الترجيح بين الصاحب والنصاب: أن الصاحب كان يكتب كما يريد، والنصاب كان يكتب كما يؤمر، وبين الحالتين بون بعيد، ولهذا قال قاضي قم حين كتب إليه الصاحب: أيها القاضي بقم، قد عزلناك فقم، والله ما عزلتني إلا هذه السجعة.

(١) الأبيات من الطويل، وقائلها عبد الله بن الزبير الأسدي في عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنهما، وكان سببها ما حكاه أبو غسانة قال: بلغني أن أول من أخذ نسيئة في الإسلام عمرو بن عثمان بن عفان، أتى عبد الله بن الزبير الأسدي فرأى عمرو تحت ثيابه ثوباً رثاً، فدعا وكيله وقال له: اقترض له مالاً، فقال: هيهات ما يعطينا التجار شيئاً، قال: فأريحهم ما شاءوا، فاقترض له ثمانية آلاف درهم باثني عشر ألفاً، فوجه بها إليه من تحت ثيابه، فقال عبد الله بن الزبير الأبيات.

خاتمة الفن الثالث

(في السرقات الشعرية وما يتصل بها) مثل الاقتباس والتضمين والعقد والحل والتلميح.

(وغير ذلك) مثل القول في الابتداء والتخلص والانتهاء.

وإنما قلنا: إن الخاتمة من الفن الثالث دون أن نجعلها خاتمة للكتاب خارجة عن الفنون الثلاثة كما توهمه غيرنا؛ لأن المصنف قال في الإيضاح في آخر بحث المحسنات اللفظية: هذا ما تيسر لي بإذن الله جمعه وتحريره من أصول الفن الثالث، وبقيت أشياء يذكرها في علم البديع بعض المصنفين وهو قسمان:

أحدهما: ما يجب ترك التعرض له لعدم كونه راجعا إلى تحسين الكلام، أو لعدم الفائدة في ذكره لكون داخلا فيما سبق من الأبواب.

والثاني: مما لا بأس بذكره لاشتتاله على فائدة مع عدم دخوله فيما سبق مثل القول في السرقات الشعرية وما يتصل بها.

(اتفاق القائلين) على لفظ الثنية.

(إن كان في الغرض على العموم كالوصف بالشجاعة والسخاء) وحسن الوجه والبهاء ونحو ذلك.

(فلا يعد) هذا الاتفاق.

(سرقة) ولا استعانة ولا اخذا ونحو ذلك مما يؤدي هذا المعنى.

(لتقرره) أي: لتقرر هذا الغرض العام في.

(العقول والعادات) فيشارك فيه الفصيح والاعجم والشاعر والمفحم.

(وان كان) اتفاق القائلين.

(في وجه الدلالة) أي: طريق الدلالة على الغرض.

(كالتشبيه والمجاز والكناية وكذكر هيئات تدل على الصفة لاختصاصها بمن هي له)
أي: لاختصاص تلك الهيئات بمن ثبت تلك الصفة له.

(كوصف الجواد بالتهلل عند ورود العقاة) أي: السائلين جمع عافى.

(و) كوصف.

(البخيل بالعبوس) عند ذلك.

(مع سعة ذات اليد أي المال) وأما العبوس عند ذلك مع قلة ذات اليد فمن أوصاف
الأسخياء.

(فإن اشترك الناس في معرفته) أي: في معرفة وجه الدلالة.

(لاستقراره فيهما) أي: في العقول والعادات.

(كشبه الشجاع بالأسد والجواد بالبحر فهو كالأول) أي: فالاتفاق في هذا النوع من
وجه الدلالة كالاتفاق في الغرض العام في أنه لا بعد سرقة ولا أخذاً.

(ولاً) أي: وإن لم يشترك الناس في معرفته.

(جاز أن يدعى فيه) أي: في هذا النوع من وجه الدلالة.

(السبق والزيادة) بأن يحكم بين القائلين فيه بالتفاضل وأن أحدهما فيه اكمل من الآخر
وأن الثاني زاد على الأول أو نقص عنه.

(وهو) أي: ما لا يشترك الناس في معرفته من وجه الدلالة على الغرض.

(ضربان) أحدهما:

(خاصي في نفسه غريب) لا ينال إلا بفكر.

(و) الآخر.

(عامي: تصرف فيه بما أخرجه من الابتذال إلى الغرابة كما مر) في باب التشبيه

والاستعارة من تقسيمهما إلى الغريب الخاصي والمبتذل العامي الباقي على ابتذاله والمتصرف

فيه بما يخرج به إلى الغرابة.

(فالأخذ والسرقة) أي: ما يسمى بهذين الاسمين.

(نوعان ظاهر وغير ظاهر. أما الظاهر فهو أن يؤخذ المعنى كله إما) مع.

(اللفظ كله أو بعضه أو) حال كونه.

(وحده) من غير أخذ شيء من اللفظ.

(فإن أخذ اللفظ كله من غير تغيير لنظمه) أي: لكيفية الترتيب والتأليف الواقع بين

المفردات.

(فهو مذموم لأنه سرقة محضة ويسمى نسخاً وانتحالاً كما حكى عن عبد الله بن الزبير

أنه فعل ذلك بقول معن ابن أوس:

إذا أنت لم تنصف أخاك

أي: لم تعطه النصفة ولم توفه حقوقه.

(وجدته على طرف الهجران)

أي: هاجرا لك متبدلاً بك وبأخوتك.

(إن كان يعقل ويركب حد السيف) أي: يتحمل الشدائد تؤثر فيه تأثير السيف

وتقطعه وتقطيعها.

(من أن تضيمه) أي: بدلاً من أن تظلمه.

(إذا لم يكن عن شفرة السيف) أي: عن ركوب حد السيف وتحمل المشاق.

(مزحل)^(١) أي: مبعد.

(١) البيتان لمعن بن أوس المزني، من قصيدة من الطويل، قالها في صديق يستعطفه، وكان معن متزوجاً بأخته نطلقها، فأقسم أن لا يكلمه:

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته .. على طرف الهجران إن كان يعقل

ويركب حد السيف من أن تضيمه .. إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل

وأولها:

لعمرك ما أذري وإنّي لأوجل .. على أيتنا تغدو المنية أول

فقد حكى أن عبد الله بن الزبير دخل على معاوية فأنشده هذين البيتين فقال له معاوية:
لقد شعرت بعدي يا أبا بكر ولم يفارق عبد الله المجلس حتى دخل معن بن أوس المزني
فأنشد قصيدته التي أولها: [الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا أَدرِي وَلِيَّيَ لِأَوْجَلْ عَلَى أَيْنَا تَغْدُو الْمَنِيَّةُ أَوَّلْ

حتى أتمها وفيها هذان البيتان فأقبل معاوية على عبد الله بن الزبير، وقال: ألم تخبرني أنها
لك فقال: اللفظ له والمعنى له، وبعد: فهو أخي من الرضاة وأنا أحق بشعره.
(وفي معناه) أي: في معنى ما لم يغير فيه النظم.

(أن يبدل بالكلمات كلها أو بعضها ما يرادفها) يعني أنه أيضا مذموم وسرقة محضة كما
يقال في قول الخطيئة: [البسيط]

وَلِيَّيَ أَخُوكَ الدَّائِمَ الْعَهْدِ لَمْ أَحُلْ .. إِنَّ ابْرَأَكَ خَصْمٌ أَوْ نَبَا بِكَ مَنْزِلٌ
أَحَارِبُ مِنْ حَارِبَتْ مِنْ ذِي عِدَاوَةٍ .. وَأَحْبَسُ مَالِي إِنْ غَرِمْتُ فَأَعْقِلُ
وَلَنْ سُوْقَتَنِي يَوْمًا صَفَحْتَ إِلَى غَدٍ .. لِيُعْقَبَ يَوْمًا مِنْكَ آخِرُ مُقْبِلُ
كَأَنَّكَ تُشْفِي مِنْكَ دَاءَ مَسَاءَتِي .. وَسُخْطِي وَمَا فِي رَيْثِي مَا تَعَجَّلُ
وَلِيَّيَ عَلَى أَشْيَاءَ مِنْكَ تَرِيثُنِي .. قَدِيمًا لِدَوِّ صَفْحٍ عَلَى ذَاكَ مَجْمَلُ
سَتَقَطُّعُ فِي الدُّنْيَا إِذَا مَا قَطَعْتَنِي .. يَمِينُكَ فَاَنْظُرْ أَيَّ كَيْفٍ تَبْدُلُ
وَفِي النَّاسِ إِنْ رَثْتُ حِبَالُكَ وَاصِلٌ .. وَفِي الْأَرْضِ عَنْ دَارِ الْقَلْبِ مَسْحُولُ

وبعده البيتان، وبعدهما:

وَكُنْتُ إِذَا مَا صَاحِبٌ رَامَ ظِلَّتِي .. وَبَدَلُ سَوْءٍ بِالَّذِي كُنْتُ أَفْعَلُ
قَلْبْتُ لَهُ ظَهَرَ الْمِجَنُّ فَلَمْ أَدْمُ .. عَلَى ذَاكَ إِلَّا رَيْثًا أَمْحُوْ
إِذَا انْصَرَفْتُ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ لَمْ تَكْدُ .. إِلَيْهِ بَوِجُهُ آخِرُ الدَّهْرِ ثَقِيلُ

وهذا البيت الأخير، مثل قول حسان بن ثابت، رضي الله عنه:

إِذَا انْصَرَفْتُ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ مَرَّةً .. فَلَسْتُ عَلَيْهِ آخِرُ الدَّهْرِ مُقْبِلًا

وشفرة السيف: حده، والمزحل - بالزاي المعجمة والخاء المهملة - من زحل عن مكانه زحولاً إذا تنحى
وتباعد، والمزحل: مصدر بمعنى الزحول، ومعناه: أنه لا يبالي أن يركب من الأمور ما يؤثر فيه تأثير السيف
مخافة أن يدخل عليه ضيم، أو يلحقه هضم، أو احتقار، متى لم يجد عن ركوبه مبعداً ولا معدلاً.
والشاهد فيهما: سرقة الشعر المذمومة، وهي: أن يؤخذ اللفظ كله من غير تغيير لفظه، ويسمى نسخاً
وانتحالاً.

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرَحَّلْ لِبُغْيَتِهَا وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي
 ذر المآثر لا تذهب بمطلبها واجلس فلأنك أنت الآكل الكاسي
 كما قال امرئ القيس: [الطويل]

وُقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَمَّلِ
 فأورده طرفه في داليتة إلا أنه أقام (تجملد) مقام (تجمل).
 (وإن كان) أخذ اللفظ كله.

(مع تغيير لنظمه) أي: نظم اللفظ.

(أو أخذ بعض اللفظ) لا كله.

(سمي) هذا الأخذ.

(إغارة ومسحاً) ولا يخلو إما أن يكون الثاني أبلغ من الأول أو دونه أو مثله.

(فإن كان الثاني أبلغ) من الأول.

(لاختصاصه بفضيلة) لا توجد في الأول كحسن السبك أو الاختصار أو الإيضاح أو

زيادة معنى.

(فممدوح) أي: فالثاني مقبول.

(كقول بشار [البيسط]: مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ) أي: حاذرهم.

(لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ وَفَارَ بِالطَّيِّبَاتِ الْفَاتِكُ اللَّهْجُ)^(١)

أي: الشجاع القتال الحريص على القتل.

(١) البيت لبشار بن برد من أبيات من البيسط منها:

لَوْ كُنْتُ تَلْقِيَنَّ مَا نَلَقَى قَسَمْتُ لَنَا .. يَوْمًا نَعِيشُ بِهِ فَيْكُمُ وَنَبْتَهْجُ
 لَا خَيْرَ فِي الْعِيشِ إِنْ دُمْنَا كَذَا أَبَدًا .. لَا نَلْقَى وَسَبِيلَ الْمَلْتَقَى نَهْجُ
 قَالُوا حَرَامَ تَلَاقِنَا فَقُلْتُ لَهُمْ مَا فِي التَّلَاقِي وَلَا فِي غَيْرِهِ حَرْجُ

وبعده البيت، وبعده:

أَشْكُو إِلَى اللَّهِ هَمًّا لَا يَفَارِقُنِي .. وَشُرْعًا فِي فَوَادِي الدَّهْرِ تَعْتَلِجُ

والفاتك اللهج: الجريء الشجاع الذي له ولوع بالقتل.

(وقول سلم:) الخاسر بعده.

(من راقب الناس مات غماً) أي: حزناً وهو مفعول له أو تمييز.

(وفاز باللذة الجسور)^(١) أي: التشديد الجرئة فبيت سلم أجود سبكاً وأخصر لفظاً.

(وإن كان) الثاني.

(دونه) أي: دون الأول في البلاغة لفوات فضيلة توجد في الأول.

(فهو) أي: الثاني.

(مذموم كقول أبي تمام) في مرثية محمد بن حميد: [الكامل]

(هيهات لا يأتي الزمان بمثله هيهات لا يأتي الزمان بمثله لبعيل)^(٢)

(١) البيت الثاني لسلم الخاسر من أبيات من مخرج البسيط أولها:

بان شبابي فما يحور وطال من ليالي القصير
أهدى لي الشوق وهو خلور ... أغن في طرفه فتور
وقاتل حين سب وجدي .. واشتعل المضمر السثير
لو شئت أسلاك عن هواه قلب لأشجانه ذكور
فقلت لا تعجلن بلومي فإنما يئس الخبير
عذبني والهوى صغير فكيف بي والهوى كبير

وبعده البيت. ووقفت في الدر الفريد على بيتين من مدحها وهما:

كانه والقنـا دوان .. يوم على ليلة مغير
يريك تحت العجاج وجهاً .. يضل في نوره البصير

والجسور: التشديد الجرأة. والشاهد فيهما: حسن أخذ الثاني من الأول، ويسمى حسن الإتياع، فإن بيت سلم أجود سبكاً، وأخصر لفظاً.

(٢) البيت لأبي تمام، من قصيدة من الكامل يرثي بها محمد بن حميد، وكان قد استشهد في بعض غزواته، وأولها:

بأي وغير أبي، وذلك قليل .. ثاو عليه ترى السباخ مهيل
خذلته أسرته كأن سراته جهلوا بأن الخاذل المخدول
أكال أشلاء الفوارس بالقنا .. أضحى بهن وشلوه ما حول
كفى فقتل محمد لي شاهد إن العزيز مع الفناء ذليل
إن يستضم بعد الإباء فإنه .. قد يستضم المصعب المعقول

(وقول أبي الطيب: أعدى الزمان سخاؤه) يعني لعلم الزمان منه السخاء وسرى سخاؤه إلى الزمان.

(فسخا به) وأخرجه من العدم إلى الوجود، ولولا سخاؤه الذي استفاده منه لبخل به على أهل الدنيا واستبقى لنفسه كذا ذكره ابن جني.

وقال ابن فورك: هذا تأويل فاسد لأن سخاء غير موجود لا يوصف بالعدوى، وإنما المراد سخا به عليّ وكان بخيلا به عليّ فلما أعداه سخاؤه أسعدني بضمي إليه وهدايتي له لما أعداه سخاؤه.

(ولقد يكون به الزمان بخيلا)^(١) فالمصراع الثاني مأخوذ من المصراع الثاني لأبي تمام على كل من تفسيرى ابن جني وابن فورجة إذ لا يشترط في هذا النوع من الأخذ عدم تغاير

مستحسن وجه الردى في معرك .. قُبِحَ الحياة بحومتيه جميل
أنسى أبا نصر، نسيْتُ إذن يدي .. في حيثُ يتصر الفتى ويُنبِلُ

وبعده البيت، وما أحسن ما قال بعده:

ما أنت بالمقتول صبراً إنما .. أملى غداة نعيك المقتولُ

(١) البيت الثاني لأبي الطيب المتنبي، من قصيدة من الكامل يمدح بها بدر ابن عمار صاحب طرابلس الشام، وكان قد خرج إلى أسد فهاجه عن فريسته فوثب على كفل فرسه وأعجله عن استلال سيفه، فضربه بسوطه وخرج إلى آخر فهرب منه، وأولها:

في الخد إن عَزَمَ الخليطُ رَحِيلاً .. مَطَرَ تزيده الخدودُ مُحُولاً
يا نَظْرَةً نَفَتِ الرقَادَ فغَادَرَتْ .. في حَدِّ قلبي ما حييْتُ قُلُولاً
كانت من الكحلَاءِ سُولِي إنما ... أجلي تمثل في فؤادي سولا

يقول في مدحها:

محك إذا مَطَل الغريمُ بديته ... جَعَلَ الحسامُ بها أرادَ كفيلاً
نَطِقْ إذا حط الكلامُ لثامه .. أعطى بمنطقه القلوب عقولا

وبعده البيت، وبعده:

فكَأَنَّ بَرَقاً في مُنُونِ غمامَةٍ هتديهِ في كَفِّهِ مسلولا
ومحل قائمه يسيلُ مواهباً ... لو كنَّ سَيْلاً ما وَجَدْنَّ سَيْبلاً
رَقَّتْ مضاريه فهنَّ كأنها .. يُبْدِينَ من عشقِ الرقابِ نحولا

المعنين أصلاً كما توهمه البعض، وإلا لم يكن مأخوذاً منه على تأويل ابن جني أيضاً لأن أبا تمام علق البخل بمثل المرثى، وأبا الطيب بنفس الممدوح هذا، ولكن مصراع أبي تمام أجود سبكاً لأن قول أبي الطيب. ولقد يكون بلفظ المضارع لم يقع موقعه إذ المعنى على الماضي. فإن قيل: المراد فقد يكون الزمان بخيلاً بهلاكه أي لا يسمح بهلاكه قط لعلمه بأنه سبب صلاح العام والزمان، وإن سخا بوجوده وبذله للغير لكن إعدامه وإفناؤه باق بعد في تصرفه.

قلنا: هذا تقدير لا قرينة عليه وبعد صحته فمصراع أبي تمام أجود لاستغنائه عن مثل هذا التكلف.

(وإن كان) الثاني.

(مثله) أي: مثل الأول.

(فأبعد) أي: فالثاني أبعد.

(من الذم والفضل للأول كقول أبي تمام: لو حار) أي: تحير في التوصل إلى اهلاك النفوس.

(مرئاة المنية) أي: الطالب الذي هو المنية على أنها إضافة بيان.

(لم يجد إلّا الفراقَ على النفوس دليلاً) (١)

أمعَرَ الليث الهزير بسوطه .. لمن ادَّخَرَت الصَّارِمَ المصقولا

واستمر في وصف الليث إلى أن قال:

قَبَضْتُ مَنِيَّتُهُ يَدِيهِ وَعُنَقَهُ .. فَكَأَنَّمَا صَادَتْهُ مَغْلُولَا

سَمِعَ ابْنُ عَمَتِهِ بِهِ وَيَحَالُو .. فَغَدَا يَهْرُولُ أَمْسٍ مِنْكَ مَهُولَا

ولقد جاوز المتنبي حد الغلو، وأنا أستغفر الله تعالى لي وله. والشاهد في البيتين: كون المأخوذ دون المأخوذ منه في البلاغة. وهذا الأخذ مذموم مردود، لفوات الفضيلة وعدم الفائدة، فإن المصراع الثاني من بيت أبي الطيب مأخوذ من المصراع الثاني من بيت أبي تمام، لكن مصراع أبي تمام أجود سبكاً، لأن قول أبي الطيب ولقد يكون بلفظ المضارع لم يصب محزه، إذ المعنى على الماضي، والمراد لقد كان.

(١) البيت لأبي تمام، من قصيدة من الكامل، يمدح بها نوح بن عمرو السكسكي، أولها:

(وقول أبي الطيب: [البسيط])

لَوْلَا مُفَارَقَةُ الْأَحْبَابِ مَا وَجَدْتَ لَهَا الْمُنَايَا إِلَى أَرْوَاحِنَا سُبُلًا^(١)

الضمير في لها لمنية وهو قال من سبلا أو المنايا فاعلل وجدت، وروي يد المنايا فقد أخذ المعنى كله مع لفظ المنية والفراق والوجدان، وبدل النفوس بالأرواح، وإن أخذ المعنى وحده سمي) هذا الأخذ.

(لما) من ألم إذا قصد وأصله من ألم بالمنزل إذا نزل به.

(وسلخا) وهو كشط الجلد عن الشاة ونحوها فكأنه كشط عن المعنى جلد، أو ألبسه جلدا آخر فإن اللفظ للمعنى يمتزلة للباس.

يوم الفراق لقد خِلِّقْتَ طويلا .. لم تَبْقَ لي صبرا ولا مَعْقولا

وبعده البيت، وبعده:

قالوا الرحيل فما شَكَكْتُ بأنها نَفْسٌ عن الدنيا تُريدُ رَحِيلَا
الصبرُ أجَلٌ غيرَ أن تَدُلُّني في الحبِ أُخْرَى أن يكونَ جَمِيلَا
أَتُظَنُّني أَجْدُ السَّبِيلِ إلى العِزِّ وَجَدَ الحِمَامُ إِذْنًا إلى سَبِيلَا
رَدُّ الجَمُوحِ الصَّعْبِ أَيْسَرُ مَطْلَبًا .. من رد دمع قد أصاب مَسِيلَا

وهي طويلة. والارتداد: الطلب، وإضافة المراتب إلى المنية بيانية، أي المنية الطالبة للنفوس لو تحيرت في الطريق إلى إهلاكها ولم يمكنها التوصل إليها لم يكن لها دليل عليها إلا الفراق.

(١) والبيت الثاني لأبي الطيب المتنبي، من قصيدة من البسيط، يمدح بها سعيد ابن كلاب الطائي وأولها:

أَحْيَا وَأَيْسَرُ مَا لَأَقْبْتُ مَا قَتَلَا وَالْبَيْنُ جَارٌ عَلَى ضَعْفِي وَمَا عَدَلَا
وَالْوَجْدُ يَقْوَى كَمَا يَقْوَى النُّوَى أَبَدًا .. وَالصَّبْرُ يَنْحَلُّ فِي جِسْمِي كَمَا نَحَلَا

وبعده البيت، وبعده:

بِمَا بِجَفْنَيْكَ مِنْ سِحْرِ صَلَى دِنْفَا .. يَهْوَى الْحَيَاةَ، وَأَمَا إِنْ صَدَدَتْ فَلَا
إِنْ لَا يَسْبُ فَلَقَدْ شَابَتْ لَهُ كِبْدٌ شَيْئًا إِذَا خَصَبَتْهُ سَلْوَةٌ نَصَلَا
يَحْنُ شَوْقًا فَلَوْلَا أَنْ رَائِحَةً تَزُورُهُ فِي رِيَّاحِ الشَّرْقِ مَا عَقَلَا
هَذَا فَانْظُرِي أَوْ فَظْنِي بِئِ تَرِي حُرْقًا .. مِنْ لَمْ يَذِقْ طَرَفًا مِنْهَا فَقَدْ وَهَلَا
عَلَّ الْأَمِيرُ يَرَى ذَلِي فَيَشْفَعُ لِي إِلَى الَّتِي تَرَكْتَنِي فِي الْهَوَى مَتَلَا

وهذا البيت من المخالصة القبيحة التي عيبت على المتنبي، وسبب القبح كونه جعل ممدوحه ساعياً بينه وبين محبوبته في الوصال، وفي ذلك ما فيه، وقد سبقه أبو نواس إليه بقوله:

سَأَشْكُو إِلَى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ .. هَوَاكَ لَعَلَّ الْفَضْلَ يَجْمَعُ بَيْنَنَا.

(وهو ثلاثة أقسام كذلك) أي: مثل ما يسمى اغارة ومسخا لأن الثاني إما أبلغ من الأول أو دونه أو مثله.

(أولها) أي: أول الأقسام وهو أن يكون الثاني أبلغ من الأول.

(كقول أبي تمام هو) الضمير للشأن.

(الصنع) أي: الإحسان والصنع مبتدأ خبره الجملة الشرطية أعني قوله:

(إن تعجل فخير وإن تروث)

أي: تبطأ.

(فالريث في بعض المواضع أنفع)^(١)

والأحسن أن يكون هو فيه عائداً إلى حاضر في الذهن، وهو مبتدأ خبره الصنع

والشرطية ابتداء كلام، وهذا كقول أبي العلاء: [الطويل]

هو المهجر حتى ما يلهم خيال وبعض صدود الزائرين وصال

وهذا نوع من الإعراب لطيف لا يكاد يتنبهه إلا الأذهان الراقية من أئمة العرب.

(وقول أبي الطيب: [الخفيف])

وَمَنْ الْخَيْرُ بَطْءُ سَيْكِ

أي: تأخر عطائك.

عَنِّي أَسْرَعُ السُّحْبِ فِي الْمَسِيرِ الْجَهَامِ^(٢)

(١) البيت لأبي تمام، من قصيدة من الطويل، أولها:

أما إنه لولا الخليط المودع وزرع عفا منه مصيف ومزيع

لرُدَّتْ على أعقابها أريجية .. من الشوق وادها من الدمع مترع

وهي طويلة، وسيأتي طرف منها في التلميح، إن شاء الله تعالى.

والريث: الإبطاء.

(٢) والبيت الثاني لأبي الطيب، من قصيدة من الخفيف، يمدح بها علي بن أحمد الخراساني المري أولها:

لا انتخار إلا لمن لا يضام مُدْرِكٌ أو مُحَارِبٌ لا ينام

ليس عَزْماً ما مرَّضَ المرءُ فيه .. ليس هما ما عاق عنه الظلام

أي: السحاب الذي لا ماء فيه. وأما ما فيه ماء فيكون بطيئاً ثقیلاً المشى فكذا حال العطاء ففي بيت أبي الطيب زيادة بيان لاشتغاله على ضرب المثل بالسحاب.

(وثانيها) أي: ثانی الأقسام وهو أن يكون الثاني دون الأول.

(كقول البحري: وإذا تألق) أي: لمع.

(في الندي) أي: في المجلس.

(كلامه المصقول) المنقح.

(خلت) أي: حسبت.

(لسانه من غضبه)^(١) أي: سيفه القاطع.

=

واحتمال الأذى ورؤية جاني .. وعناء تضيء به الأجسام
 ذل من يغبط الذليل بعيش .. رب عيش أخف منه الجحام
 كل حلم أتى بغير اقتدار .. حجة لاجئ إليها اللثام
 من يهن يسهل الهوان عليه .. ما لجرج بميت إلام

يقول في مدحها:

خير أعضائنا الرؤوس ولكن فضلتها بقصدك الأقدام
 قد لعمري أقصرت عنك وللوف .. وازدحام وللعطايا ازدحام
 خفت إن صرت في يمينك أن يا تخذي في هباتك الأقوام
 ومن الرشيد لم أزرك على القر ب، على البعد يعرف الإلام

وبعده البيت، وبعده:

قل فكم من جواهر بنظام ودأها أنها يفيك كلام
 هاتك الليل والنهار فلو تن .. هاهما لم تجز بك الأيام

والسبب: العطاء، والجهاض: السحاب الذي لا ماء فيه، أو الذي هراق ماءه.

والشاهد في البيت: الإلام، ويسمى: السلخ، وهو: أخذ المعنى وحده ثم هو على ثلاثة أقسام: إما أبلغ من المأخوذ منه، أو دونه، أو مثله، فيبت المتنبي أبلغ من بيت أبي تمام، لاشتغاله على زيادة بيان للمقصود، حيث ضرب المثل بالسحاب.

(١) البيت الأول للبحري، من الكامل، من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب، أولها:

من سائل لمعذب عن خطبه .. أو صافح لمقصر عن ذنبه

(وقول أبي الطيب: [البسيط])

كَأَنَّ السُّنْهَمَ فِي النُّطْقِ قَدْ جُعِلَتْ عَلَى رِمَاحِهِمْ فِي الطَّعْنِ خِرْصَانًا^(١)

جمع خرص بالضم والكسر هو السنان، يعني: أن السنهم عند النطق في المضاء والنفاذ تشابه أسنتهم عند الطعن فكان السنهم جعلت أسنة على رماحهم فبيت البحري أبلغ لما في

وهي طويلة يقول في مديحها:

وَإِذَا اسْتَهْلَّ أَبُو عَلِيٍّ بِالْنَدَى جَاءَ الْغِيَامُ الْمُسْتَهْلَّ بِسَكْبِهِ

وَإِذَا اخْتَبَى فِي عَقْدِهِ مِنْ حِلْجِهِ .. يَوْمًا رَأَيْتَ مَتَالَعًا فِي هَضْبِهِ

وبعده البيت، وبعبده:

وَإِذَا دَجَّتْ أَقْلَامُهُ ثُمَّ انْتَحَتْ .. بَرَقَتْ مَصَابِيحُ الدُّجَى فِي كُتْبِهِ

فَاللَّفْظُ يَقْرُبُ فَهَمُّهُ فِي بُعْدِهِ .. مِنْهَا وَيَعْدُ ثِيْلُهُ فِي قُرْبِهِ

وَكَأَنَّهَا وَالْحُسْنُ مَعْقُودٌ بِهَا .. شَخْصُ الْحَيِّبِ بَدَأَ لِعَيْنِي مَحْبُوبُهُ

ومعنى تألق: لمع، والندى: المجلس الغاص بأشراف الناس، والمصقول: المنقح، والعَضْب: السيف القاطع، شبه لسانه بسيفه.

(١) والبيت الثاني لأبي الطيب المتنبي، من قصيدة من البسيط، يمدح بها أبا سهل الأنطاكي، أولها:

قَدْ عَلِمَ الْيَمَّ مِنْهَا الْيَمَّ أَجْفَانًا تَذْمِي وَأَلْفٌ فِي ذَا الْقَلْبِ أَحْزَانًا

أَمَلْتُ سَاعَةً سَارُوا كَشَفَ مَغْصَمِهَا .. لِيَلْبِثَ الْحَيُّ دُونَ السِّرِّ حِرَانًا

وَلَوْ بَدَّتْ لَأَتَاهَتْهُمْ فَحَجَّجَهَا صَوْنٌ عَقُوبَهُمْ مِنْ لِحْظِهَا صَانًا

إلى أن قال في مديحها:

مَا شَيْدَ اللَّهِ مِنْ مَجْدٍ لِسَالِفِهِمْ .. إِلَّا وَنَحْنُ نَسْرَاهُ فِيهِمْ الْآنَا

إِنْ كُتِبُوا أَوْ لُقُوا أَوْ حُورِبُوا وَجَدُوا .. فِي الْخَطِّ وَاللَفْظِ وَهَيْجَاءِ قُرْسَانَا

وبعده البيت، وبعبده:

كَأَنَّهُمْ يَرِدُونَ الْمَوْتَ مِنْ ظِلِّ .. أَمْ يَنْشَقُونَ مِنَ الْخَطِّ رَيْحَانًا

وخرصان الرمح: أسنتها أو الخلق تطيف بأسافل الأسنة، وواحدًا: خرص بالضم والكسر، يريد وصف فصاحة السنة الممدوحين وطلاقتها.

والشاهد في البيتين: مجيء المأخوذ دون المأخوذ منه، فبيت المتنبي دون بيت البحري، لأنه قد فاتته ما أفاده البحري بلفظي تألق، والمصقول، من الاستعارة التخيلية، حيث أثبت التألق والصقالة للكلام، كثابت الأظافر للمنية، ويلزم من هذا تشبيه كلامه بالسيف، وهو استعارة بالكناية.

لفظي تألق والمصقول من الاستعارة التخيلية، فإن التألق والصقالة للكلام بمنزلة الأظفار للمنية ولزم من ذلك تشبيه كلامه بالسيف هو استعارة بالكناية.

(وثالثها) أي: ثالث الأقسام وهو أن يكون الثاني مثل الأول.

(كقول الأعرابي) ابن زياد.

(وَلَمْ يَكْ أَكْثَرُ الْفَتَيَانِ مَالاً . وَلَكِنْ كَانَ أَزْجَبَهُمُ ذِرَاعاً)^(١)

أي: أسخاهم، يقال: فلان رجب الباع والذراع ورجبتها أي سخي.

(وقول الشجع: وليس) أي: الممدوح يعني جعفر بن يحيى.

(بأوسعهم) الضمير للملوك.

(في الغنى ولكن معروفه) أي: إحسانه.

(أوسع)^(٢) فاليبتان متماثلان هذا، ولكن لا يعجبني معروفه أوسع.

(١) البيت الأول لأبي زياد الأعرابي، من أبيات من الوافر، وقيله:

لَهُ نَارٌ تُشَبُّ عَلَى يَفَاعٍ .. إِذَا النِّيرَانُ أَلِيسَتِ الْقِنَاعَا

ورَّحِبَ الذِّرَاع: كناية عن الوصف بالسخاء، يقال: فلان رجب الذراع، وواسع الذراع، أي سخي.

(٢) والبيت الثاني لأشجع السلمي، من قصيدة من المتقارب، يمدح بها جعفر بن يحيى البرمكي.

حدث إسحاق بن إبراهيم الموصلي، قال: لما ولي الرشيد جعفر بن يحيى خراسان جلس للناس فدخلوا عليه يهتونه، ثم دخل الشعراء، فأنشدوه، وقام أشجع في آخرهم، فاستأذن في الإنشاد فأذن له، فأنشده قوله:

اتَّصِرْ لِلْبَيْنِ أَمْ تَجَزَّعْ .. فَإِنَّ الدِّيَارَ غَدًا بَلَقَعُ
غَدًا يَتَفَرَّقُ أَهْلُ الْهَوَى .. وَيَكْثُرُ بِالْكِ وَمُسْتَرْجِعُ

حتى أنتهى إلى قوله:

وَدَوِيَّةٌ بَيْنَ أَقْطَارِهَا مَقَاطِعُ أَرْضِينَ لَا تُقَطَّعُ
تَجَاوَزَتْهَا فَوْقَ عِبْرَانَةٍ .. مِنَ الرِّيحِ فِي سِيرِهَا أَسْرَعُ
إِلَى جَعْفَرٍ نَزَعَتْ رَغْبَةً وَأَيُّ فَتَى نَحْوَهُ يُنَزَّعُ
فَمَا دُونَهُ لَامِرِيٍّ مَطْمَعٌ وَلَا لَامِرِيٍّ غَيْرُهُ مَقْنَعُ
وَلَا يَرْفَعُ النَّاسُ مِنْ حَطَّةٍ .. وَلَا يَضَعُونَ الَّذِي يَرْفَعُ
تُرِيدُ الْمُلُوكُ مَدَى جَعْفَرٍ وَلَا يَصْنَعُونَ كَمَا يَصْنَعُ

وبعد البيت، وبعده:

(وأما غير الظاهر فمته: أن يتشابه المعنيان) أي: معنى البيت الأول ومعنى البيت الثاني.

(كقول جرير: فلا يمتنعك من إرب) أي: حاجة.

(لحاهم) جمع لحية يعني كونهم في صورة الرجال.

(سواء ذو العمامة والخمار)^(١)

يعني: أن الرجال منهم والنساء سواء في الضعف.

(وقول أبي الطيب: [الوافر]

وَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ قَنَاءٌ كَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ خَضَابٌ^(٢)

تلوذُ الملوکُ بآرائِهِ إذا نابها الحسدُ الأفظعُ
بذیتُهُ مثلُ تَذْبِيرِهِ متى رُمَتْهُ فهو مُستجمعُ
وكم قاتلٍ إذ رأى ثُرُوقِي .. وما في فُصولِ الغنى أصنعُ
غداً في ظلالِ نَدَى جعفرٍ يجزُّ ذُیولُ الغنى أشجعُ
فقلْ لخراسانَ نَحْياً فَقَدْ أتاها ابنُ یحیی الفَتی الأروعُ

فأقبل عليه جعفر بن يحيى ضاحكاً، واستحسن شعره، وجعل يخاطبه مخاطبة الأخ أخاه، ثم أمر له بألف دينار، قال: ثم بدا للرشيد في ذلك التدبير فعزل جعفرًا عن خراسان بعد أن أعطاه العهد والكتب، وعقد له العقد، وأمر ونهى، فوجم لذلك جعفر، فدخل عليه أشجع، فأنشده:

أُمِسْتُ خراسانُ تُعزِّي بيا .. أخطأها من جعفر المُرثمِي
كَانَ الرشيدُ المَعْتَلِ امرؤً .. ولَّى على مشرقِها الأبلجَا
ثمَّ أراهُ رَأْيَهُ أَنَّهُ .. أمسى إِلَيْهِ مِنْهُمْ أَحوجَا
فكم به الرحمنُ من كُربةٍ .. في مُدَّةٍ تَقْصُرُ قد فَرَّجَا

فضحك جعفر، وقال: لقد هَوَّنت عليَّ العزل، وقمت لأمر المؤمنين بالعدو، فسألني حاجتك، فقال: كفاني جودك ذل السؤال، فأمر له بألف دينار أخرى.

والشاهد في البيتين مجيء المأخوذ مثل المأخوذ منه.

(١) البيت الأول لجرير، من قصيدة من الوافر. والأرب: الحاجة، واللحي - بالضم والكسر - جمع لحية، وهي شعر الخدين والذقن. والخمار - بالكسر - النصف، وهو ماستر الرأس، وكل ما ستر شيئاً فهو خمار. والمعنى: لا يمتنعك من هؤلاء على صورة الرجال، لأن الرجال والنساء منهم سواء في الضعف.

واعلم أنه يجوز في تشابه المعنيين اختلاف البيتين نسياً ومديحاً وهجاءً وافتخاراً أو نحو ذلك.

فإن الشاعر الحاذق إذا قصد إلى المعنى المختلس لينظمه احتال في إخفائه فغير لفظه وصرفه عن نوعه ووزنه وقافيته وإلى هذا أشار بقوله:
(ومنه) أي: غير الظاهر.

(أن ينقل المعنى إلى محل آخر كقول البحري [الكامل]: سُلِّبُوا) أي: ثيابهم.

(وَأَشْرَقَتِ الدِّمَاءُ عَلَيْهِمْ مُحْمَرَّةٌ فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يُسَلِّبُوا)^(٣)

(١) والبيت الثاني لأبي الطيب المتنبّي، من قصيدة من الوافر، يمدح بها سيف الدولة، ويذكر فيها خضوع بني كلاب وقبائل العرب له، وأولها:

بغيرك راعياً عبث الذناب .. وغيرك صارماً تَلَمَّ الضُّرابُ
وعَمَلَكْ أَنْفَسَ الثَّقَلَيْنِ طُرّاً ... فَكَيْفَ تَحُورُ أَنْفُسَهَا كِلَابُ
وما تركوك مغصيةً ولكن .. يُعَافُ الْوَرْدُ الْمَوْتَ الشَّرَابُ
طلبتهم على الأمواتِ حَتَّى تخوف أن تُقَتِّلَهُ السَّحَابُ

وهي طويلة يقول فيها:

ولكن رُبِّمُ أَسْرَى إِلَيْهِمْ .. فَمَا تَقَعُ الْوَقُوفُ وَلَا الذَّهَابُ
وَلَا لَيْلُ أَجَنٍّ وَلَا نَهَارٌ وَلَا خَيْلٌ حَمَلَنَ وَلَا رِكَابُ
رَمَيْتُهُمْ بِيحِرٍ مِنْ حَدِيدٍ لَهُ فِي الْبَرِّ خَلْفُهُمْ عُبَابُ
فَمَسَّاهُمْ وَبُسْطُهُمْ حَرِيرٌ وَصَبَّحَهُمْ وَبُسْطُهُمْ تَرَابُ

ويعده البيت، ويعده:

بَنُو قَتْلَى أَبِيكَ بَارِضٍ نَجْدٍ وَمَنْ أَبْقَى وَأَبْقَتْهُ الْحَرَابُ
عَفَا عَنْهُمْ وَأَعْتَقَهُمْ صَغَاراً .. وَفِي أَعْنَاقٍ أَكْثَرَهُمْ سَخَابُ

والشاهد في البيتين: الأخذ الخفي مع تشابه المعنيين، فتعبير جرير عن الرجل بذي العمامة كتعبير أبي الطيب عنه بمن كفه قناة، وكذا تعبیر جرير عن المرأة بذات الخمار كتعبير أبي الطيب عنها بمن في كفه خضاب.

(٢) البيت الأول للبحري من قصيدة من الكامل يمدح بها إسحاق بن إبراهيم، وأولها:

عَارَضْنَا أَصْلًا فَقَلْنَا الرَّبْرُبَ حَتَّى أَضَاءَ الْأَفْهَوَانُ الْأَسْنَبُ
وَإِخْصَرَ مَوْثِيَّ الْبُرُودِ وَقَدْ بَدَا مِنْهُنَّ دِيَابُجُ الْخُدُودِ الْمَلْهَبُ
أَوْ مَضْنٍ مِنْ خَلَلِ السُّجُوفِ فَرَاعَنَا .. بَرْقَانِ خَالٍ مَا يَشَامُ وَخُلِبُ

لأن الدماء المشرقة كانت بمنزلة الثياب لهم.

(وقول أبي الطيب [الكامل]: يَسَّ النَّجِيعُ عَلَيْهِ) أي: على السيف.

(وَهُوَ مُجَرَّدٌ مِنْ غِمْدِهِ وَكَأَنَّمَا هُوَ مُعَمَّدٌ)^(١)

ولو أني أنصفتُ في حكم الهوى .. ما شئتُ بارقةً وراسي أشيبُ

إلى أن قال فيها:

ما إن ترى إلّا تَرَقَّدَ كوكب .. من قومس قد غاب فيه كوكبُ
فمجدلٌ وموسدٌ ومُرْمَلٌ ومُصْرَجٌ ومُضْمَخٌ ومُخَصَّبٌ

وبعده البيت، وبعده:

ولو أنهم ركبوا الكواكب لم يكن .. لمجدهم من جد بأسك مهزبُ

وهي طويلة. ومعنى البيت: أن الدماء المشرقة صارت بمنزلة الثياب عليهم.

(١) البيت الثاني لأبي الطيب المتنبي، من قصيدة من الكامل أيضاً، يمدح بها شجاع بن حمد الطائي، أولها:

اليوم عهدكم فأين الموعد هيهات ليس ليوم مواعدكم غدُ
الموت أقرب مغلماً من بينكم والعيش أبعدُ منكم لا تبعُدُوا
إن التي سفكت دمي بجفونها لم تذر أن دمي الذي تنقلدُ
قالت وقد رأت اضفراري من به وتنهدت فأجبتها المتنهدُ
فمضت وقد صبغ الحياء بياضها .. لوني كما صبغ اللجين العنجدُ
فرايتُ قرن الشمس في قمر الدجى متأوداً غصن به يتأودُ
عدويةً بدويةً من دونها سلب النفوس ونازح حرب توقدُ
وهو أجل وصواهل ومناصل وذوايل وتوعد وتهددُ
أبليت مودتها الليالي بعدنا ومشى عليها الدهر وهو مقيدُ
أبرخت يا مرض الجفون بمرضى .. مرض الطيب له وعيد العودُ

وهي طويلة، يقول في مديحها:

كن حيث شئت تسر إليك ركابنا .. فالأرض واحدة وأنت الأوحُدُ

وصن الحسام ولا تذله فإنه يشو يمينك والجهاجم تشهدُ

وبعده البيت وبعده:

ربان لو قدف الذي أسقيته .. لجزى من المهجات بحر مزيدُ

ما شاركته منية في مهجة إلّا وسفرته على يدها يدُ

والنجيع من الدم: ما كان إلى السواد، وهو دم الجوف، والغمد - بالكسر - جفن السيف. والشاهد في

البيتين: نقل المعنى الآخر المأخوذ إلى محل آخر، فمعنى بيت المتنبي أن الدم اليابس صار بمنزلة غمد السيف،

فنقل المعنى من القتل والجرحى إليه.

لأن الدم اليابس بمنزلة غمد له فنقل المعنى من القتل والجرحى إلى السيف.

(ومنه) أي: من غير الظاهر.

(ان يكون معنى الثاني أشمل) من معنى الأول.

(كقول جرير: [الوافر]

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ
لأنهم يقومون مقام كلهم.

(وقول أبي نواس: [السريع]

وَلَيْسَ اللَّهُ بِمُسْتَكْبِرٍ
أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ^(١)

فإنه يشمل الناس وغيرهم فهو أشمل من معنى بيت جرير.

(ومنه) أي: من غير الظاهر.

(١) البيت الأول لجرير، من قصيدة من الوافر تقدّم ذكر أولها في شواهد الاستخدام، ومنها قبل البيت:

لَنَا حَوْضُ الْحَجِيجِ وَسَاقِيَاهُ .. وَمَنْ وَرِثَ النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَا
أَلَسْنَا أَكْثَرَ الثَّقَلَيْنِ حَيًّا بِيْطْنِي مَنَى وَأَكْثَرُهُمْ قِيَابَا

وبعده البيت، وبعبده:

فَلَا وَأَيُّكَ مَا لَا قِيَتُ حَيًّا كَيْزُبُوعٍ إِذَا رَفَعُوا النِّقَابَا
فَقُضَّ الطَّرْفُ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ .. فَلَا كَعْبًا بَلَّغْتَ وَلَا كِلَابَا

والمعنى: أن بني تميم يقومون مقام الناس كلهم.

(٢) والبيت الثاني لأبي نواس، من أبيات السريع، كتبها للرشد مادحاً الفضل بن الربيع، وهي:

قُولَا هَارُونَ لِإِمَامِ الْهَدَى .. عِنْدَ احْتِفَالِ الْمَجْلِسِ الْحَاشِدِ
نَصِيحَةُ الْفَضْلِ وَإِشْفَاقُهُ .. أَخْلَى لَهُ وَجْهَكَ مِنْ حَاسِدِ
بِصَادِقِ الطَّاعَةِ دِيَانَهَا وَوَاحِدِ الْغَائِبِ وَالشَّاهِدِ
أَنْتَ عَلَى مَا بِكَ مِنْ قُدْرَةٍ .. فَلَسْتَ مِثْلَ الْفَضْلِ بِالْوَاحِدِ
أَوْ حَذَهُ اللَّهُ فَمَا مِثْلُهُ .. لِطَالِبِ ذَاكَ وَلَا نَاسِدِ

وبعده البيت.

والشاهد في البيتين: مجيء معنى المأخوذ أشمل من معنى المأخوذ منه، فإن بيت جرير يخص بعض العالم، وبيت أبي نواس يشمله.

(القلب: وهو أن يكون معنى الثاني نقيض معنى الأول كقول أبي الشيص: [الكامل]

أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكِ لَذِيذَةً حُبًّا لِذِكْرِكَ فَلْيَلْمَنِي اللَّوْمُ^(١)

وقول أبي الطيب: أحبه) الاستفهام للإنكار باعتبار القيد الذي هو الحال أعني قوله.

(وأحب فيه ملامة) كما يقال: أتصلي وأنت محدث على تجويز واو الحال في المضارع

المثبت كما هو رأي البعض، أو على حذف المبتدا أي وأنا أحب. ويجوز أن يكون الواو للعطف، والإنكار راجع إلى الجمع بين الأمرين أعني محبته ومحبة الملامة فيه.

(إن الملامة فيه من أعدائه)^(٢) وما يصدر عن عدو المحبوب يكون مبغوضاً لا محبوباً

وهذا نقيض معنى بيت أبي الشيص لكن كل منهما باعتبار آخر، ولهذا قالوا الأحسن في هذا النوع أن يبين السبب.

(١) البيت الأول لأبي الشيص، من أبيات من الكامل، وقبل البيت:

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي .. متأخر عنه ولا متقدم

وبعده البيت، وبعبده:

أشبهت أعدائي فصرت أحبهم .. إذ كان حظي منك حظي منهم

واهنتي وأهنت نفسي عامداً ما من يهون عليك بمن يكرم.

(٢) والبيت الثاني لأبي الطيب المتنبّي، من قصيدة من الكامل يمدح بها سيف الدولة، أولها:

القلب أعلم يا عدول بدائي وأحق منك بجفنه وبهائه

فَوَمَنْ أَحَبُّ لَأَعْيُنِكَ فِي الْهَوَى .. قَسماً به وبخُسّه وبهائه

وبعده البيت، وبعبده:

عجب الوشاة من اللحاء وقولهم .. دغ ما نراك ضعفت عن إخفاؤه

ما الخلل إلا من يود بقلبه .. ويرى بطرف لا يرى بسوائه

إن المعين على الصبابة بالأسى .. أولى برحمته زهبا وإخائه

مهلاً فإن العذل من أسقامه .. وترققاً فالسمع من أعضائه

وهب الملامة في اللذاذة كالكرى .. مطرودة بشهادته ويكائه

لا تعذل المشتاق في أشواقه .. حتى يكون حشاك في أحشائه

إن القتل مُضَرَّجاً بدموعه .. مثل القتل مُضَرَّجاً بدمائه

والعشق كالمعشوق يعذب قربه .. للمبتلي وينال من حوائه

لو قلت للدنف الحزين قد يئسه .. ممّا به لأغرته بفدائه

(ومنه: أي: من غير الظاهر.

(أن يؤخذ بعض المعنى ويضاف إليه ما يحسنه كقول الأفوه: [الرمل]

وَتَرَى الطَّيْرَ عَلَى آثَارِنَا رَأْيَ عَيْنٍ^(١)

يعني: عيانا.

(ثِقَّةٌ) حال رأي أو مفعول له مما يتضمنه قوله على آثارنا أي كائنة على آثارنا لوثوقها.

(أَنْ سَتَمَارُ) أي: ستطعم من لحوم من تقتلهم.

(وقول أبي تمام [الطويل]: وَقَدْ ظَلَّلْتُ) أي: ألقى عليها الظل وصارت ذوات ظل.

(عِقْبَانُ أَعْلَامِهِ ضَحَى بِعِقْبَانِ طَيْرٍ فِي الدِّمَاءِ نَوَاهِلِ)

من نهل إذا روى نقيض عطش.

(أَقَامَتْ) أي: عقبان الطير.

(مَعَ الرِّايَاتِ) أي: لأعلام وثوقا بأنها ستطعم لحوم القتلى.

(حَتَّى كَانَتْهَا مِنْ الْجَيْشِ إِلَّا أَنَّهُمَا لَمْ تُقَاتِلِ)^(٢)

والشاهد في البيت: كون معنى المأخوذ نقيض معنى المأخوذ منه، فبيت أبي الطيب نقيض بيت أبي الشيص، والأحسن في هذا النوع أن يبين السبب كما في هذين البيتين إلا أن يكون ظاهراً كما في قول أبي تمام: ونعمة مُعْتَفٍ جَدَّوَاهِ أَحْلَى .. عَلَى أَدْنِيهِ مِنْ نَعَمِ السَّمَاعِ.

(١) البيت الأول للأفوه الأودي، من قصيدة من الرمل أولها:

إِنْ تَرَى رَأْيِي فِيهِ نَزْعٌ .. وَسَوَاقِي خَلَّةَ فِيهَا دَوَارٍ

يقول فيها:

إِنَّا نَعْمَةُ قَوْمٍ مَتَعَةٌ .. وَحَيَاةُ الْمَرْءِ ثَوْبٌ مُسْعَارٌ

حَتَمَ الدَّهْرُ عَلَيْنَا أَنَّهُ .. ظَلَفَ مَا نَالَ مِنَّا وَجُبَارٌ

ظلف: باطل، وجبار: هَدَر.

وهذه القصيدة من جيد شعر العرب، وهي التي نسي النبي صلى الله عليه وسلم عن إنشادها لما فيها من ذكر إسماعيل عليه السلام، وإياه عني بقوله فيها:

رَيْسَتْ جُرْهُمُ نَبْلًا قَرَمَى .. جُزْهُمَا مِنْهُنَّ فَوْقَ وَغَرَارِ

(٢) والبيتان الأخيران لأبي تمام من قصيدة من الطويل، يمدح بها المعتصم والأفشين، وأولها:

(فإن أبا تمام لم يلّم بشيء من معنى قول الأفوه رأي عين) الدال على قرب الطير من الجيش بحيث ترى عياناً لا تخيلاً. وهذا مما يؤكد شجاعتهم وقتلهم الأعداء.

(ولا) بشيء من معنى.

(قوله: ثقة أن ستماره) الدال على وثوق الطير بالمبرة لاعتيادها بذلك وهذا أيضاً مما يؤكد المقصود.

غداً الملكُ مغموراً الحراً والمنازل .. مُتَوَرِّخٍ وَخَفِ الرُّوضُ عَذَبَ المناهل
بمعصم بالله أصبح ملجأ .. ومُعْتَصِماً حُرّاً لكلِّ مُوَالٍ
لقد لبسَ الله الإمامَ فضائلاً .. وقى طَرَفُهَا بِاللَّهِمى والقَواضِلِ
فأَضَحَّتْ عَطَايَاهُ نَوَازِعَ مُرَدّاً .. تُسَائِلُ في الأفاق عن كلِّ سَائِلِ
مواهبُ جُزْنِ الأَرْضِ حَتَّى كَانَهَا .. أَخَذَنَ بِأَهْدَابِ السَّحَابِ الهَوَاطِلِ

ومنها في مديح الأفشين:

شهدت أمير المؤمنين شهادةً كثيرٌ ذُوو تصديقها في المحافل
لقد لبسَ الأفشينُ قَسْطَلَةَ الوَعَى .. غَشّاً بَنَصِلُ السِّيفِ غَيْرَ مُوَاكلِ
وجَرَّدَ من آرائه حينَ أَضْرِمَتْ عزائمُ كانت كالقنا والقنابلِ
رأى بابكُ منه التي لا شَوَى لها .. يَسُوّى يَسْلِمُ ضَيْمٌ أو صَفِيحَةٌ قَاتِلِ
تراه إلى الهيجاءِ أولَ رَاكِبٍ وتحت صبيرِ الموتِ أولَ نَازِلِ
تَسْرِبَلُ سرّاً بالامنِ الصبرِ وارتدى .. عليه بعضُ في الكريهةِ فَاصِلِ

وبعدده البيتان. والنواهل: جمع ناهلة، من نهل إذا روى، والرايات: الأعلام. ومعنى البيت الأول إنك ترى الطير كائنة على آثارنا، لوثوقها واعتمادها أن ستطعمها من لحوم من تقتلهم من أعدائنا.

ومعنى البيتين الأخيرين أن رايات الممدوح التي هي كالعقبان قد صارت مظلة بالعقبان من الطيور النواهل في دماء القتلى، لأنه إذا خرج للغزو تسير العقبان فوق راياته لأكل لحوم القتلى، فتلقى ظلالها عليها، والعقاب يطلق على الراية الضخمة، والشاهد في الأبيات: أن يؤخذ بعض معنى المأخوذ منه ويضاف إليه ما يحسنه فإن أبا تمام لم يلّم بشيء من معنى قول الأفوه رأي عين ولا قوله ثقة أن ستماره، ولكنه زاد عليه زيادات محسنة لبعض المعنى الذي أخذه بقوله إلا أنها لم تقاتل ويقول في الدماء نواهل ويقول أقامت مع الرايات حتى كأنها من الجيش، وبهذه الزيادة يتم حسن قوله إلا أنها لم تقاتل لأنه لو قيل ظللت عقبان الرايات بعقبان الطير إلا أنها لم تقاتل لم يحسن هذا الاستثناء المنقطع ذلك الحسن، لأن إقامتها مع الرايات حتى كأنها من الجيش مظنة أنها أيضاً تقاتل مثل الجيش، فيحسن الاستدراك الذي هو رفع التوهم الناشئ من الكلام السابق، بخلاف وقوع ظلها على الرايات. وما ذكر في الأبيات من أن الطير تتبع جيشه لتغذي عما يقتل من أعدائه معنى متداول بين الشعراء، وأول من نطق به الأفوه هذا

قيل: أن قول أبي تمام وقد ظلت المام بمعنى قوله: رأي عين؛ لأن وقوع الظل على الرايات مشعر بقربها من الجيش.

وفيه نظر؛ إذ قد يقع ظل الطير على الراية وهو في جو السماء بحيث لا يرى أصلاً. نعم لو قيل: إن قوله حتى كأنها من الجيش إمام بمعنى قوله رأي عين فإنها تكون من الجيش إذا كانت قريباً منهم مختلطاً بهم لم يبعد عن الصواب.

(لكن زاد) أبو تمام.

(عليه) أي: على الأفوه زيادات محسنة للمعنى المأخوذ من الأفوه أعني تسائر الطير على آثارهم.

(بقوله: إلا أنها لم تقاتل، وبقوله في الدماء: نواهل، وبقامتها مع الرايات حتى كأنها من الجيش وبها) أي: وبقامتها مع الرايات حتى كأنها من الجيش.

(يتم حسن الأول) يعني قوله: إلا أنها لم تقاتل؛ لأنه لا يحسن الاستدراك الذي هو قوله إلا أنها لم تقاتل، ذلك الحسن إلا بعد أن يجعل الطير مقيمة مع الرايات معدودة في عداد الجيش حتى يتوهم أنها أيضاً من المقاتلة، وهذا هو المفهوم من الإيضاح.

وقد قيل: معنى قوله وبها أي بهذه الزيادات الثلاث يتم حسن معنى البيت الأول.

(واكثر هذه الأنواع) المذكورة لغير الظاهر.

(ونحوها مقبولة) لما فيها من نوع تصرف.

(ومنها: أي: من هذه الأنواع).

(ما يخرج حسن التصرف من قبيل الاتباع إلى حيز الابتداع، وكل ما كان أشد خفاء)

بحيث لا يعرف كونه مأخوذاً من الأول إلا بعد مزيد تأمل.

(كان أقرب إلى القبول) لكونه أبعد عن الاتباع وادخل في الابتداع.

(هذا) أي: الذي ذكر في الظاهر وغيره من ادعاء سبق أحدهما، وأخذ الثاني منه وكونه

مقبولاً أو مردوداً وتسمية كل بالأسامي المذكورة.

(كله) إنما يكون.

(إذا علم أن الثاني أخذ من الأول) بأن يعلم أنه كان يحفظ قول الأول حين نظم أو بأن يخبر هو عن نفسه أنه أخذ منه وإلا فلا يحكم بشيء من ذلك.

(لجواز أن يكون الاتفاق) في اللفظ والمعنى جميعاً أو في المعنى وحده.

(من قبيل توارد الخواطر) أي: مجيئه.

(على سبيل الاتفاق من غير قصد إلى الأخذ) كما يحكى عن ابن ميادة أنه أنشد لنفسه:

[الطويل]

مُفِيدٌ وَمُتْلَفٌ إِذَا مَا أَتَيْتَهُ تَهَلَّلَ وَاهْتَزَّاهِزَّازَ الْمُهَنْدِ

ف قيل له: أين يذهب بك هذا للحطية، فقال: الآن علمت أنى شاعر إذا وافقته على قوله ولم أسمعه.

(فإذا لم يعلم) أن الثاني أخذ من الأول.

(قيل: قال فلان كذا، وقد سبقه إليه فلان فقال كذا) ليغتتم بذلك فضيلة الصدق

ويسلم من دعوى علم الغيب ونسبة النقص إلى الغير.

(ومما يتصل بهذا) أي: بالقول في السرقات.

(القول في الاقتباس والتضمن والعقد والحل والتلميح) بتقديم اللام على الميم من لمح

إذا أبصره، وذلك لأن في كل منها أخذ شيء من الآخر.

(أما الاقتباس فهو أن يضمن الكلام) نظماً كان أو نثراً.

(شيئاً من القرآن أو الحديث لا على أنه منه) أي: لا على طريقة أن ذلك الشيء من

القرآن أو الحديث، يعني على وجه لا يكون فيه إشعار بأنه منه كما يقال في أثناء الكلام قال

الله تعالى كذا، وقال النبي عليه السلام كذا، ونحو ذلك فإنه لا يكون اقتباساً.

ومثل للاقتباس بأربعة أمثلة لأنه إما من القرآن أو الحديث، وكل منهما إما في النثر أو في

النظم. فالأول:

(كقول الحريري: فلم يكن إلا كلمح البصر، أو هو أقرب حتى أنشد وأغرب).

والثاني مثل:

(قول الآخر: إِنْ كُنْتَ أَرْمَعْتَ) أي: عزمت.

(على هَجْرِنَا من غير ما جُرِمَ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ

وإِنْ تَبَدَّلْتَ بِنَا غَيْرَنَا فَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ^(١))

(و) الثالث مثل:

(قول الحريري: قلنا: شأهت الوجوه) أي: قبحت، وهو لفظ الحديث على ما روي أنه

لما اشتد الحرب يوم حنين أخذ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كفا من الحصى فرمى به وجوه المشركين وقال: "شَاهَتِ الْوُجُوهُ"^(٢).

(وقُبِّحَ) على المبنى للمفعول، أي: لعن من قبحه الله بالفتح أي أبعده عن الخير.

(اللكع) أي: لعن اللئيم.

(و) الرابع مثل:

(قول ابن عباد [محزوء الرمل]: قال) أي: الحبيب.

(لِي إِنْ رَقِيبِي سَيُّ الْخَلْقِ قَدَارِهِ) من المداراة وهي الملاطفة والمجاملة وضمير المفعول

للقريب.

(قُلْتُ دَعْنِي وَجْهَكَ الْجَنَّةُ حَقَّتْ بِالْمَكَارِهِ^(٣))

(١) البيتان من السريع، وقائلها أبو القاسم بن الحسن الكاتبي. ومعنى أزمعت: أجمعت على الأمر وثبت عليه، والجرم - بالضم - الذنب، والصبر الجميل: هو الذي لا شكوى فيه، كما أن الصفح الجميل هو الذي لا عتب فيه، والهجر الجميل هو الذي لا غيبة فيه. والشاهد في البيت الثاني: الاقتباس من القرآن العظيم.

(٢) أخرجه مسلم من حديث سلمة بن الأكوع (١٧٨٠)، وأخرجه أحمد في مسنده (٢٧٥٧)، وأخرجه الدارمي (٢٤٥٢)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٦٥٠٢).

(٣) البيتان للمصاحب بن عباد، من الرمل. والرقيب: الحافظ والحارس، والمداراة: الملاطفة والمخالطة. والشاهد في البيت الثاني: الاقتباس من الحديث، ولفظه: "حَقَّتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحَقَّتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ".

اقتباساً من قوله عليه السلام: "حُقَّتْ الْجَنَّةُ بِمُكَارِهِ، وَحُقَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ" (١). أي: أحيطت. يعني: لابد لطالب جنة وجهك من تحمل مكاره الرقيب، كما أنه لابد لطالب الجنة من مشاق التكليف.

(وهو) أي: الاقتباس.

(ضربان) أحدهما.

(ما لم ينقل فيه المقتبس عنه معناه الأصلي كما تقدم) من الأمثلة.
(و) الثاني.

(خلافه) أي: ما نقل فيه المقتبس عن معناه الأصلي.

(كقول ابن الرومي: [الوافر]

لئن اخطأت في مدحك	ما أخطأت في منعي
لقد أنزلت حاجاتي	بواد غير ذي زرع ^(٢)

والحفوف: الإحاطة بالشيء. والمعنى: أن وجهك لحسنه جنة، فلا بد لي من تحمل مكاره الرقيب، كما أنه لا بد لطالب الجنة الحقيقية من تحمل مشاق التكليف.

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة (٦٤٨٧)، وأخرجه مسلم (٢٨٢٤)، وأخرجه الترمذي (٢٥٥٩)، وأخرجه أحمد في مسنده (٧٤٧٧)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٧٤٧٧)، وأخرجه البزار في البحر الزخار (٣٢٠٣).

(٢) البيتان من الهزج، وينسبان لابن الرومي، لكن رأيت في الأغاني نسبتها إلى إسماعيل القراطيسي، ولفظه: حدث أحمد بن بشر المرندي قال: مدح إسماعيل القراطيسي الفضل بن الربيع، فحرمه، فقال فيه، وذكر البيت، وذكر قبلهما بيتاً آخر، وهو:

أَلَا قُلْ لِلَّذِي لَمْ يَنْ .. دِوَالَهُ إِلَى نَفْعِي

ورأيت في كتاب الدر الفريد بعد البيت الأول بيتين، وهما:

لِسَانِي فِيكَ مُتَحَاجٌّ .. إِلَى التَّخْلِيْعِ وَالْقَطْعِ
وَأُنْيَايَ وَأَضْرَايَ .. إِلَى التَّكْسِيرِ وَالْقَلْعِ

والشاهد فيهما: الاقتباس من القرآن مع نقله عن معناه الأصلي، فإن معناه في القرآن وإذ لا ماء فيه، وهنا نقله إلى جناب لا خَيْرَ فيه ولا نفع.

هذا (مقتبس من قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: ٣٧]) لكن معناه في القرآن واد لا ماء فيه ولا نبات، وقد نقله ابن الرومي إلى جانب لا خير فيه ولا نفع.

(ولا بأس بتغيير يسير) في اللفظ المقتبس.

(للو وزن أو غيره كقوله) أي: كقول بعض المغاربة.

(قد كان) أي: وقع.

(ما خفت أن يكونا) (إنا إلى الله راجعون)^(١)

وفي القرآن: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦].

(وأما التضمين فهو: أن يضمن الشعر شيئاً من شعر الغير) بيتا كان أو ما فوقه أو مصراعاً أو ما دونه.

(مع التنبيه عليه) أي: على أنه من شعر الغير.

(إن لم يكن ذلك مشهوراً عند البلغاء) وبهذا يتميز عن الأخذ والسرقة.

(كقوله) أي: كقول الحريري: يحكي ما قاله الغلام الذي عرضه أبو زيد للبيع:

(على أني سأنشد عند بيعي: أضاعوني وأَيَّ فتى أضاعوا) المصراع الثاني للعرجي،

ونمامه: [الوافر]

لِيَوْمٍ كَرِيهَةٍ وَسِدَادٍ غَيْرِ

اللام في ليوم لام التوقيت والكريهة من أسماء الحرب وسداد الشعر بكسر السين لا غير سده بالخير والرجال والشعر موضع للمخافة من فروج البلدان أي: أضاعوني في وقت الحرب وزمان سد الثغور ولم يراعوا حتى أحوج ما كانوا إليّ، وأي فتى أي كاملاً من الفتيان أضاعوا.

(١) الشاهد فيه: الاقتباس مع تغيير يسير في التثنية. ومن الأمثلة الشعرية في الاقتباس قول الأحوص:

إِذَا زُمْتُ عَنْهَا سَلْوَةٌ قَالَ شَافِعٌ .. مِنَ الْحَبِّ: مِعَادُ السَّلْوِ الْقَابِضُ
سَتَبَقَى لَهَا فِي مُضْمَرِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا .. سَرَائِرُ وَذِيَوْمٍ تَبْلَى السَّرَائِرُ.

وفيه تنديم وتخطئة لهم وتضمين المصراع بدون التنبيه لشهرته كقول الشاعر:

قَدْ قَاتُ لَمَّا أَطْلَعْتَ وَجَنَاتِهِ حَوْلَ الشَّقِيقِ الْغَضُّ رَوْضَةَ آسٍ
أَعِذَارُهُ السَّارِي الْعَجُولُ تَرْفُقًا مَا فِي وَقُوفِكَ سَاعَةٌ مِنْ بَاسٍ

المصراع الأخير لأبي تمام.

(وأحسنه) أي: أحسن التضمين.

(ما زاد على الأصل) أي: شعر الشاعر الأول.

(بنكتة) لا توجد فيه.

(كالتورية) أي: الإيهام.

(والتشبيه في قوله: إِذَا الْوَهْمُ أَبَدَى) أي: أظهر.

(لي لماها) أي: سمرة شفتيها.

(وَوَفَّرَهَا تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ الْعَذِيبِ وَبَارِقِ وَيُذَكِّرُنِي) من الإذكار.

(مَنْ قَدْهَا وَمَدَامِعِي مَجَرَّ عَوَالِينَا وَمَجَرَّى السَّوَابِقِ) انتصب مجرراً على أنه مفعول ثان

ليذكرني وفاعله ضمير يعود إلى الوهم.

(١) البيتان لابن أبي الأصبع، من الطويل. والعذيب: ماء من مياه العرب، وبارق: من دياراتها. والشاهد فيها: التضمين، فإن المصراعين الأخيرين منها مطلع قصيدة، لأبي الطيب المتنبّي يمدح بها سيف الدولة، ويذكر وقته ببني عقيل، فنقلها ابن أبي الأصبع من الحماسة إلى الغزل، والبيتان المذكوران من قصيدة مطلعها:

أَعِزُّ مَقَاتِلِي إِنْ كُنْتُ خَيْرَ مُوَافِقٍ دُمُوعاً لَتِيكِي فَقَدْ حَبَّ مُفَارِقِي
فَقَدْ نَضَبْتُ يَوْمَ الْوَدَاعِ مَدَامِعِي .. وَشَابَتْ لَتَشْتِيَةِ الْفِرَاقِ مُفَارِقِي

وقد ضمته ابن مطروح بقوله:

إِذَا مَا سَقَانِي رِقَّةً وَهُوَ بِأَيْسَمٍ تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ الْعَذِيبِ وَبَارِقِ

والاستعانة والعنوان بأن التضمين يقع في النظم والشر، ولا يكون إلا بالشر، ويكون من المحاسن والعيوب، لئله لا يكون من العيوب إلا إذا وقع في النظم بالنظم، وأما الإيداع والاستعانة - وإن وقعا معاً في النظم والشر - فلا يكونان إلا بالنظم، دون الشر، وأما العنوان فإنه يقع في النظم والشر، ولا يقع بالشر، ولا يكون إلا من المحسن دون العيوب، فعلى هذا يكون ما ذكر من الشواهد هنا يسمى إيداعاً لا تضميناً.

وقوله: [الطويل]

تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ الْعَذِيبِ وَبَارِقِ مَجَرَّ عَوَالِينَا وَتَجَرَّى السَّوَابِقِ

مطلع قصيدة لأبي الطيب، والعذيب وباريق موضعان وما بين ظرف للتذكر أو للمجر والمجرى قدم اتساعا في تقديم الظرف على عامله المصدر أو ما بين مفعول تذكرت، ومجر بدل عنه، والمعنى: أنهم كانوا نزولا بين هذين الموضعين وكانوا يجرون الرماح عند مطاردة الفرسان ويسابقون على الخيل.

فالشاعر الثاني أراد بالعذيب تصغير العذب يعني به شفة الحبيبة وبارق ثغرها الشبيهة بالبرق وبما بينهما ريقها. وهذا تورية وشبه تبختر قدها بتمايل الرمح وتتابع دموعه بجريان الخيل السوابق.

(ولا يضر) في التضمين.

(التغيير اليسير) لما قصد تضمينه ليدخل في معنى الكلام كقول الشاعر في يهودي به داء الثعلب:

أَقُولُ لِمَعْشَرٍ جَهِلُوا وَغَضُّوا مِنْ الشَّيْخِ الرَّشِيدِ وَأَنْكَرُوهُ
هُوَ ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الثَّنَايَا مَتَى يَضَعِ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُوهُ

البيت لسحيم بن وشيل وأصله أما أن جلا على طريقة التكلم فغيره إلى طريقة الغيبة ليدخل في المقصود.

(وربما سمى تضمين البيت فيما زاد على البيت استعانة، وتضمين المصراع فما دونه إيداعا) كأنه أودع شعره شيئا قليلا من شعر الغير.

(ورفوا) كأنه رفا خرق شعره بشيء من شعر الغير.

(وأما العقد فهو أن ينظم نثرا) قرأنا كان أو حديثا أو مثلا أو غير ذلك.

(لا على طريق الاقتباس) يعني إن كان الشر قرآناً أو حديثاً فنظمه وإنما يكون عقداً إذا غير تغييراً كثيراً، وأشير إلى أنه من القرآن أو الحديث، وإن كان غير القرآن أو الحديث فنظمه عقد كيف ما كان إذ لا دخل فيه للاقتباس.

[كقوله: [السريع]

مَا بَالُ مَنْ أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ وَجِيْفَةٌ آخِرُهُ يَفْعَرُ

الجملة حال أي: ما باله مفتخراً.

(عقد قول) علي رضي الله عنه: (وما لابن آدم الفخر وإنما أوله نطفة وآخره جيفة).

(وأما الحل فهو أن ينثر نظماً) وإنما يكون مقبولا إذا كان سبكه مختاراً لا يتقاصر عن

سبك النظم، وأن يكون حسن الموقع غير قلق.

(كقول بعض المغاربة: فإنه لما قبحت فعلاته، وحفظت نخلاته) أي: صارت ثمار

نخلاته كالحنظل في المارة.

(لم يزل سوء الظن يقتاده) أي: يقوده إلى تخيلات فاسدة وتوهمات باطلة.

(ويصدق) هو.

(توهمه الذي يعتاده) من الاعتياد.

(حل قول أي الطيب: [الطويل]

إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ وَصَدَقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمٍ

(١) هو للمتنبي، من قصيدة من الطويل، قالها في كافور الإخشيدي، وكان قد دخل عليه يوماً فلما نظر إليه وإلى قلته في نفسه، وخسة أصله، ونقص عقله، ولؤم كفه، وتبح فعله، ثار الدم في وجهه حتى ظهر ذلك فيه، وبادر وخرج، فأحس كافور بذلك، فبعث إليه بعض قواده وهو يرى أن أبا الطيب لا يظن فسايره وسأله عن حاله، وقال له: يا أبا الطيب، ما لي أراك متغير اللون؟ فقال: أصاب فرسي جرح خفته عليه، وما له خلف إن تلف، فعاد إلى كافور فأخبره، فحمل إليه مهراً أدهم، فقال هذه القصيدة، وذلك سنة سبع وأربعين وثلاثمائة، وأولها:

فِرَاقٌ وَمِنْ فَارَقْتُ غَيْرُ مَذْمُومٍ .. وَأُمٌّ وَمِنْ يَمَمْتُ خَيْرُ مَيِّمٍ
وَمَا مَنَزَلُ اللَّذَاتِ عِنْدِي بِمَنْزِلٍ ... إِذَا لَمْ أُبْجَلْ عِنْدَهُ وَأُكْرِمَ

يشكو سيف الدولة واستماعه لقول أعدائه.

(وأما التلميح) صح بتقديم اللام على الميم من لمح إذا أبصره، ونظر إليه وكثيرا ما تسمعونهم يقولون: لمح فلان هذا البيت فقال كذا، وفي هذا البيت تلميح إلى قول فلان، وأما التلميح بتقديم الميم على اللام بمعنى الإتيان بالشيء الملمح كما مر في التشبيه والاستعارة فهو ههنا غلط محض وإن أخذ مذهبا.

(فهو أن يشار) في فحوى الكلام.

(إلى قصة أو شعر) أو مثل سائر.

(من غير ذكره) أي: ذكر كل واحد من القصة أو الشعر، وكذا المثل فالتلميح إما في النظم أو في النثر والمشار إليه في كل منهما، إما أن يكون قصة أو شعرا أو مثلا تصير ستة أقسام: والمذكور في الكتاب مثل التلميح في النظم إلى القصة والشعر.

(كقوله: [الطويل])

فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَأَحْلَامُ نَائِمٍ أَلَمْتُ بِنَا أُمَ كَانَ فِي الرَّكْبِ يَوْشَعُ^(١)

سجيتُ نفسَ ما تزالُ مليحةً .. من الضيمِ مرميًا بها كلَّ مخرمٍ
رحلتُ فكم بالكِ بأجفانِ شادنٍ عليَّ وكم بالكِ بأجفانِ ضيغمٍ
وما رية القرط الملمح مكانه بأجزعٍ من ربِّ الحسام المصمِ
فلو كان ما بي من حبيبٍ مقنع عذرتُ ولكن من حبيبٍ معتمِ
رمى وأتقى زميتي ومن دون ما اتقى .. هوى كاسرٍ وقوسي وأسهمي

وبعد البيت، وبعده:

وعادى تحييه بقول عُداته .. وأصبح في ليل من الشك مُظلم

ومعنى البيت: إذا قبح فعل الإنسان قبحت ظنونه، فيسيء ظنه بأوليائه ويصدق ما يخطر بقلبه من التوهم الرديء فيهم. والشاهد فيه: الحل، وهو نثر النظم، وقد استشهد به على ما حله بعض المغاربة بقوله: فإنه لما قبحت فعلاته، وحنظلت نخلاته، لم يزل سوء الظن يقتاده، ويصدق توهمه الذي يعتاده.

(١) البيت لأبي تمام، من قصيدة من الطويل، يمدح بها أبا سعيد محمد ابن يوسف الثغري، أولها:

أَنَا إِنَّهُ لَوْلَا الْخَلِيطُ الْمَوْدَعُ .. وَزِعَ عَفَا مِنْهُ مُصِيفٌ وَمَزِنَعٌ
لَرَدَّتْ عَلَى أَعْقَابِهَا أَرْجِيَّةٌ .. مِنْ السُّوقِ وَادِيَا مِنْ الدَّمْعِ مَزِنَعٌ

وصف لحوقه بالأحبة المرتحلين وطلوع شمس وجه الحبيب من جانب الخدر في ظلمة الليل.

ثم استعظم ذلك واستغرب وتجاهل تحيرا وتدلها وقال: أهذا حلم أراه في النوم، أم كان في الركب يوشع، النبي صلى الله عليه وآله. فرد الشمس.

(إشارة إلى قصة يوشع عليه السلام واستيقافه الشمس) على ما روي من أنه قاتل الجبارين يوم الجمعة، فلما أدبرت الشمس خاف أن تغيب قبل أن يفرغ منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه فدعا الله تعالى فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم.

(وكقوله لعمرؤ) واللام للابتداء وهو مبتدأ.

(مع الرمضاء) أي: الأرض الحارة التي ترمض فيها القدم أي تحترق حال من الضمير في أرق.

=

لحقنا بأخراهم وقد حرم الهوى .. قلوباً عهدنا طيرها وهي وقّع
قردت علينا الشمس والليل راغم .. بشمس بدت من جانب الخدر تطلع
نصا صوؤها صبغ الدجنة وأنطوى .. لبهجتها ثوب السماء المجزغ

ويعدده البيت، ويعدده:

وعهدي بها تحمي الهوى ومجيئة .. وتشعب أعشار القلوب وتصدع
وأقرع بالعنى حمياً عتابها وقد تستقيد الرّاح حين تشعشع
وتقفو لي الجدوى بحدوى وأنا .. يروقك بيت الشعر حين يصرع

والشاهد فيه: التلميح، وهو: أن يشير الشاعر في فحوى الكلام إلى قصة أو شعر، أو مثل سائر، فهنا أشار إلى قصة يوشع بن نون، فنى موسى - عليها السلام - واستيقافه الشمس، فإنه روى أنه قاتل الجبارين يوم الجمعة، فلما أدبرت الشمس للغروب خاف أن تغيب قبل فراغه منهم، ويدخل السبت، فلا يحل له قتالهم فيه، فدعا الله تعالى، فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم، وخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "غزا نبي من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبي بها ولم يبين بها، ولا آخر قد بنى بيتاً، ولم يرفع سقفه، ولا آخر قد اشترى غنماً أو خلفات وهو متظر ولادتها، قال: فغزا القرية حين صلاة العصر، أو قريباً من ذلك، فقال للشمس: أنت مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علي، فحبست عليه حتى فتح الله عليه".

(والنار) مرفوع معطوف على عمرو أو مجرور معطوف على الرمضاء.
(تلتظي) حال منها وما قيل: إنها صلة على حذف الموصول أي النار التي تلتظي تعسف
لا حاجة إليه.

(أرق) خبر المبتدأ من رق له إذا رحمه.
(وأخفى) من خفي عليه تلتطف وتشقق.
(منك في ساعة الكرب، أشار إلى البيت المشهور) وهو قوله:
(المُسْتَجِيرُ أَي: المستغيث).
(بِعَمْرٍ عِنْدَ كُرْبَتِهِ) الضمير للموصول أي الذي يستغيث عند كربته بعمر.
(كَأَلْمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ)^(١).
وعمر: هو جساس بن مرة وذلك لأنه لما رمى كليباً، ووقف فوق رأسه قال له كليب:
يا عمرو! أغثني بشربة ماء، فأجهز عليه، فليل: المستجير بعمر البيت.

(١) وهو من البسيط، ولا أعرف قائله. وعمر: هو ابن الجارث، ولهذا البيت قصة، وهي أَنَّ البَّسُوس بنت
يعد خالة جَسَّاس بن مَرَّة كان لها جار من جَرَم، يقال له: سعد بن شمس، وكانت له ناقة يقال لها مَرَّاب،
وكان كليب بن وائل قد حمى أرضاً من أرض العالية في مستقبل الربيع، فلم يكن يرعاها أحد إلاَّ جَسَّاس
لمصاهرة بينهما، لأنَّ جلييلة بنت مَرَّة أخت جَسَّاس كانت تحت كليب، فخرجت ناقة الجرمي ترعى في حمى
كليب مع إبل جَسَّاس، فأبصرها كليب، فأنكرها، فرماها بسهم فأصاب مَرَّعها، فولَّت حتى بركت بفناء
صاحبها وضرعها يشخب لبناً ودماً، فلمَّا نظر إليها صاح: وأذْلَاهُ وذَلَّ جاراه، فخرجت جارتها البَّسُوس،
فلمَّا رأت الناقة ضربت يدها على رأسها وصاحت: وأذْلَاهُ.

فصل

من الخاتمة في حسن الابتداء والتخلص والانتهاء

(ينبغي للمتكلم) شاعرًا كان أو كاتبًا.

(أن يتأنق) أي: يتبع الأتق والأحسن، يقال: تأنق في الروضة إذا وقع فيها متبعا لما يوقفه أي يعجبه.

(في ثلاثة مواضع من كلامه حتى تكون) تلك المواضع الثلاثة.

(أعذب لفظا) بأن تكون في غاية البعد عن التنافر والثقل.

(وأحسن سبكا) بأن تكون في غاية البعد عن التعقيد والتقديم والتأخير الملبس، وأن تكون الألفاظ متقاربة في الجزلة والمتانة والركة والسلاسة وتكون المعاني مناسبة للفظها من غير أن تكتسي اللفظ الشريف المعنى السخيف، أو على العكس بل يصاغان صياغة تناسب وتلاؤم.

(وأصح معنى) بأن يسلم من التناقض والامتناع والابتذال ومخالفة العرف ونحو ذلك.

(أحدها الابتداء) لأنه أول ما يقرع السمع فإن كان عذبا حسن السبك، صحيح المعنى أقبل السامع على الكلام فوعى جميعه، وإلا أعرض عنه، وإن كان الباقي في غاية الحسن فالابتداء الحسن في تذكارات الأحبة والمنازل.
(كقوله:

فَقَا نَبِكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْلٍ)

السقط: منقطع الرمل حيث يدهقه، واللوى: رمل معوج ملتوي، والدخول وحول: موضعان والمعنى بين أجزاء الدخول.

(و) في وصف الدال.

(كقوله: [الكامل])

قَصْرٌ عَلَيْهِ نَجِيةٌ وَسَلَامٌ خَلَعَتْ عَلَيْهِ جَمَاهَا الْآيَاتُ ^(١)

خلع عليه: أي نزع ثوبه وطرحه عليه.

(و) ینیغی.

(أن يجتنب في المديح مما يتطير به) أي: يتشاورم به.

(كقولہ:

مَوْعِدُ أَحِبَّابِكَ بِالْفُرْقَةِ غَدُ) (٢)

مطلع قصيدة لابن مقاتل الضير أنشدتها للداعي العلوي، فقال له الداعي: موعد

أحبابك يا أعمى ولك المثل السوء.

(وأحسنه) أي: أحسن الابتداء.

(١) البيت لأشجع السلمي، من قصيدة من الكامل يمدح بها الرشيد، والرواية نشرت بدل خلعت، ويعدة:

فيه اجتلى الدنيا الخليفة والتقى .. للملك فيه سلامة وسلام

قصرُ سُقُوفِ المزنِ دونِ سُقُوفِهِ .. فِيهِ لأعلام الهدى أعلامُ

فَفُتِّرَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ كَسَوْتَهَا الَّتِي .. نَسَجَ الرِّبِيُّ وَزَخَرَفَ الْإِرْهَامُ

أَدْنَتْكَ مِنْ ظِلِّ النَّبِيِّ وَصِيَّةٌ .. وَقَرَابَةٌ وَشَجَّتْ بِهَا الْأَرْحَامُ

بَزَقَتْ سِمَاوَك فِي الْعَدُوِّ فَأَمْطَرَتْ .. هَامِأَ هَاظِلُ السُّيُوفِ غَمَامُ

وإذا سيوفك صاغت هام العدا .. طارت لهن عن الرؤوس الهام

يُشْنَى عَلَى أَيَّامِكَ الْإِسْلَامِ .. وَالشَّاهِدُ دَانَ الْحَلِّ وَالْإِحْرَامِ

وعلى عدوك يا ابن عم محمد .. رَصْدَانِ ضَوْءُ الصَّبْحِ وَالْإِظْلَامِ

فَإِذَا تَنَبَّهَ رُغَّتْهُ وَإِذَا عَفَا .. مَسَلَتْ عَلَيْهِ سَيُوفُكَ الْأَحْلَامُ

والشاهد في البيت: حسن الابتداء.

(٢) قاتله ابن مقاتل الضرير، أحد شعراء الجبال، في مطلع قصيدة من الرجز أشدها للداعي إلى الحق

العلوي الثائر بطبرستان، فقال له: بل موعد أحبابك ولك المثل السوء. والشاهد فيه: قبح الابتداء. وروي

أَيْضاً أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي يَوْمِ مَهْرِ جَانِ وَأَنْشَدَ:

لَا تَقُلْ بُشْرَى وَلَكِنْ بُشْرِيَانِ .. غُرَّةُ الدَّاعِي وَيَوْمُ الْمَهْرَجَانِ

فتطير منه الداعي، وقال: يتدئ بهذا يوم المهرجان، وأمر يبطحه وضربه خمسين عصاً، وقال: إصلاح أدبه

أبلغ في ثوابه.

(ما ناسب المقصود) بأن يشتمل على إشارة إلى ما سبق الكلام لأجله.

(ويسمى) كون الابتداء مناسباً للمقصود.

(براعة الاستهلال) من برع الرجل: إذا فاق أصحابه في العلم أو غيره.

(كقوله في التهنته: [البسيط])

بُشْرَى فَقَدْ أَنْجَزَ الْإِقْبَالَ مَا وَعَدَا وَكَوَكَّبَ الْمَجْدَ فِي أَفْقِ الْعُلَا صَعْدَا^(١)

مطلع قصيدة لأبي محمد الخازن يهنئ صاحب بولد لابنته.

(وقوله في المراثية: [الوافر])

هِيَ الدُّنْيَا تَقُولُ بِمِلِّ فِيهَا حَذَارٍ حَذَارٍ

أي: احذر.

(من بطشي) أي: أخذي الشديد.

(١) هو من البسيط، وقائله أبو محمد الخازن، من قصيدة يهنئ بها صاحب ابن عبَّاد بسبَّطه الشريف أبي الحسن عباد بن علي الحسني، وقام المطلع:

وَكَوَكَّبُ الْمَجْدِ فِي أَفْقِ الْعُلَا صَعْدَا

وبعده:

وقَدْ تَفَرَّعَ فِي رَوْضِ الْوِزَارَةِ عَنْ .. دَوَّحِ الرَّمَالَةِ غُصْنٌ مَوْرِقٌ رَشَدَا
لَهُ آيَةُ شَمْسٍ لِلْعُلَا وَلَدَتْ نَجْمًا وَغَابَةً عَزَّ أَطْلَعَتْ أَسْدَا
وَعَنْصُرٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ وَاشْجَعَةٌ كَرِيمٌ عَنْصَرُ إِسْمَاعِيلَ فَأَنْجَحَا
وَيَضَعُهُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ زَكَّتْ .. أَصْلًا وَفِرْعَا وَصَحَّتْ لَحْمَةٌ وَسُدِّي
وَمِثْلُ هَذِي السَّعَادَاتِ الْقَوِيَّةِ لَا يَحْوِزُهَا غَيْرُهُ دَامَتْ لَهُ أَبَدَا
يَا دَهْرُهُ حَقٌّ أَنْ تَزْهِيَ بِمَوْلَاهُ فَمَثَلُهُ مِنْذُ كَانَ الدَّهْرُ مَا وُلِدَا
تَعَجَّبُوا مِنْ هَلَالِ الْعِيدِ يَطْلُعُ فِي .. شَعْبَانَ، أَمْرٌ عَجِيبٌ قَطُّ مَا عُمِدَا
فَمِنْ مُوَالِ يُوَالِي الْحَمْدَ مُبْتَهَلًا وَغُلُصَّ يَسْتَدِيمُ الشُّكْرَ مَجْتَهِدَا
وَقَادَتِ الْغَادَةُ الْهَيْفَاءَ مِنْ طَرَبٍ .. تَعْطَى مُبَشِّرًا الْأَهْيَافَ وَالْغَيْدَا
فَلَا رَاعَى اللَّهُ نَفْسًا لَا تَسْرِيهِ وَلَا وَقَاهَا وَغَشَّاهَا رَدَاءُ رَدَى
وَذِي صَخَانٍ طَارَتْ رُوحُهُ شَفَقًا .. مِنْهُ وَطَاحَتْ شَطَايَا نَفْسِهِ قَدَا

والشاهد في البيت: براعة الاستهلال، وهو: أن يكون في الابتداء إشارة إلى ما سبق الكلام لأجله.

(وَفَتَكِي) ^(١) أي: قتلي فجأة مطلع قصيدة لأبي الفرج الساوي يرثي فخر الدولة.

وثانيها) أي: ثاني المواضع التي ينبغي للمتكلم أن يتأنق فيها.

(التخلص) أي: الخروج.

(مما شبب الكلام به) أي: ابتداء وافتتح، قال الإمام الواحدي رحمه الله: معنى التشبيب

ذكر أيام الشباب واللهو والغزل، وذلك يكون في ابتداء قصائد الشعر، فسمي ابتداء كل أمر

تشبيها وإن لم يكن في ذكر الشباب.

(من تشبيب) إلى وصف للجمال.

(وغيره) كالآداب والافتخار والشكاية وغير ذلك.

(١) البيت لأبي الفرج الساوي، من قصيدة من الوافر، يرثي بها فخر الدولة ابن بُوَيْه. وكان من خبر وفاته - كما حكاه العُثَي - أنه لما فرغ من القلعة التي أستحدثها على جبل طبرك نزل بها مرتاحاً، فاشتبه طرائح من لحم البقر، ففُحِرَتْ بين يديه واحدة، وطفق أصحابه يَطْهُونُ له من أطايبها، وهو ينال منها، وأتبعها بعناقيد كرم، ودارت عليه الكؤوس ملأى ولاء، فلم يلبث أن لوى عليه جوفه، واتصل على الألم صوته، إلى أن جثم عليه موته، فرثاه الساوي بهذه القصيدة، وبعده البيت:

لا يفرركم حُسْنُ ابتسامي فَقُولِي مُضْحَكِ وَالْفَعْلُ مُبْكِي
 بفخر الدولة اَعْتَبِرُوا فَإِنِّي أَخَذْتُ الْمَلِكُ مِنْهُ سَيْفُ مَلِكِي
 وقد كان استطال على البرايا ونظَّمْ جمعهم في سِلْكِ مَلِكِ
 فلو شمس الضحى جاءته يوماً لقال لها عَوَّأُ أَفْ مِنْكِ
 ولو زُهِرُ النجوم أتت رضاه نَأْيِي أَنْ يَقُولَ رَضِيتْ عَنْكِ
 فأمسى بعد ما قَرَعَ البرايا أسير القبر في ضيقِ وَصْنِكِ
 أقدر أنه لو عاد يوماً إلى الدنيا تَسْرِيلُ ثَوْبِ تُسْكِ
 دعي بانفس فكرك في ملوك .. مضوا بك في انقراض وَزَيْكِ فابكي
 فلا يغني علاك الليث شيئاً .. عن الطيبي السليب قميص نسكِ
 هي الدُّنْيَا أَشْبَهَهَا بِشَهِيدٍ بِسَمِّ، وَجِفَةِ طُلَيْتِ بِمِسْكِ
 هي الدُّنْيَا كَمَثَلِ الطُّفْلِ، بينا يَقْهَقُهُ إِذْ بَكَى مِنْ بَعْدِ ضَحْكِ
 ألا يا قومنا انتبهوا فَإِنَّا نحاسب في القيامة دون شكِّ

والشاهد فيه: براعة الاستهلال أيضاً، فإنه يشعر بابتدائه بأنه في الرثاء.

(إلى المقصود مع رعاية الملازمة بينهما) أي: بين ما شبب به الكلام وبين المقصود واحترز بهذا عن الاقتضاب، وأراد بقوله التخلص معناه اللغوي، وإلا فالتخلص في العرف هو الانتقال مما افتتح به الكلام إلى المقصود مع رعاية المناسبة.

وإنما ينبغي أن يتأنق في التخلص لأن السامع يكون مترقبا الانتقال من الافتتاح إلى المقصود كيف يكون، فإن كان حسنا متلائم الطرفين حرك من نشاطه وأعان على إصغاء ما بعده وإلا فبالعكس فالتخلص الحسن.

(كقوله: يقول في قومي) اسم موضع قومي، وقد أخذت منا السرى أي أثر فينا السير بالليل، ونقص من قوانا.

(وخطى المهريّة) عطف على السرى لا على المجرور في منا، كما سبق إلى بعض الأوهام وهي جمع خطوة، وأراد بالمهريّة الإبل المنسوبة إلى مهر ابن حيدان أبي قبيلة.

(القود) أي: الطويلة الظهور والأعناق جمع أقود، أي أثرت فينا مزاولة السرى ومسايرة المطايا بالخطى ومفعول يقول هو قوله:

(أطلع الشمس تبغي) أي: تطلب.

(أن تؤم) أي: تقصد.

(بنا فقلت كلا) ردع للقوم وتنبيه.

(ولكن مطلع الجود. وقد ينتقل منه) أو عما شبب به الكلام.

(إلى ما لا يلائمه ويسمى) ذلك الانتقال.

(الاقتضاب) وهو في اللغة الاقتطاع والارتجال.

(وهو) أي: الاقتضاب.

(مذهب العرب الجاهلية ومن يليهم من المخضرمين) بالخاء والضاد المعجمتين، أي: الذين أدركوا الجاهلية والإسلام مثل لبيد.

الإسلاميين في الدولة العباسية، وهذا المعنى مع وضوحه قد خفي على بعضهم حتى اعترض على المصنف بأن أبا تمام لم يدرك الجاهلية فكيف يكون من المخضرمين.

(ومنه) أي: من الاقتضاب.

(ما يقرب من التخلص) في أنه يشوبه شيء من المناسبة.

(كقولك بعد حمد الله: أما بعد) فإنه كان كذا وكذا فهو اقتضاب من جهة الانتقال من الحمد والثناء إلى كلام آخر من غير رعاية ملائمة بينهما، لكنه يشبه التخلص حيث لم يأت بالكلام الآخر فجأة من غير قصد إلى ارتباط وتعليق بما قبله، بل قصد نوع من الربط على معنى مهما يكون من شيء بعد الحمد والثناء فإنه كان كذا وكذا.

(قيل وهو) أي: قولهم بعد حمد الله إما بعد. هو:

(فصل الخطاب) قال ابن الأثير: والذي اجمع عليه المحققون من علماء البيان أن فصل الخطاب هو أما بعد، لأن المتكلم يفتح كلامه في كل أمر ذي شأن بذكر الله وتحميده، فإذا أراد أن يخرج منه إلى الغرض المسوق له فصل بينه وبين ذكر الله تعالى بقوله أما بعد، وقيل: فصل الخطاب معناه الفاصل من الخطاب أي الذي يفصل بين الحق والباطل على أن المصدر بمعنى الفاعل، وقيل: المفضول من الخطاب وهو الذي يتبينه من يخاطب به أي يعمل به بينا لا يلتبس عليه فهو بمعنى المفعول.

(وكقوله) تعالى عطف على قوله: كقولك بعد حمد الله يعني من الاقتضاب القريب من التخلص ما يكون بلفظ هذا كما في قوله تعالى بعد ذكر أهل الجنة.

(﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِيْنَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾ [ص:٥٥]) فهو اقتضاب فيه نوع مناسبة وارتباط

لأن الواو للحال ولفظ هذا إما خبر مبتدا محذوف.

(أي الأمر هذا) والحال كذا.

(أو) مبتدا محذوف الخبر أي.

(هذا كما ذكر) وقد يكون الخبر مذكورا.

(مثل قوله تعالى) بعد ما ذكر جمعا من الانبياء عليهم السلام وأراد أن يذكر بعد ذلك الجنة واهلها.

﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [ص: ٤٩] بإثبات الخبر أعني قوله ذكر وهذا مشعر بأنه في مثل قوله تعالى: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّائِفِينَ﴾ مبتدأ محذوف الخبر.

قال ابن الأثير: لفظ هذا في هذا المقام من الفصل الذي هو أحسن من الوصل وهي علاقة وطيدة بين الخروج من كلام إلى كلام آخر.

(ومنه) أي: من الاقتضاب القريب من التخلص.

(قول الكاتب) هو مقابل للشاعر عند الانتقال من حديث إلى آخر.

(هذا باب) فإن فيه نوع ارتباط حيث لم يبتدئ الحديث الآخر بغته.

(وثالثها) أي: ثالث المواضع التي ينبغي للمتكلم أن يتأنق فيها.

(الانتهاء) لأنه آخر ما يعيه السمع ويرسم في النفس؛ فإن كان حسنا مختارا تلقاء

السمع واستلذه حتى جبر ما وقع فيما سبقه من التقصير وإلا لكان على العكس حتى ربا أنساه المحاسن الموردة فيما سبق فالانتهاء الحسن.

(كقوله: وإنني جدير) أي: خليق.

(إذ بلغتك بالمني) أي: جدير بالفوز بالاماني.

(وأنت بما أملت منك جدير، فإن تولني) أي: تعطني.

(منك الجميل فأهله) أي: فأنت أهل لاعطاء ذلك الجميل.

(ولا فاني عاذر) إياك عما صدر عني من الإبرام.

(وشكور)^(١) لما صدر عنك من الإصغاء إلى المديح أو من العطايا السالفة.

(١) البيتان لأبي نواس، من قصيدة من الطويل، يمدح بها الخصيب صاحب مصر، أولها:

أَجَارَةَ بَيْتِنَا أَبُوكِ غَيْرُ... وَمِيسُورٌ مَا يُرْجَى لَدَيْكَ عَمِيرُ
فَإِنْ كُنْتُ لَا خَلْمًا وَلَا أَنْتَ زَوْجَةٌ.. فَلَا يَرَحُّ دُونِي عَلَيْكَ سَتُورُ
وَجَاوَرْتُ قَوْمًا لَا تَجَاوِرُ بَيْنَهُمْ.. وَلَا وَصَلَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ نَشُورُ

(وأحسنه) أي: أحسن الانتهاء.

(ما أذن بانتهاء الكلام) حتى لا يبقى للنفس تشوق إلى ما وراءه.

(كقوله: [الطويل])

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله وهذا دعاء للبرية شامل^(١)

لأن بقاءك سبب لنظام أمرهم وصلاح حالهم، وهذه المواضع الثلاثة مما يبالغ المتأخرون في التأنيق فيها، وأما المتقدمون فقد قلت عنايتهم بذلك.

(وجميع فواتح السور وخواتمها واردة على أحسن الوجوه وأكملها) من البلاغة لما فيها من التفنن، وأنواع الإشارة وكونها بين أدعية ووصايا ومواعظ وتحميدات وغير ذلك مما وقع موقعه وأصاب نحره؛ بحيث تقصر عن كنه وصفه العبارة، وكيف لا؟ وكلام الله سبحانه وتعالى في الرتبة العليا من البلاغة والغاية القصوى من الفصاحة، ولما كان هذا المعنى مما قد يخفى على بعض الأذهان؛ لما في بعض الفواتح والخواتم من ذكر الأحوال والأفزع وأحوال الكفار وأمثال ذلك أشار إلى إزالة هذا الخفاء بقوله.

(يظهر ذلك بالتام مع التذكر لما تقدم) من الأصول والقواعد المذكورة في الفنون الثلاثة التي لا يمكن الاطلاع على تفاصيلها وتفاريقها إلا لعلام الغيوب؛ فإنه يظهر بتذكرها أن كلا من ذلك وقع موقعه بالنظر إلى مقتضيات الأحوال، وإن كلا من السور بالنسبة إلى المعنى الذي يتضمنه مشتملة على لطف الفاتحة، ومنطوية على حسن الخاتمة ختم الله تعالى لنا بالحسن ويسر لنا الفوز بالذخر الأسنى، بحق النبي وآله الأكرمين والحمد لله رب العالمين.

فما أنا بالمشغوف ضربةً لازِبٌ .. ولا كسلٌ سلطانٍ عليَّ قدير
ولئيْ لطرف العين بالعين زاجر .. فقد كدت لا يخفى عليَّ ضمير

وهي طويلة، وتقدم ذكر شيء منها في حسن التلخيص.

(١) البيت من الطويل، ونسب لأبي العلاء المعري، ونسب ابن فضل الله لأبي الطيب المتنبّي، ولم أره في ديوان واحد منها: والشاهد فيه: حسن الانتهاء.